

الوعي الديني

للمنتقبات في المجتمع المصري

بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١

د. محمد سيد أحمد

مشرفًا وباحثًا رئيسًا ومحررًا

د. أميرة العربي

د. بسنت خيرت   د. رباب البصراتي   د. منى حسني

أ. شيماء أحمد



الوعي الديني

للمنتقبات في المجتمع المصري

بعد احداث ٢٥ يناير ٢٠١١

د. محمد سيد أحمد

مشرفًا وباحثًا رئيسًا ومحررًا

د. أميرة العربي

د. بسنت خيرت

د. رباب البصراتي

د. منى حسني

أ. شيماء أحمد


mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab

الوعي الديني

للمنتقبات في المجتمع المصري

بعد احداث ٢٥ يناير ٢٠١١

د. محمد سيد أحمد

مشرفًا وباحثًا رئيسًا ومحررًا

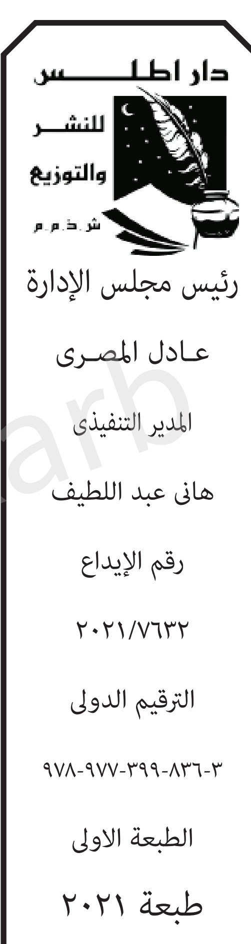
د. أميرة العربي

د. بسنت خيرت

د. رباب البصراتي

د. منى حسني

أ. شيماء أحمد



رئيس مجلس الإدارة

عـادل المصـرى

المدير التنفيذى

هانى عبد اللطيف

رقم الإيداع

٢٠٢١/٧٦٣٢

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٨٣٦-٣

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠٢١

الكتـاب : الوعي الدينى للمنتقبات في المجتمع المصري

المؤلف : د. محمد سيد أحمد

الناشـر : أطلس للنشر

٥ ش صبرى أبو علم - ناصية ش شريف- وسط البلد - القاهرة

daratlaspublish@gmail.com

https://www.facebook.com/307172482657080- /

دار-أطلس-للنشر

تليفون : ٢٣٩٥٠٨٧٦ – ٠١٢٧٢٢٢٧٤٤٢

****

إهداء

إلى روح أستاذي ومعلمي وصديقي الحبيب الغالي المفكر الاجتماعي الكبير

الأستاذ الدكتور / عبد الباسط عبد المعطي

رائـد دراسـات الوعـي في مـصر والوطـن العـربي.. والـذي شـكلت كتاباتـه الركيـزة الأساسـية لاهتمامـي بقضيـة الوعـي باعتبارهـا القضيـة المركزيـة للحكـم عـلى أي تجمـع بـشري..

د.محمد سيد أحمد

المقدمة

ولـدت في عـام ١٩٧٠ بعـد أيـام قليلـة مـن رحيـل الرئيـس جـمال عبـد النـاصر في أحـد الأحيـاء الشـعبية العريقـة بمدينـة القاهـرة وهـو حـى الجماليـة، وفي سـنوات العمـر الأولى كان المجتمـع المـصري يشـهد تحـولات جذريـة عـلى المسـتوي الاجتماعـي والاقتصـادي والسـياسي والثقـافي، برحيـل الرئيـس جـمال عبـد النـاصر ومجيـئ الرئيـس السـادات لسـدة الحكـم وبعدهـا وجـد نفسـه في أزمـة شرعيـة مـما عجـل بالصـدام بينـه وبـين أركان نظـام الرئيـس جـمال عبـد النـاصر، وخـلال هـذا الـصراع قـرر الرئيـس السـادات الإسـتعانة بخصـوم النظـام النـاصري مـن أبنـاء الجماعـات السياسـية الإسـلامية - التـي كانـت في ذلـك الوقـت بداخـل السـجون والمعتقـلات - لمواجهـة خصومـه الجـدد مـن الناصريـين والشـيوعيين، وبالفعـل قـام بعقـد صفقـة مـع مرشـد جماعـة الإخـوان المسـلمين في ذلـك الوقـت (عمـر التلمسـاني) عـلى أثرهـا خـرج الإخـوان مـن السـجون والمعتقـلات وسـمح لهـم بحريـة الحركـة والصـدام مـع خصـوم السـادات مـن الناصريـين والشـيوعيين، وفي تلـك الأثنـاء بـدأ السـادات في رفـع شـعارات جديـدة حيـث أطلـق عـلى نفسـه لقـب الرئيـس المؤمـن وأطلـق عـلى الدولـة اسـم دولـة العلـم والإيمـان وبـدأتْ التحـولات الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية والثقافيـة تلقـي بظلالهـا عـلى سـاحة المجتمـع المصري.

وفي سـنوات التحـولات الأولى تشـكلت في ذهنـي صورةللبـاسِ المـرأه مـن خـلال مـا أشـاهده حـولي سـواء داخـل الحـي السـكني أو عـبر وسـائل الإعـلام خاصـةً مـن خـلال الدرامـا التليفزيونيـه وشاشـات السـينما، وكانـت الصـورة الغالبـة هـي عـدم ارتـداء النسـاء لغطـاء الـرأس، وكانـت الملابـس القصـيرة والضيقـة هـي الملابـس الأكثر انتشـارًا داخـل المجتمع.

ومـــع مطلـــع الثمانينيـــات مـــن القـــرن العشريـــن انتقلـــت إلى مرحلـــة دراســـية جديـــدة، وهـــي المرحلـــة الإعداديـــة وخـــلال هـــذه الســـنوات انتقلـــت إلى حـــي جديـــد، كانـــت بـــه المدرســـة الإعداديـــة وهـــو حـــي العباســـية، وكان هـــذا أول انطـــلاق لي خـــارج نطـــاق الحـــى الســـكني الـــذي نشـــأت فيـــه، وكانـــت المعلـــمات داخـــل المدرســـة يلبســـن الملابـــس العصريـــة إلا معلمـــة

واحـدة ترتـدي غطـاء الـرأس وهـي معلمـة اللغـة العربيـة، ومـن هنـا بـدأ وعيـي يتشـكل بـأن هنـاك لبـاس آخـر للمـرأة غـير لباسـها التقليـدي الأكـثر انتشـارًا وشـيوعًا داخـل المجتمع.

ومـرت المرحلـة الإعداديـة، وتليهـا المرحلـة الثانويـة التـى انتقلـت فيهـا لمدرسـة جديـدة بحـي جديـد وهـو حـي بـاب الشـعرية، وخـلال هـذه السـنوات كانـت الصـورة الذهنيـة للبـاس المـرأة تتمثـل في اللبـاس العـصري للغالبيـة العظمـي مـن النسـاء التـى يقـع عليهـم نظـري سـواء في داخـل الحـي السـكني أو في الأحيـاء التـي أدرس بهـا أو مـن خـلال الدرامـا التليفزيونيـة والسـينما والتـي كنـت شـغوف بمتابعتهـا في المرحلـة الثانويـة والتـي جعلتنـي أرى عـالم آخـر في وسـط البلـد بميـدان الأوبـرا وشـارع ٢٦يوليـو وشـارع عـماد الديـن المليـئ بالسـينمات، لكنـي كنـت ألاحـظ تنامـي تدريجـي للنسـاء الـلاتي يرتديـن غطـاء الـرأس، وكنـت أسـمع مـن المقربـين حـوارات كثـيرة تـدور حـول الحجـاب سـواء داخـل العائلـة أو في محيـط الحـي السـكني، فعندمـا كانـت تطـرح أي فتـاة فكـرة ارتـداء الحجـاب أو غطـاء الـرأس كان دائمًـا يقـال لهـا (انتظـري حتـى تتزوجـي)، ومـن هنـا كان الحـوار يبـدو ظاهريًـا أنـه ليـس لـه علاقـة بالديـن، خاصـةً وأننـي كنـت أشـاهد النسـاء المحيطـين ملتزمـين بتعاليـم الديـن مـن صـلاة وصيـام في رمضـان وقـراءة القـرآن والذهـاب للمسـاجد لصـلاة الجمعـة وفي الأعيـاد.

وفي نهايـة الثمانينيـات إلتحقـت بالجامعـة وانتقلـت إلى عـالم آخـر لأجـد سـاحة جديـدة لتشـكيل وعـي جديـد للبـاس المـرأة فخـلال هـذه المرحلـة كانـت مازالـت الغالبيـة العظمـي مـن النسـاء الزميـلات داخـل الجامعـة ترتديـن اللبـاس العـصري، وكنـت وأنـا طالـب بكليـة الآداب جامعـة عـين شـمس،أجلس دائمًـا في آخـر صفـوف المـدرج مـما يسـمح لي بكشـف كل الموجوديـن، وكنـت بشـكل لا إرادي أقـوم بعـد الزميـلات التـي ترتديـن غطـاء الـرأس أو الحجـاب، وكانـت نسـبتهم قليلـة جـدًا قياسًـا بالأخريـات التـي لا ترتديـن الحجـاب، ومـع مـرور سـنوات الدراسـة كانـت ترتفـع النسـب تدريجيًـا، وخـلال هـذه المرحلـة اكتشـفت أن الجامعـة منـذ مطلـع السـبعينيات أصبحـت سـاحة للـصراع بـين التيـارات السياسـية المختلفـة وأن الجماعـات السياسـية الإسـلامية أصبـح لهـا وجـود وإنتشـار واسـع داخـل أروقـة الجامعـة.

وكان أعضاء الجماعات السياسية الإسلامية من الطلاب يسيطرون في بعض الأحيان على الإتحادات الطلابية، وأتذكر وأنا طالب في الفرقة الثالثة أنهم حصلوا على عضوية الإتحاد وقرروا بعدها إيقاف جميع النشاطات الطلابية الفنية وإلغاء الحفلات التي كان يأتي إليها نجوم الغناء في ذلك الوقت، وكنت أحيانًا أذهب إلي مسجد الكلية فكنت أجدهم يحاولون استقطاب الشباب والفتيات وإقناعهم بالإنضمام إليهم، وهنا إكتشفت ولأول مرة أن هناك صراع سياسي دائر بين هذه الجماعات الإسلامية وبين السلطة السياسية، وبدأت في القراءة للتعرف على شكل وطبيعة هذا الصراع، واكتشفت كيف يتم توظيف ظاهرة لباس المرأة سياسيًا لإدانة النظام السياسي، على الرغم من أن النظام لم يكن له دخل من قريب أو بعيد بلباس المرأة ولم يكن يمنع أحد من إرتداء غطاء الرأس أو الحجاب، ولم يكن هناك خلاف على هذا اللباس بين النظام السياسي وبين أي طرف آخر داخل المجتمع، فكان الجدل المجتمعي والعائلي يدور في إتجاه ارتداء النساء لغطاء الرأس، وكان هذا الحوار المجتمعي ينتهي دائمًا بكسب الحجاب أرضية ومساحة جديدة لأسباب اجتماعية واقتصادية بعيدة بالأساس عن الدين والسياسة.

وخلال العام الدراسي الأخير بالجامعة في مطلع التسعينيات من القرن العشرين كانت لنا زميلة تدعى (أسماء) وكانت شابة متفوقة ومثقفة وعلى قدر من الإنفتاح، وكنا نجلس معها دائمًا سواء داخل قاعات المحاضرات أو خارجها في كافيتريا الكلية، وكانت لا ترتدي الحجاب، وفجأة وبدون أي مقدمات دخلت علينا مدرج (شفيق غربال) وهي ترتدي النقاب، وكانت المرة الأولي التي أرى فيها مثل هذا اللباس، ووجدنا الجميع يتساءل من هذه الفتاة المنتقبة، وكان الرد الصادم لنا بأنها أسماء، ودارت التساؤلات بين جميع الزملاء لماذا فعلت هذا؟ وما هي دوافعها؟ وكيف تم ذلك وقد كانت بالأمس ترتدي اللباس العصري؟ وحدث بعد ذلك خلاف بينها وبين بعض الأساتذة الذين كانوا يرفضون دخولها لقاعات المحاضرات بهذا اللباس الذي يخفي معالمها.

وعلمت خلال هذه الأثناء أن أسماء انضمنت إلى أحد الجماعات السياسية الإسلامية التي كانت منتشرة داخل أروقة الجامعة، وأنهم أقنعوها بضرورة ارتداء النقاب بعد أن أمدوها ببعض المعلومات الدينية وأشرطة الكاسيت لبعض المشايخ الذين ذاعت شهرتهم في ذلك الوقت، هذا إلى جانب إهدائها بعض الكتيبات التي كانت تباع أمام المساجد وعلى الأرصفة.

ومن هنا كانت البداية حيث استبدلت الجماعات السياسية الإسلامية صراعها مع النظام السياسي حول لباس المرأة للنقاب بدلًا من الحجاب خاصة بعد إنتشار الحجاب بشكل ملحوظ داخل المجتمع ليصبح خلال التسعينيات والعقد الأول من الألفية الثالثة هو الزي الغالب للنساء وانحصر الزي العصري بشكل كبير، وخلال هذين العقدين كانت الجماعات السياسية الإسلامية قد تمددت داخل المجتمع وقامت ببناء نفوذ كبير لها، وكانت تحاول أن تزج بقضايا خلافية مع النظام السياسي لكي تبرز للرأي العام أنه نظام ضد الدين ومحارب له، وكانت قضية النقاب من أكثر القضايا التي استخدمتها الجماعات السياسية الإسلامية، خاصةً عندما وجدت أن النقاب يلقي معارضة من السلطة السياسية نظرًا لخطورة انتشاره بعدما شهد المجتمع العديد من الجرائم المستترة خلف النقاب.

ومع ذلك انتشر النقاب بشكل تدريجي وبدأ يلاحظ وجوده في الأماكن العامة، وقبل أحداث ٢٥يناير٢٠١١ كنت أتابع الجدل المحتدم حوله وأكتب بعض المقالات الصحفية في محاولة لتوضيح أوجه الخلاف بين أنصاره ومعارضيه، وكنت طوال الوقت أتابع حجم انتشاره داخل المجتمع من خلال التجمعات المختلفة، لكنني لاحظت أنه في أعقاب أحداث يناير انفجرت موجة كبيرة من النساء اللاتي قمن بارتداء النقاب ولاحظت تضامنهم مع السلطة السياسية الجديدة، خاصة بعد صعود الجماعات السياسية الإسلامية إلى شدة الحكم.

ومن هنا بدأت أتابع وانشغل بهذه الظاهرة الجديدة ووجدت أنها ذات أبعاد مختلفة، وبدأت أتابع سلوكيات المنتقبات وبدأ يدور في ذهني سؤال عن مدي تدينهم،

وأي أفكار دينية تلك التى يتبنونها والتي أقنعتهم بارتداء هذا الزي، ومن خلال الحوار مع طالباتي المنتقبات بدأت أتعرف على هذا العالم الجديد، هذا إلى جانب وجود بعض الجيران الذين أعرفهم بشكل كبير ممن قاموا بارتداء النقاب، هنا بدأت فكرة الدراسة في التبلور رويدًا رويدًا، خاصةً أنني كنت أتابع فكرة الحجاب التي تحولت مع الوقت إلى قضية منسية لدي أنصار الجماعات السياسية الإسلامية خاصة أنها تطورت لتفقد معناها الديني، فالحجاب فقد مضمونه تمامًا وأصبح مجرد شكل فاقد للمضمون لدرجة أنه تحول مؤخرًا إلى غطاء للرأس فقط مع لباس عصري يكشف ويفصل كل أجزاء الجسم.

وبخروج الجماعات الاسلامية والسياسية من السلطة عاد الجدل من جديد حول النقاب في الأماكن العامة خاصةً داخل الجامعات ومؤسسات الدولة المختلفة، ومن خلال المتابعة المستمرة تبلورت فكرة الدراسة والتي تدور حول الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري، وهل بالفعل يعتبر النقاب معبرًا عن وعي ديني حقيقي لدى من يقومن بارتدائه أم أنه قضية سياسية يتم إستثمارها في الصراع على السلطة، هنا كان لابد من البحث عن وسيلة نتعرف من خلالها على حقيقة هذا الجدل الدائر، وكان الإفتراض الرئيسي أن هذا اللباس لابد أن يعبر عن مضمون أكثر وعيًا بالدين وأكثر تدينًا وإلتزامًا كما يصور لنا أنصاره، فالصورة الذهنية للمنتقبة لدى العقل الجمعي تقول أنها أكثر وعيًا دينيًا وأكثر تديّنًا من غير المنتقبات، لذلك قررت القيام بهذه الدراسة للتعرف على الحقيقة، وخلال انشغالي بالتفكير في الموضوع وتبلور إشكاليته البحثية وجدت بعض المؤسسات البحثية المشغولة بالقضية وتواصلنا معًا من أجل دراستها، ووجدت تشجيع كبير لإنجاز مثل هذه الدراسة، وبالفعل بدأت في القراءة حول الظاهرة وتطورها التاريخي وحاولت البحث والتنقيب في التراث البحثي المتاح فوجدت ندرة شديدة في دراسات الوعي الديني والنقاب، لذلك كان لابد من إجراء دراسة ميدانية متعمقة لقياس الوعي الديني للمنتقبات، وبالطبع وجدت أن هناك صعوبة شديدة في جمع المادة الميدانية من المنتقبات خاصة وأن الموضوع شديد الحساسية، لذلك قررت الإستعانة ببعض الزميلات الباحثات لجمع المادة الميدانية، وبعد إعداد دليل للمقابلة المتعمقة الذي تضمن عدة بنود لقياس الوعي الديني بجوانبه

الثلاثـة المعرفيـة والسـلوكية والموقفيـة، قامـت الزميـلات بجهـد كبـير لإخـتراق هـذا العـالم المغلـق وتمكنـوا بالفعـل مـن إقنـاع البعـض بالحديـث معهـن حـول النقـاب، وعـلى مـدار عامـين كاملـين كنـا قـد حصلنـا عـلى مـادة ميدانيـة تصلـح للبحـث والدراسـة، حيـث تمكنـوا مـن تطبيـق ثلاثـون مقابلـة متعمقـة مـع حـالات متنوعـة مـن الريـف والحـضر ومـن مسـتويات اجتماعيـة واقتصاديـة مختلفـة ومـن مسـتويات تعليميـة متنوعـة ومـن أعـمار مختلفـة.

ونحـاول الآن تقديـم هـذا العمـل للقـارئ لـكي يحكـم بنفسـه عـلى الظاهـرة، ففريـق العمـل لم يكـن منـذ البدايـة مـع أيًّـا مـن الفريقـين المؤيـد للنقـاب أو المعـارض لـه، فقـد قمنـا فقـط برصـد الظاهـرة ومحاولـة التعـرف عـلى طبيعـة الوعـي الدينـي للمنتقبـات، وهـل النقـاب يعـبر عـن وعـي دينـي حقيقـي أم وعـي زائـف، وهـل بالفعـل الجـدل والـصراع الدائـر هـو صراع حـول ظاهـرة دينيـة أم أنـه صراع سـياسي يتـم الـزج فيـه بقضيـة دينيـة محسـومة مـن قبـل علـماء الديـن والفقهـاء، خاصـة وأن المؤسسـة الدينيـة الرسـمية (الأزهـر الشريـف) فصلـت الخـلاف في هـذا الأمـر عندمـا أقـرت بـأن ارتـداء النقـاب هـو تزيـد عـلى الديـن، فمـن أيـن تسـتقي المنتقبـات معارفهـم ومعلوماتهـم الدينيـة التـي دفعتهـم لارتـداء النقـاب والتـي تؤثـر في سـلوكهم اليومـي وفي المواقـف التـي يتخذونهـا مـن المجتمـع والأفـراد الآخريـن الذيـن يعيشـون معهـم في المجتمـع ويتفاعلـون معهـم في حياتهـم اليوميـة؟ هـذا مـا سـتحاول الدراسـة الإجابـة عليـه في الصفحـات التاليـة.

***

الفصل الأول

مراجعة التراث البحثي

مقدمة:

تتزايد أهمية الدين بالنسبة للفرد نظرًا لتغير طبيعة وظروف العصر، لكون الفرد يعيش في عالم بلغت فيه سبل الإتصال، ووسائل الإعلام من الكثرة والتنوع والسرعة، فيجد الفرد نفسه كل يوم، وكل ساعة في مواجهة زخم من الآراء والأفكار، والنظريات فلا يستطيع أن يواجه حياته بكفاءة إلا بأن يحدد لنفسه موقفًا مما يتلقاه من معلومات ومعارف، وهذا لن يتحقق إلا للفرد الذي يمتلك وعيًّا دينيًّا يساعده على مواجه التحديات المعاصرة.

وترجع أهمية الدين للمجتمع في حياة الأفراد، بأنه كلما ارتفع الوعي الديني لدى الأفراد كانت تعاملاتهم (وفقًا لتصورات المجتمع من معارف وأحكام وقيم دينية) تسهم في تفعيل دور الضمير لدى الأفراد تجاه مختلف القضايا الاجتماعية وتحمل مسؤولياتهم تجاهها؛ فالوعي الديني يكتسب أهميته من الوظائف المنوطة به لأن الدين يحتل مكانة بارزة وأهمية قصوى في وجدان وتفكير البشر- أفراد كانوا أو جماعات- لما يتمتع به الدين من وظائف تساهم في دفع المجتمع إلى درجة من الوعي، وهذه الوظائف متمثلة في كون الدين يعمل على تماسك وترابط الأفراد حول إيديولوجية معينة، كما يساعد على توحيد القيم والأهداف البعيدة ويلعب دور أساسيًا ومهمًا في الضبط الاجتماعي، فهو يحدد نواحي الخير والشر والثواب والعقاب ويسهم في تكوين الضمير لدى الأفراد، فالوعي الديني يساعد في تماسك البناء الاجتماعي، وتنظيم العلاقة بين المجتمع وأفراده من خلال ما يتضمنه من معارف وأحكام وقيم دينية تسهم في تفعيل دور الضمير لدى الأفراد تجاه مختلف القضايا والمشكلات الاجتماعية.[1]

---

(١) زيدان هاجر، البعد الأيديولوجي للتطرف والإرهاب- دراسة تحليلية على مسلسل غرابيب سود- رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠١٩، ص-ص ٨٦-٩٠.

وينظـر إلى ظاهـرة النقـاب في الغـرب عـلى أنهـا مشـكلة، أو ظاهـرة اجتماعيـة، مـن بـين العديـد مـن المشـكلات، وهـو مـا سـوف نلاحظـه في العديـد مـن الدراسـات التـي تناولـت موضـوع النقـاب، خاصـة بعـد أحـداث الحـادي عـشر مـن سـبتمبر، حيـث أصبـح ينظـر إليـه عـلى أنـه ظاهـرة سـلبية يمكـن أن تهـدد السـلم الاجتماعـي أو المعايـير الأخلاقيـة لمجتمـع معـين، وعـلى مـر التاريـخ ظهـرت الكثـير مـن المشـكلات الاجتماعيـة التـي مكنـت المجتمـع مـن إضفـاء الشرعيـة عـلى القيـم السـائدة لجماعـة معينـة، فعـلى سـبيل المثـال، يجـب عـلى المـرء أن يـوازن بـين القيـم الثقافيـة والسياسـية السـائدة، ووجهـات النظـر الشـخصية التـي يمكـن أن تؤثـر عـلى الظاهـرة، ولابـد مـن التأكيـد باسـتمرار عـلى الفـرق بـين الثقافـات الغربيـة، والإسـلامية في اسـتخدام النقـاب كرمـز رئيـسي للثقافة.[٢]

ولقـد أصبحـت النسـاء المسـلمات في الغالـب النقطـة المحوريـة للتصـادم بـين القيـم المجتمعيـة والقيـم الدينيـة، فالنقـاب أو حجـاب الوجـه في المجتمعـات التـي تسـعى إلى تعزيـز التعدديـة الثقافيـة كقيمـة مجتمعيـة كالمجتمعـات الغربيـة قـد تنظـر إلى النقـاب غالبًـا عـلى أنـه ظاهـرة جديـدة وقـد تكـون غـير مرحـب بهـا عنـد الغالبيـة.[٣]

وفي هـذا الإطـار فرضـت قضيـة النقـاب نفسـها عـلى السـاحة المجتمعيـة سـواء داخـل المجتمعـات الإسـلامية أو خارجهـا، باعتبارهـا قضيـة خلافيـة، وفي إطـار محاولتنـا البحثيـة للتعـرف عـلى الوعـي الدينـي للمنتقبـات داخـل المجتمـع المـصري بعـد أحـداث ٢٥ ينايـر ٢٠١١، والتـي شـهدت جـدل محتـدم حـول النقـاب وانتشـاره بشـكل غـير مسـبوق بعـد وصـول الجماعـات السياسـية الإسـلامية لسـدة الحكـم ثـم خروجهـم سريعًـا بعـد فشـلهم، حيـث تطلبـت هـذه المحاولـة مراجعـة نقديـة للـتراث البحثـي المتوفـر حـول الظاهـرة ويمكـن إجمالـه في ثلاثـة محـاور رئيسـية، المحـور الأول يشـمل مجموعـة مـن الدراسـات التـي تناولـت قضيـة الحجـاب والتـي تعـد الإطـار الأوسـع لمناقشـة قضيـة لبـاس المـرأة المسـلمة، أمـا المحـور الثـاني يتمثـل في مجموعـة الدراسـات التـي تناولـت قضيـة الوعـي وتنقسـم

(2)Gahad Hamed,The Sociological Understanding of Muslim Wearing the Headscarf (Hijab) through,the Islamic Culture,Institute for Middle East Studies Canada,2015,p3.

(3)Nafay Choudhury,Niqab vs. Quebec: Negotiating Minority Rights within Quebec Identity*Graduate, McGill University*.

إلى قسـمين: الأول يناقـش قضيـة الوعـي بشـكل عـام اجتماعـي، وسـياسي، وثقـافي، والثـاني ينصـب عـلى قضيـة الوعـي الدينـي تحديـدًا وهـو أحـد المتغـيرات الرئيسـية في الدراسـة الراهنـة، أمّـا المحـور الثالـث فيناقـش الدراسـات التـي تناولـت قضيـة النقـاب وهـو المتغـير الآخـر الرئيـسي في الدراسـة الراهنـة، لكـن المعالجـة جـاءت بعيـدة عـن قضيـة الوعـي الدينـي للمنتقبـات التـي تفـردت بهـا الدراسـة الراهنـة، ويـرى فريـق البحـث أن هـذه المراجعـة ضروريـة في صياغـة مشـكلة البحـث وتحديـد أهدافـه وتسـاؤلاته.

أولًا: دراسات الحجاب:

١-دراسة عمر مزيل **(Omar Mizel)**

بعنوان: صوت الحجاب: آفاق ارتداء الحجاب

«دراسة ميدانية على عينة من الطالبات الفلسطينيات في إسرائيل»[٤]

تسـعى هـذه الدراسـة إلى استكشـاف الأسـباب الكامنـة وراء هـذه الظاهـرة السـلوكية وفهـم مـبررات الطالبـات لإرتـداء الحجـاب؟، وكيـف تختلـف هـذه التبريـرات وفقًـا للسـياقان الاجتماعـي والتعليمـي؟

وناقـش هـذا البحـث مفهـوم الحجـاب لـدي الطالبـات الجامعيـات الفلسـطينيات في إسرائيـل، وكيـف أصبـح إرتـداء الحجـاب في العقديـن الأخيريـن ظاهـرة شـائعة محليًـا وعالميًـا؛ ومـع ذلـك تتسـاءل الدراسـة إلى أي مـدى تحتـاج النسـاء المسـلمات للتسـتر؟ هـذا سـؤال قابـل للنقـاش بـين العلـماء والمشـاركين، فالحجـاب قـد يحمـل معـاني متعـددة للمـرأة المسـلمة.

فالعديـد مـن الآراء المحليـة والدوليـة الحاليـة تعتـبر الحجـاب مـؤشرًا دينيًـا فقـط، وأنـه يعكـس خضـوع المـرأة وفـرض سياسـة قمعيـة عليهـا، ومـع ذلـك أظهـرت نتائـج هـذه الدراسـة لظاهـرة إرتـداء الحجـاب بـين طالبـات الجامعـة العربيـة الفلسـطينية في إسرائيـل أن غالبيـة مفاهيـم الحجـاب ليسـت دينيـة فقـط.

[4] Omar Mizel, The Voice of the Hijab: Perspectives towards Wearing the Hijab by a Sample of Palestinian Female University Students in Israel, Ono Academic College, Israel.   Athens Journal of Social Sciences 2020.

وتتألـف الدراسـة مـن ٢٥ حالـة، ومـن خـلال إجـراء مقابـلات متعمقـة مـع طالبـات يدرسـن في كليـة أكاديميـة مختلطـة مـن الطـلاب العـرب واليهـود، وكان الغـرض مـن ذلـك هـو تحديـد كيـف تـرى الطالبـات الحجـاب، ويعتمـد تحليـل المقابـلات عـلى سرد الفتيـات فيـما يتعلـق بالحجـاب، وهـذه المنهجيـة مهمـة ومناسـبة للبحـث النوعـي ويسـاعد في الكشـف عـن الحقيقـة وفهـم مواقـف مـن أجريـت معهـم المقابـلات، ومنحهـا معنـى أعمـق، وكشـفت الدراسـة أن الدافـع لإرتـداء الحجـاب ليـس دينيًّـا فقـط، كـما كشـفت أيضًـا أن الحجـاب يعـبر عـن تصـورات اجتماعيـة وثقافيـة واقتصاديـة وسياسـية، ويرتـدي جميـع المسـتجيبين الحجـاب وأعمارهـم تـتراوح بـين ١٨-٢٦ سـنة، وكان هنـاك خمسـة منهـم متزوجـات كـن يسـعن للحصـول عـلى دبلـوم تعليمـي ليصبحـن معلـمات، وجـاء التسـاؤل الرئيـسي للدراسـة وتمثـل في كيـف تـبرر الطالبـات الجامعيـات الفلسـطينيات اختيارهـن لإرتـداء الحجـاب؟ وكيفيـة رؤيـة هـؤلاء الطـلاب للحجـاب، ومـا هـو التصـور المقبـول فيـما يتعلـق بأهميـة الحجـاب لهـم؟

وأوضحـت الدراسـة أنـه لم تعـد الفكـرة التقليديـة للحجـاب كوسـيلة لقمـع حريـة المـرأة صحيحـة، وأوضحـت أن الحجـاب يعتـبر رمـزًا اجتماعيًـا وأخلاقيًـا، ويمنـح المـرأة الإحـترام ويحمـي عفتهـا ومعيشـتها، خاصـة في الآونـة الأخـيرة، وحصلـت المـرأة مـن خلالـه عـلى قيمـة اجتماعيـة كبـيرة وأصبحـت رمـزًا للثقافـة والهويـة الإسـلامية، وممـا لا شـك فيـه أن إرتـداء الحجـاب يعـد واجبًـا دينيًّـا وضرورة أخلاقيـة والتزامًـا قبـل أن يصبـح سـلوكًا اجتماعيًّـا وممارسـة ثقافية.

وتشير النتائج إلى:

- إرتـداء الحجـاب كان نتيجـة للقيـم الثقافيـة والعائليـة كعوامـل رئيسـية، بـدلًا مـن التأثـير المبـاشر للديـن، وتجـدر الإشـارة إلى أنـه في كثـير مـن الحـالات يكـون هنـاك تمييـز بـين الديـن والقيـم الثقافيـة داخـل المجتمـع المسـلم، وفي كثـير مـن الحـالات يكـون وزن القيـم الثقافيـة أكـبر مـن وزن القيـم الدينيـة.

- الحجـاب هــو مظهــر مــن مظاهــر بعــض الضغــوط النفســية والاجتماعيــة عــلى فتيــات الجامعــات، حيــث تحــاول الفتيــات التوفيــق بــين نوعــين مــن المفاهيــم والقيــم، فهنــاك مفاهيــم تقليديــة يرثونهــا ومفاهيــم أخــري يكتســبونها ثقافيًــا، مــما قــد يســبب بعــض التناقضات.

- يشــكل الحجـاب أحـد الإحتياجـات النفسـية والاجتماعيـة للطـلاب، وهـو تعبـير ثقـافي يميـز بـين الرجـال والنسـاء في المجتمـع الإسـلامي، ويتطـور وفقًـا للظـروف الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصاديــة المتغــيرة في ضــوء تميــز الجســد الأنثــوي وطبيعتــه، ويلــزم الإســلام النســاء بارتــداء الحجــاب بســبب القيــم الاجتماعيــة والنفســية والدينيــة والجماليــة، وهــذه القيمــة الأخــيرة هــي الســائدة اليــوم بــين الطالبــات الجامعيــات الفلســطينيات في إسرائيــل، ومــما لا شــك فيــه أن الطالبــات الجامعيــات تــرى أن الحجــاب الحديــث هــو اســتراتيجية للتمســك بالديــن الإســلامي وإرضــاء الأسرة مــن ناحيــة، وتــري أيضًــا أنــه يســاعدها في الظهــور بمظهــر أنيــق وجميــل مــن ناحيــة أخــرى. كــما يــرون أنــه لا يعوقهــا أبــدًا عــن التحــرك بســهولة وحريــة.

٢- دراسة **Yvonne Yazbeck Haddad**

بعنوان: الحجاب بعد الحادي عشر من سبتمبر كأيقونة (٥)

تـرى هـذه الدراسـة أن عمليـة إعـادة الأسـلمة قـد تسـارعت وتزايـدت في أعقـاب أحـداث الحـادي عــشر مــن ســبتمبر، لأن ظهــر عــددًا متزايــدًا مــن المراهقــين والشــباب (بنــات المســلمين المهاجريــن) يفترضــون هويــة إســلامية عامــة مــن خــلال إرتــداء (الحجــاب). ولقــد اعتمــدت الدراســة عــلى دراســة عقديـن مـن البحـث حـول المجتمعـات الإسـلامية الأمريكيـة مـع القيـام بالمقابـلات المتعمقـة مـع الشـباب الأمريــكي المســلم.

(5)Yvonne Yazbeck Haddad, The Post-9/11 Hijab as Icon ,Sociology of Religion, Georgetown University,Volume_68, Issue 3, Fall 2007.

واعتمد الدراسة على المقابلات المتعمقة مع أكثر من ٣٠ حالة من الشابات المسلمات، حيث تم الإلتقاء بهم في تجمعات إسلامية مختلفة في جميع أنحاء البلاد، ووجدت هذه الدراسة أن الحجاب أصبح رمزًا للهوية الإسلامية الأمريكية، ووجوده يمثل تأكيدًا عامًا للثقة في النظام الأمريكي الذي يضمن حرية الدين والعقيدة، وفي الوقت نفسه أصبح أيضًا رمزًا للتضامن ومناهضة الإستعمار في جهوده للقضاء على الإسلام في بيئة أمريكية يُنظر إليها بشكل متزايد على أنها معادية للإسلام. وناقشت الدراسة الآثار المترتبة على دور الحجاب في عملية إعادة الأسلمة التي تسارعت في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر، حيث زاد عدد المراهقين والشباب الذين إرتدوا الحجاب.

٣- دراسة **Rhys H. Williams، Gira Vashi**

بعنوان:الحجاب والمرأة المسلمة الأمريكية[٦]

تهدف الدراسة إلى دراسة حالة المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف يتم التفاوض فيما بينهم على الممارسات الدينية الإسلامية وتكييفها مع الثقافة الجديدة، ويعتبر الحجاب الذي ترتديه العديد من النساء المسلمات رمزًا واضحًا ومثيرًا للجدل نظرًا لإختلافات المسلمين عن المسيحية الأمريكية المهيمنة، كما أوضحت الدراسة أن قرار ارتداء الحجاب يحدث في سياق ثقافي ذي شقين:

الأول افتراض العديد من غير المسلمين أن الحجاب يجسد إنتهاك الإسلام الأصيل لـ «الحقوق المتساوية» للمرأة، والثاني هو نقد إسلامي واسع الإنتشار للثقافة الأمريكية بسبب الفردية والمادية والأعراف الجنسية المتساهلة، واعتمدت الدراسة على المقابلات والملاحظات مع طلاب الجامعات الأمريكية.

ومن خلال ذلك فإننا نستكشف السياق والمعاني لإرتداء الحجاب بأشكال متعددة كرمز ديني واجتماعي، وأنه يوفر علامة وهوية واضحة مدى الحياة، ويوفر مساحة شرعية وثقافية للشابات اللاتي يصغن هويات أميركية مسلمة.

(6)Rhys H. Williams, Gira Vashi ,Author Notes Hijab and American Muslim Women: Creating the Space for Autonomous Selves, Sociology of Religion, University of Illinois, Chicago Volume 68, Issue 3, Fall 2007.

وتشير نتائج الدراسة إلى أنه:

بينما يحمل الحجاب أهمية دينية، إلا أنه يعد رمز اجتماعيًا أيضًا، وأن بعض النساء يرتدين الحجاب لتحقيق الذات، ويركز المجتمع الأمريكي بشكل كبير على تحقيق المساواة والإستقلال والعمل على إثبات هوية شخصية مستقلة لأفراده.

٤- دراسة الهزايمة محمد

بعنوان: الأيديولوجية الاستئصالية لدى الغرب:حجاب المرأة المسلمة، نموذجًا[٧]

تستهدف هذه الدراسة إبراز دور الغرب في مواجهة المظاهر الإسلامية فيما يخص حجاب المرأة المسلمة،الذي أخذ الغرب يضيق به ذرعًا، وقد بُنيت الدراسة على فرضية قائمة على أن العلاقة بين المظاهر الإسلامية ومنها الحجاب والسياسات الغربية علاقة طردية، وتشكل هذه الظاهرة «الحجاب» عاملًا مؤرقًا لصناع السياسة في الغرب، وإن ما ذهبت إليه الدراسة من أهداف كانت بمجملها بيان واقع الحرية الفردية لدى المسلمين بالغرب، وأسباب التوجس من ظاهرة الحجاب لدى الغربيين.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، لبيان الكيفية التي تم بها استقرار الحجاب في الغرب، وكيف أصبح مؤرقًا لصانع القرار السياسي هناك؟

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

أ- أن الحجاب رمزا للهوية الإسلامية، والضجة حوله ترمي إلى تسييس قضيته للنيل من المسلمين وهويتهم، وتركيز الغرب على الحجاب من بين مظاهر طوائف الأديان الأخرى يعد دليل على نظرتهم العنصرية للإسلام والمسلمين.

ب- إن تمسك المرأة المسلمة في الغرب بحجابها يعود لأسباب ثلاثة هي:

- أنه يعبر عن الهوية الدينية الإسلامية، ومعززة للشخصية القومية في مواجهة القوميات الأخرى في المجتمعات الغربية، ويعبر عن الشخصية التاريخية لتلك المرأة القادمة من الشرق.

(٧) دراسة الهزايمة محمد، الأيديولوجية الإستئصالية لدى الغرب: حجاب المرأة المسلمة نموذجًا، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة أل البيت – عمادة البحث العلمي،٢٠١١.

- إن النظـرة الغربيـة للحجـاب نظـرة عنصريـة، وخصوصًـا عنـد ملاحقتـه مـن بـين المظاهـر الدينيـة لبقيـة مختلـف الأديـان الأخـرى هنـاك.
- إن سـعي الغـرب لحظـر الحجـاب يهـدف إلى إفسـاد المـرأة المسـلمة، وصـولًا إلى إفسـاد المجتمعـات الإسـلامية في بـلاده، وتذويبهـا في المجتمعـات الغربيـة.

٥- دراسة إدريس بن سعيد

بعنوان: الشباب والحجاب في المغرب.[٨]

تهـدف الدراسـة إلى معرفـة التمثيـلات المختلفـة للحجـاب المنتـشرة بـين الشـباب مـن الجنسـين، ومحاولـة فهـم الأسـباب الكامنـة التـي تدفـع بأعـداد متزايـدة مـن الشـباب لارتـداء الحجـاب ورصـد تأثـير ارتـداء الحجـاب عـلى درجـة وطبيعـة مشـاركة الفتيـات في الأنشـطة، وتكونـت عينـة الدراسـة مـن الشـباب مـن الجنسـين، الذيـن تـتراوح أعمارهـم بـين ١٥ و٢٥ سـنة موزعـين عـلى خمـس مجموعـات بؤريـة روعـي فيهـا التمثيـل المتسـاوي بـين الفتيـات اللـواتي يرتديـن الحجـاب ومـن لا يرتدينـه، ووجـدت الدراسـة أن رمزيـة الحجـاب تتجـاوز الـزي وطـرق ارتدائـه إلى توجيـه رسـالة مـن المحجبـة إلى المتلقـين الآخريـن المختلفـين عنهـا، قـد يكـون أفـرادًا أو جماعـات أو ثقافـات أخـرى.

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:-

كشـف تحليـل إجابـات المبحوثـين أن الدافـع الدينـي أو المعرفـة بالنصـوص لا تسـبق في الغالـب قـرار ارتـداء الحجـاب، وإنـــما تبنـي وتتأســـس لـدى مجموعـة هامـة مـن المبحوثـات بعـد ارتـداء الحجـاب.

وقـــد عـــبر عـــدد كبـــير مـــن المبحوثـــات عـــلى أن ارتـــداء الحجـــاب عنـــد البلـــوغ تحـــول تدريجيًّـــا إلى «طقـــس اجتماعـــي» عـــلى شـــكل تعاقـــد ضمنـــي بـــين الأسرة خاصـــة الأب وبـــين الفتـــاة التـــي ولجـــت عـــالم الأنوثـــة بالســـماح لهـــا بالخـــروج مـــن البيـــت، وإرتيـــاد المجـــال العـــام مقابـــل ارتـــداء الحجـــاب، والـــذي يمثـــل بالنســـبة للآبـــاء حـــدًا أدنى مـــن الضمانـــات التـــي لا

(٨) إدريس بن سعيد. الشباب والحجاب في المغرب:دراسة سوسيولوجية. الجمعية الديموقراطية لنساء المغرب، ٢٠٠٧.

يمكـن التنـازل عنهـا في سـياق مجتمعـي ضعفـت فيـه آليـات المراقبـة الاجتماعيـة وتكاثـرت فيـه منزلقـات الحجـاب وآليـات الإدمـاج والإقصاء.

كـما خلصـت الدراسـة إلى وجـود ثـلاث عوامـل مسـببة لإنتشـار الحجـاب خاصـة في الوسـط الجامعي وهـي العامـل الاقتصـادي والعامـل الدينـي والعامـل العائـلي، كـما أشـارت الدراسـة إلى أن العديـد مـن الشـباب لا يـرون في الحجـاب رمـزًا دينيًّـا أو انتـماءًا إيديولوجيًـا بالـضرورة، بـل أنـه لباسًـا يخضـع كغـيره للكثـير مـن تقلبـات الموضـة والواقـع، خاصـة في ظـل الجهـل بالمقتضيـات الشرعيـة ومقاصـد إرتـداء الحجـاب.

٦- دراسة: رتيبة أزوين

بعنوان: الحجاب بين الشرعية والموضة

دراسة ميدانية مقارنة بين الحجاب الشرعي والحجاب العصري [٩]_

تهـدف الدراسـة إلي رصـد ظاهـرة اجتماعيـة تتعلـق بالتغـير الواقـع اليـوم وبشـكل مسـتمر ومثـير عـلى إحـدى القيـم الاجتماعيـة، ورمـز مـن رمـوز الثقافـة الإسـلامية، وعنـصر مـن عنـاصر المنظومـة الأخلاقيـة، وتعاليـم الديـن، وهـو الأمـر الـذي يتعلـق باللبـاس الشرعـي للمـرأة «الحجـاب» أمـام موجـة التأثـير الـذي تحدثـه حركـة الموضـة، باعتبـاره آليـة نشـطة وميكانيـزم فعـال للتغـير الثقـافي الهـادف والموجـه، لاسـيما في ظـل التطـور المتزايـد لوسـائل الدعايـة والترويـج.

وتحـاول هـذه الدراسـة رصـد إلى أي مـدى أثـرت ومـا زالـت تؤثـر حركـة الموضـة كآليـة مـن آليـات التغـير الاجتماعـي - في إطـار مـشروع التحديـث - عـلى لبـاس المـرأة الشرعـي «الحجـاب» والتـي أدت إلى ذيـوع أشـكال جديـدة للحجـاب لم تكـن موجـودة مـن قبـل، فقـد اتخـذ كحـلًا وسـطًا وهروبًا مـن الإحراج الاجتماعـي الـذي سـببه الظهـور القـوي للحجاب، فلجـأت المـرأة إلى الحجاب العـصري، وتفننـت في إرتدائه بمواصفـات وأشـكال جديـدة، فهـل حقًـا أصبح الحجـاب موضة؟ ومـا هي الفئـة الاجتماعية الأكـثر لجوء إلى

(٩) رتيبـة أزوين،الحجـاب بـين الشرعيـة والموضة،دراسـة ميدانيـة مقارنـة بـين الحجـاب الشرعـي و الحجـاب العـصري، كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة قسـم اجتـماع، الجزائـر، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة،٢٠٠٨.

هـذا النـوع مـن الحجـاب؟ وهـل بلـغ تأثـير الموضـة عـلى الحجـاب إلى درجـة تجريـده مـن مواصفاتـه الشرعيـة؟ ومـا هـي طبيعـة الأسر التـي تلجـأ إلى الموضـة في الحجـاب؟

واعتمـد البحـث عـلى المنهـج التاريخـي في عـرض تطـور ظاهـرة الحجـاب والتعـرف عـلى الأشـكال التـي كان عليهـا قديمًـا وصـولًا إلى شـكله الحـالي، كـما عرضـت نشـأة الموضـة وظهـور هـذه الحركـة وتطورهـا، واسـتخدمت الدراسـة المنهـج المقـارن للمقارنـة بـين الحجـاب الشرعـي والحجـاب العـصري، خاصـة فيـما يتعلـق بنوعيـة اللبـاس وإتبـاع الموضـة، وخصوصيـات ومفهـوم الحجـاب الشرعـي، وطبيعـة أسر المبحوثـات.

وكان نـوع العينـة هـو العينـة العمديـة، وبلـغ عـدد العينـة الإجـمالي١٢٠، مقسـمة إلى عينتـين، وتشـمل العينـة الأولى المتحجبـات اللـواتي ترتديـن حجـاب شرعـي، وتضـم أربـع فئـات اجتماعيـة: ثانويات، وربـات بيـوت، وجامعيـات، وعامـلات، وتخـص العينـة الثانيـة المتحجبـات اللـواتي ترتديـن حجـاب غـير شرعـي ويخضـع للموضـة، وتنقسـم إلى نفـس فئـات العينـة الأولى، وقـد بلـغ عـدد كل عينـة ٦٠مبحوثـة، مقسـمات إلى ١٥ مبحوثـة في كل فئـة، وتضـم عينـة البحـث أربـع فئـات اجتماعيـة تشـمل مختلـف المراحـل العمريـة، ومختلـف الأوضـاع الاجتماعيـة، وهـذا مـا جعلنـا نتوجـه إلى الأماكـن التـي تتواجـد فيهـا المبحوثـات المتحجبـات اللـواتي تريديـن الحجـاب الشرعـي والعـصري.

وتشير نتائج الدراسة إلى:-

- تعـددت أشـكال الحجـاب وتراوحـت بـين الشرعيـة والموضـة، فمنهـا اللبـاس الشرعـي المحتشـم الـذي لا يـزال يحافـظ عـلى مواصفاتـه الشرعيـة، ويحافـظ عـلى عفـة المـرأة وحيائهـا، ومنهـا اللبـس الـذي يعتمـد عـلى الموضـة.
- تفقـد الموضـة الحجـاب أهدافـه ومقاصـده بصفـة خاصـة، وتفقـد وظائـف اللبـاس المتمثلـة في الإحتشـام والتديـن، فقـد اتضـح أن الكثـير مـن المتحجبـات ارتديـن هـذا النـوع مـن اللبـاس ليـس لغـرض التديـن، بـل مسـايرة لحركـة الموضـة، وتأثـرًا بجاذبيتهـا وخضوعًـا لسـلطتها التـي جعلتهـن تطعنهـا طاعـة عميـاء بالابتعـاد عـن الحشـمة والحيـاء، واللجـوء إلى اللبـاس غـير اللائـق والخليـع في بعـض الأحيـان.

– يعتبر الحجاب العصري استراتيجية غربية لإفساد المرأة المسلمة، ترتكز على إزالة حيائها وتنفيرها من دينها من خلال الأشكال التي تروجها لمجتمعاتنا الإسلامية.

٧- دراسة كاثرين بولوك *، ترجمة شكري مجاهد

بعنوان: نظرة الغرب إلى الحجاب الإسلامي (١٠)

تهدف الدراسة إلى التعرف على الصورة النمطية الغربية الشائعة عن ارتباط الحجاب بقهر المرأة، فكانت فكرة الباحثة هي أن الرأي الغربي الشائع حول كون الحجاب رمزًا لقهر المرأة المسلمة ما هو إلا صورة مختلقة لا تعكس خبرة النساء اللاتي يرتدين الحجاب، هذه الصورة المختلقة كانت دائمًا في خدمة السياسة الغربية، وما زالت كذلك في القرن الحادي والعشرين، وبالإضافة إلى ذلك ترى الباحثة أن القول بارتباط الحجاب بالقهر قائم على تعريفات ليبرالية لمفهومي «المساواة» و«الحرية»، وهذه التعريفات تعوق بدورها طرقًا أخرى لفهم «المساواة» و«الحرية»، من شأنها أن تتيح مدخلًا أكثر إيجابية للتفكير في إرتداء المرأة للحجاب، واستهدفت الدراسة تغير الصورة النمطية الشائعة عن إرتباط الحجاب بقهر المرأة، وبيان كيف أصبح الحجاب ظاهرة اجتماعية أثارت الجدل في الغرب والعالم الإسلامي.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي حيث قامت الباحثة بإجراء مقابلات

---

(١٠)كاثرين بولوك، ترجمة شكري مجاهد، نظرة الغرب إلى الحجاب الإسلامي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١.

* باحثة كندية محاضرة في قسم العلوم السياسية بجامعة تورنتو اعتنقت الإسلام في عام ١٩٩٤ قدمت دراستها للدكتوراه عن الحجاب قامت فيه بتعرية الصورة النمطية للمرأة المسلمة في العقلية الغربية، وردت فيها على التهم التي توجه بالجملة للشريعة الإسلامية كما أنها وضعت التهمة المحببة للعلمانيين (الإسلام ظلم المرأة) في ميزان البحث العلمي.. كما أنها أسلمت أثناء الإعداد لأطروحة الدكتوراه وارتدت الحجاب و أطالت النفس في مناقشة موضوع الحجاب وما يتعلق به من أمور.

شخصية مع بعض النساء في مدينة تورنتو في كندا، وأعدت الباحثة استبيان، وكان جوهر الرسالة إجراء مقابلات شخصية مع بعض النساء المسلمات في تورنتو بكندا، للتعرف على رؤيتهن للحجاب وأفكارهن عن الإسلام والحجاب وحياتهن الشخصية.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج:-

- يعد الحجاب لباسًا لغرض دينيًا وإنه ليس من صور القهر بل هو جزء من دين يمنح النساء المسلمات الكرامة والإحترام.
- أظهرت الدراسة أن صورة الحجاب لا تعكس خبرة النساء اللاتي يرتدين الحجاب، وهذه الصورة عن الحجاب في الغرب، وكانت تستخدم دائمًا في خدمة السياسة الغربية، وما زالت كذلك في القرن الحادي والعشرين.
- إن إرتباط الحجاب بالقهر قائم على نظرة غربية لمفهوم المساواة والحرية، وهذه التعريفات تعوق بدورها طرق أخرى لقيم المساواة والحرية.
- إن الثقافة الغربية منحازة بشكل جذري ومتأصل ضد الإسلام والمسلمين وأن النساء المسلمات في الغرب اللاتي يرتدون الحجاب لأنهم يرون أنه اللباس المفروض دينيًا، وأصبح رمزًا إسلاميًا ظاهرًا في الشارع الغربي.

٨- دراسة الزبيدي، راضي عنون مهدى شمخي

بعنوان: رمزية الحجاب: دلالاته الاجتماعية ومظاهر الإنحراف:دراسة ميدانية [١١]

أوضحت الدراسة أن هناك دلالات اجتماعية تتمثل في رمزية الحجاب، وهو علامة دالة على المفاهيم الراسخة والمتوارثة حول صورة جسد المرأة، واشتملت عينة الدراسة على (٤٠٠) امرأة محجبة تم اختيارهن عن طريق العينة العشوائية الطبقية في أحياء مختلفة من مدينة الديوانية منها(غنية، متوسطة، فقيرة)، واستعان الباحث في جمع البيانات باستمارة الإستبيان التي تحتوى على مجموعة من الأسئلة التي تناولت الخصائص الفردية والاجتماعية لعينة الدراسة والبيانات الخاصة بالظاهرة، واعتمد

(١١) الزبيدي،راضي عنون مهدي شمخي، رمزية الحجاب:دلالاته الاجتماعية ومظاهر الإنحراف: دراسة ميدانية، كلية الآداب، جامعة القادسية،٢٠١٤.

الباحث على عدد من الطرائق والمعادلات الإحصائية في تحليله لبيانات الدراسة وجداولها كالنسبة المئوية، واعتمد الباحث على المنهج التاريخي والمنهج المقارن في المسح الميداني، وتوصلت الدراسة إلى أن ظاهرة الحجاب متعددة الأبعاد والمستويات بوصفها ظاهرة اجتماعية تتصل بثقافة المجتمعات التي تعيش فيها المرأة.

٩- دراسة **Maryam atta**

بعنوان:غطاء الرأس في أمريكا، التوجهات والإعتبارات وسلوكيات النساء المسلمات، قبل وبعد الإنتخابات الرئاسية. [١٢]

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تجربة المرأة المسلمة التي تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية في إرتداء الحجاب، وتم مقابلة خمس نساء مسلمات يرتدين الحجاب لمعرفة آرائهن فيما يتعلق بتصوراتهم حول ما يعتقده الآخرون عنهم، وكيف يتعاملون في الأماكن العامة فيما يتعلق بأغطية الرأس؟ وما تأثير ذلك على سلوكياتهم مع غيرهم من الأفراد؟ وما إذا لاحظوا أي اختلافات في هذه التصورات والسلوكيات قبل وبعد عام ٢٠١٦ وفي فترة الإنتخابات الرئاسية.

وتناولت الدراسة التساؤلات التالية:-

- هل ارتداء الحجاب يؤثر على الطريقة التي تتعامل بها المرأة في سلوكها الاجتماعي؟
- هل هناك أي اختلافات في تلك التصورات والسلوكيات قبل وبعد الإنتخابات الرئاسية؟

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

أن الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ليس لديهم أفراد من الأسرة يرتدون الحجاب، على الرغم من أن أسرهم داعمة أو على الأقل غير مهتمة بموضوع الحجاب، وليس

(12) maryam atta headscarf in America:perceptions, considerations, and behaviors of muslim women befire and after the 2016 presidential election the faculty of the graduate school at the university of north Carolina at Greensboro degree master of arts by proquuest, 2018.

لديهـم مخـاوف مـع التأثـير الخارجـي مـن الأعـراف الأسريـة والاجتماعيـة لبلدهـم ولم يذكـر أحداهـم أن ثمـة إكـراه في ارتـداء الحجـاب أو أن ارتـداء الحجـاب متعلـق بوجـود الذكـور في حياتهم.

١٠- دراسة **Nausheen Pasha-Zaidi**،

بعنوان: تأثير الحجاب على تصورات الجاذبية والذكاء وقابلية التوظيف

دراسة مقارنة لنساء مسلمات جنوب آسيا في الولايات المتحدة والإمارات العربية المتحدة.(١٣)

تبحـث هـذه الدراسـة في تأثـير (الحجـاب الإسـلامي) عـلى تصـورات الجاذبيـة والـذكاء وقابليـة التوظيـف بـين النسـاء المسـلمات مـن جنـوب آسـيا في الولايـات المتحـدة والإمـارات العربيـة المتحـدة، وكذلـك فحـص آثـار التديـن والتمييـز المـدروس، وتشـير النتائـج إلى أن الحجـاب كان علامـة بـارزة مـن التفضيـلات للتوظيـف داخـل المجموعـة للحجـاب، ولكـن عـدم وجـود الحجـاب لم يكـن بالـضرورة شرطًـا بـارزًا لتعزيـز هـذه التفضيـلات داخـل المجموعـة لغـير المحجبـات.

وأوضحـت الدراسـة أن التديـن يرتبـط ارتباطًـا وثيقًـا بوضـع وسـمات الحجـاب الشـخصي؛ ومـع ذلـك لم يكـن للتديـن تأثـير عـلى تصـورات الجاذبيـة أو الـذكاء، إلا في الإمـارات العربيـة المتحدة.

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

أيـدت الدراسـة النتائـج السـابقة في بعـض النواحـي، لكنهـا أضافـت أيضًـا معرفـة جديـدة تقـارن بـين تصـورات المحجبـات وغـير المحجبـات، وكذلـك النسـاء المسـلمات عمومًـا، في السـياق الغـربي والإسـلام، نظـرًا لأن الحجـاب يسـتخدم غالبًـا كاختبـار داخـل المجتمعـات المسـلمة لتحديـد مكانـة المـرأة المسـلمة.

(13) Nausheen Pasha-Zaidi, The Influence of Hijab on Perceptions of Attractiveness, Intelligence, and Employability: A Comparative Study of South Asian Muslim Women in the US and the UAE, A Dissertation Submitted to the Faculty of The Chicago School of Professional Psychology ,Degree of Doctor of Philosophy, May 19, 2012.

ونظـرًا لأن تصـورات الجاذبيـة والـذكاء تؤثـر عـلى التفاعـلات الاجتماعيـة والحـوار بـين المجموعـات وحتــى الوصــول إلى التعليــم والعمــل، فــإن فهــم كيــف تنظــر المــرأة المســلمة إلى الحجــاب مــن حيــث هــذه المتغـيرات يمكــن أن يؤثــر بشــكل كبــير عــلى حــركات العدالــة الاجتماعيــة والخطــاب النسوي.

وقـد تؤثـر الدراسـة أيضًـا عـلى المنظـمات العاملـة في العـالم الإسـلامي أو مـع النسـاء المسـلمات في الـدول الغربيـة، نظـرًا لأن العولمـة قـد زادت مـن الإعتـماد المتبـادل بـين مناطـق مختلفـة مـن العـالم، فقـد تجـد الـشركات متعـددة الجنسـيات التـي تعمـل في دول الخليـج أو تتطلـع إلى الاسـتثمار فيهـا أن الحجـاب جـزء مـن هـذه القاعـدة، ومـع ذلـك تشـير الدراسـة إلى أن الحجـاب ليـس إنعكاسًـا بسـيطًا للتديـن بـين النسـاء المسـلمات عـلى الرغـم مـن أن النسـاء المسـلمات الأكـثر تدينًـا يميلـون إلى الحجـاب في الأماكـن العامـة، وبالتـالي فـإن الصـور الإيجابيـة للحجـاب التـي تسـتخدمها الـشركات متعـددة الجنسـيات ومنافـذ الوسـائط للتطبيقـات العمليـة مثـل الإعـلان أو تسـويق المنتجـات يمكـن أن تـروق لـكل مـن المحجبـات وغـير المحجبـات.

بالمقابـل تـري الدراسـة أن الصـور السـلبية للحجـاب قـد تثـير سـخط النسـاء المسـلمات بشـكل عــام بغــض النظــر عــن وضعهــن الشــخصي وتقبلهــن للحجــاب، وتصــورات قابليــة التوظيــف في هــذه الدراســة تشــير إلى النظــر إلى الحجــاب عــلى أنــه أقــل قابليــة للتشــغيل في كل مــن الســياق الغــربي والإســلامي، وهــذا تصــور مقلــق بشــكل خــاص لأنــه قــد يؤثــر ســلبًا عــلى تقديــر الــذات وفعاليــة النســاء المســلمات الــلائي يرتديــن الحجــاب ويهتمــن بدخــول ســوق العمــل، خاصــة بــين الأجيــال الشــابة، ونتيجــة لذلــك قــد يكــون لهــذه الدراســة تأثــير عــلى المنظــمات التــي تتطلــع إلى توظيــف موظفــين مؤهلــين.

وتتفــق نتائــج هــذه الدراســة مــن نتائــج البحــث الســابق الــذي يشــير إلى التأثــير الســلبي للحجــاب عــلى قابليــة التوظيــف في الســياقات الغربيــة ويمتــد هــذا التصــور إلى العــالم الإسلامي.

١١- دراسة Kenneth E. Jackson Turner، Elizabeth

بعنوان: معنى الحجاب: أصوات المرأة المسلمة في مصر واليمن [١٤]

تهـدف هـذه الدراسـة إلى استكشـاف كيـف تفهـم النسـاء المسـلمات في مـصر واليمـن معنـي الحجـاب، حيـث تـم فحـص الإختلافـات حـول معنـى الحجـاب مـن منظـور النسـاء الـلائي يرتديـن أو مـن المتوقـع أن يرتـدي وشـاح الـرأس، ولقـد اشـتملت تسـاؤلات الدراسـة عـلى عـدة تسـاؤلات مثـل مـاذا يعنـي الحجـاب؟ مـا هـي الأسـباب الدينيـة لارتـداء الحجـاب؟ وتـم التركيـز عـلى الأسـباب الدينيـة وتأكيـد المـرأة اليمنيـة عـلى الفهـم الثقـافي، وبالنسـبة للمـرأة المصريـة فالأسـباب الدينيـة كانـت لهـا الأولويـة، ولقـد فحصـت الدراسـة التصـورات المرتبطـة بالـزي الإسـلامي بـين عينـة للمـرأة المسـلمة في صنعـاء باليمـن والقاهـرة، ورأت أن غالبيـة النسـاء في صنعـاء يرتديـن ملابـس موحـدة، وعـادة مـا تكـون هـذه الملابـس سـوداء اللـون.

واعتمـد البحـث عـلى منهـج المسـح الاجتماعـي، وتـم الانتهـاء مـن المسـح الاجتماعـي عـبر الإنترنـت مـن خـلال اسـتخدام البريـد الإلكـتروني للمسـتجيبين، واقتـصرت العينـة عـلى المسـلمات المصريـات أو اليمنيـات ضمـن المجموعـة المختـارة، وتـتراوح أعمارهـم بـين ١٨ عامًـا ومـا فـوق في البدايـة، تـم إرسـال المسـح إلى عـدد مختـار مـن جهـات الإتصـال، وتركـزت الاتصـالات الأوليـة عـلى النسـاء في الجامعـة.

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

- النسـاء المصريـات هـم الأرجـح في تحديـد مفهـوم الحجـاب، ويذكـر الكثـيرون أن الحجـاب هـو رمـز لقمـع نسـاء، وهنـاك شـعور بـأن هـؤلاء النسـاء يعتقـدون أن الرجـال يريـدون السـيطرة عـلى حياتهـم ويسـتخدمون الحجـاب كأداة لتحقيـق هـذا الهـدف.

(14)Kenneth E. Jackson Turner, Elizabeth (2015), The Meaning of Hijab: Voices of Muslim Women in Egypt and Yemen, Journal of International Women's Studies, 16(2), 30-48.

- ومـن ناحيـة أخـرى تعتقـد المـرأة في اليمـن، أن هـذا هـو مصيرهـم في الحيـاة وعليهـا القيـام بذلـك كـما أمـرت٥ معتقداتهـم الدينيـة.

١٢- دراسة **(Amy Lynn Shin):**

بعنوان: المرأة المسلمة والحجاب: دراسة تجريبية للتحيز الاجتماعي.[١٥]

تهـدف الدراسـة إلى التعـرف عـلى التحيـز الاجتماعـي تجـاه المسـلمين، مـع التركيـز بشـكل خـاص عـلى النسـاء المسـلمات الـلاتي يرتديـن الحجـاب باسـتخدام (لـون البـشرة) و(شـكل الحجـاب) وتـم عرضهـا عـلى المشـاركين وطلـب منهـم الإجابـة عـلى عـدد مـن عنـاصر المسـح التـي تهـدف إلى قيـاس التحيـز الاجتماعـي.

وشـملت تدابـير التحيـز الاجتماعـي عـلى الجـذب والتشـابه والمسـافة الاجتماعيـة، والقوالـب النمطيـة، حيـث كانـت هنـاك سـتة حـالات تجريبيـة تـم فيهـا تكليـف المسـتجيبين بعـرض إحـدى الصـور السـت لوجـه أنثـوي، والتـي تختلـف مـن حيـث لـون البـشرة ونـوع غطـاء الـرأس.

وجـدت الدراسـة أن شـكل الحجـاب هـي مـؤشر مهـم عـلى التحيـز الاجتماعـي، وفي معظـم الحـالات وكانـت هنـاك أيضـا فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في التحيـز الاجتماعـي عـلى أسـاس لـون البـشرة،، وكان التحيـز الاجتماعـي القائـم عـلى شـكل الحجـاب أكـثر وضوحًـا بالنسـبة للنسـاء ذات البـشرة الفاتحـة.

وبشـكل عـام، كان التحيـز الاجتماعـي يـدل عـلى أن الديـن المسـتمد مـن تغطيـة الـرأس بالحجـاب هـو أكـثر المظاهـر الدالـة عـلى التحيـز الاجتماعـي أكـثر مـن العـرق، كـما هـو مسـتمد مـن لـون البـشرة، بالإضافـة إلى ذلـك سـاعد الخـوف مـن الإسـلام، أو الخـوف مـن المسـلمين عـلى التنبـؤ بالتحيـز الاجتماعـي تجـاه النسـاء المسـلمات الـلاتي يرتديـن الحجـاب مـع تزايـد الخـوف مـن الإسـلام.

([15]) Amy Lynn Shin, Muslim women and the veil: An experimental study of social bias, Iowa State University, Degree of Doctor of Philosophy , proquest ,2015.

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

إن نتائـج هــذه الدراســة لهــا آثــار عــلى كل مــن قيــاس التحيــز الاجتماعــي وفهــم التحيــز الاجتماعــي تجــاه النســاء المســلمات الــلاتي يرتديــن الحجــاب، وتتمثــل إحــدى نقــاط قــوة هــذا البحــث في اســتخدام تجربــة الإنترنــت لقيــاس التحيــز الاجتماعــي، ومــن خــلال اســتخدام العينــة العشــوائية.

وتشــير النتائــج إلى أن الحجــاب هــو مــؤشر هــام للتحيــز الاجتماعــي، ومــع زيــادة نســبة الحجــاب زاد التحيــز الاجتماعــي أيضًــا، وكانــت هنــاك أيضًــا فــروق ذات دلالــة إحصائيــة في التحيــز الاجتماعــي عــلى أســاس لــون البــشرة، ومــع ذلــك كان التحيــز الاجتماعــي متوقعًــا بشــكل أفضــل مــن خــلال الحجــاب أكــثر مــن لــون البــشرة، وأكــثر مــن التحيــز للعِــرق، كــما هــو مســتمد مــن لــون البــشرة، وهــذا اكتشــاف مهــم عنــد محاولــة فهــم المصــدر الرئيــسي للتحيــز الاجتماعــي تجــاه النســاء المســلمات الــلائي يرتديــن الحجــاب، وتوســعت هــذه الدراســة في نتائــج تجربــة ســابقة عــلى شــبكة الإنترنــت عــن طريــق إضافــة لــون البــشرة، كبعــد مــن العِــرق إلى فحــص آثــار تغطيــة حجــاب المــرأة المســلمة عــلى التحيــز الاجتماعــي.

١٣- دراسة **Ed Hasan**

بعنوان: التمييز الديني في مكان العمل تجاه النساء المسلمات اللائي يرتدين الحجاب: [١٦]

تهـدف هـذه الدراسـة إلى تقييـم مـدى انتشـار التمييـز الدينـي في مـكان العمـل في الولايـات المتحدة تجـاه النسـاء الـلائي يرتديـن الحجـاب، ولتقييـم المعرفـة والدوافـع والحواجـز التنظيميـة والاجتماعيـة أو التأثـيرات عـلى حمايـة حقوقهـن الدينيـة في مـكان العمـل.

---

(16) Ed Hassan, Running head: WORKPLACE RELIGIOUS DISCRIMINATION AND THE HIJAB 1 ,Workplace religious discrimination toward Muslim women who wear the Hijab UNIVERSITY OF SOUTHERN CALIFORNIA , Degree of Doctor of Philosophy, proquest, May 2018.

استخدمت الدراسة تصميم الأساليب الكمية لجمع البيانات وتحليلها لتقييم الحواجز أو التأثيرات المفترضة باستخدام منهج أخذ عينات من كرة الثلج، تم نشر استطلاع للرأي عبر الإنترنت مرتبط بشكل معقد بالإطار المفاهيمي لهذه الدراسة على النساء اللائي يرتدين الحجاب في الولايات المتحدة التي كن يعملن سابقًا أو يبحث عن عمل، وكان هناك ٤٤٣ مستجيبًا للمسح، و ٣٣٦ مستجيبًا حققوا معايير الأهلية للدراسة.

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن العديد من الحواجز أو التأثيرات المفترضة قد تؤثر على قدرة النساء على ارتداء الحجاب لحماية حقوقهن الدينية في مكان العمل، وتتضمن الآثار المترتبة على الدراسة ضرورة قيام أرباب العمل بتعزيز التنوع والإدماج في مكان العمل والمساعدة في القضاء على التمييز الديني في مكان العمل من خلال الأدوات والموارد المختلفة، وكان لهجمات ١١ سبتمبر الإرهابية تأثير عميق على المجتمع المسلم، بما في ذلك النساء المسلمات اللائي يرتدين الحجاب.

١٤- دراسة: **Erum Tariq-Munir**

بعنوان: ديناميكيات لبس الحجاب للمرأة الأمريكية المسلمة في الولايات المتحدة.(١٧)

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العملية التي من خلالها تصل النساء المسلمات في الولايات المتحدة إلى قرار ارتداء الحجاب- على وجه التحديد- وحاولت الدراسة التعرف على:-

- العوامل الاجتماعية والعائلية التي تسهم في قرار المرأة بارتداء الحجاب.

- كيف تتصرف العائلة والأصدقاء استجابة لقرار المرأة بارتداء الحجاب.

ولقد اعتمدت الدراسة على دراسة حالة لمجموعة من النساء اللاتي يرتدين الحجاب.

(17) Erum Tariq-Munir, The Dynamics of Wearing hijab for Muslim16-American Women in the United States, Graduate Theses and Dissertations, Iowa State University.2014.

ووجدت الدراسة أن العملية التي ترتدي بها النساء المسلمات في أمريكا الحجاب متعددة الأبعاد وتتشكل بديناميكيات عائلية واجتماعية، وتجد المرأة في هذه الدراسة نفسها متأثرة بشكل مباشر أو غير مباشر بالنساء المسلمات حولها، فهناك احتمالات إذا كانت أم أو أخت المرأة ترتدي الحجاب فتقوم هي بارتدائه كذلك، وهذا ما رأوه أثناء نموهم، ويبدو أنه الشيء الطبيعي بالنسبة لهم أن يفعلوا ذلك أيضًا، ولكن هناك أيضًا حالات تكون فيها هؤلاء النساء أول نساء في عائلتهن يلبسن الحجاب، في هذه الحالة تصبح هي نفسها مصدر إلهام للنساء الأخريات حولها لبدء ارتداء الحجاب، وفي حالة النساء اللاتي اعتنقن الإسلام كبالغين ووجدوا القوة والإلهام والتشجيع من نساء مسلمات أخريات يحضرن المساجد في المنطقة بسبب عدم وجود أي فرد من أفراد الأسرة يمكن أن يتبعوه فيما يتعلق بقرارهن ارتداء الحجاب، وجد المتحولون إلى الإسلام أن النساء المسلمات الأخريات كن قدوة لهن في كثير من الأحيان، ويكون الحجاب جزءًا من الثقافة الحالية وجزء من المجتمع الأكبر الذي تنتمي إليه هؤلاء النساء، ويصبح كذلك جزءًا من الملابس اليومية الضرورية.

وتعرف النساء اللاتي يعتنقن الإسلام حديثًا أن الحجاب جزء من الشعائر، على عكس المسلمين بالميلاد، فإنهم يدرسون الدين لبعض الوقت، وبالتالي عندما يصبحون مسلمين، فإن ارتداء الحجاب هو رد فعل تلقائي.

هذا ما حدث للمشاركين في هذه الدراسة الذين اعتنقوا الإسلام، فبعض النساء قرروا ارتداء الحجاب أثناء تشخيص مرضهم، مما جعلهم أقرب إلى الله من خلال دراسة المزيد عن الإسلام وإدراكهم لتعاليمه، وبالتالي فقد بدأوا في إرتداء الحجاب، وتأثرت بذلك النساء الأخريات اللاتي اعتنقن الإسلام في الغالب، بالأحداث السياسية في الوقت الذي كان فيه المسلمون في دائرة الضوء السلبي، مثل هجمات ١١ سبتمبر أو حرب الخليج أو التغطية الإعلامية للسجناء في جوانتانامو.

أفادت نساء كثيرات أنهن يرتدين الحجاب بعد هذه الأحداث لإظهار للعالم أن المسلمين ليسوا جميعًا أشخاصًا سيئين أو عنصريين، فهم أشخاص على خلق ومبدأ،

ويتزايـد ذلـك مـن خـلال ارتـداء الحجـاب، وهـم بذلـك أرادوا أن ينكـروا وصمـة العـار المرتبطـة بـه، ويحسـنون صـورة الحجـاب.

كـما ناقـش المشـاركون في هـذه الدراسـة قـرار ارتـداء الحجـاب فكـما هـو متوقـع قـد يسـعد العديـد مـن العائـلات برؤيـة بناتهـم وأخواتهـم وزوجاتهـم يرتـدون الحجـاب ويرتـدون ملابـس متواضعـة، وفي الوقـت نفسـه هنـاك أيضًـا عائـلات مـن دول إسـلامية تعتقـد أن الحجـاب رمـز للتخلـف وأنـه يعـد ملبـس الطبقـات المتدنيـة في سـلم التـدرج الهرمـي الاجتماعـي.

وكان عـلى النسـاء المنتميـات إلى هـذه العائـلات أن يناضلـن مـن أجـل حقهـن في ارتـداء الحجـاب لأن هـذا هـو مـا يؤمنـن بـه، وقـد يمثـل الحجـاب بالنسـبة للبعـض الإفتقـار إلى الحداثـة والتعليـم، لكـن بالنسـبة لهـؤلاء النسـاء، فإنـه يمثـل هويـة المسـلم، ومـع ذلـك قـررت العديـد مـن النسـاء الأخريـات ارتـداء الحجـاب وعـدم تلقـي رد فعـل مـن أسرهـن.

ثانيًا: دراسات الوعي:

*(دراسات الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي)

١-دراسة عبد الباسط عبد المعطي

بعنوان: التعليم وتزييف الوعي الاجتماعي دراسة في استطلاع مضمون بعض المقررات الدراسية:[١٨]

هدفـت هـذه الدراسـة اسـتطلاع معرفـة مـا إذا كان التعليـم كنظـام وعمليـة ومخرجـات يمكـن أن يسـهم في تزييـف الوعـي الاجتماعـي للتلميـذ، بجانـب معرفـة مظاهـر هـذا التزييـف مـن خلال إسـتطلاع المـؤشرات الدالـة عـلى حالـة زيفـه، أمـا فكـرة الدراسـة فتـأتى مـن أن النظـام التعليمـي في أي مجتمـع في الـدول الناميـة ومـن بينهـا مـصر، لا تنحـصر فقـط في إعطـاء معـارف ومهـارات ومخرجـات علميـة وقتيـة مجـردة يحتاجهـا سـوق العمـل بل هـي تتجاوز هذا الإسـهام في صناعـة حياة المواطـن المسـتقبلية، وتعتمد

(١٨)عبـد المعطـي عبـد الباسـط، التعليـم وتزييـف الوعـي الاجتماعـي دراسـة في اسـتطلاع مضمـون بعـض المقـررات الدراسـة، مجلـة العلـوم الاجتماعيـة، جامعـة الكويـت – مجلـس النـشر العلمـي،١٩٨٤.

الدراسة على تحليل مقرر القراءة لتلاميذ الصف السادس الابتدائي، بقصد استطلاع إتجاه مضمون هذا المقرر.

ولقد توصلت الدراسة للنتائج التالية:

إن النظام التعليمي في مصر يعيد إنتاج بعض أبعاد الواقع الاجتماعي،الذي نعت بتخلف بعضها، مما يعنى أنه يعيد إنتاج ثقافة التخلف الاجتماعي، وتري الدراسة أن التعليم في مصر يعكس وعيًا واضحًا بالأيديولوجية الرسمية، وبالخطاب السياسي ويسعى إلى تدعيمها، وبالتالي فهو أخذ موقفًا من أيديولوجيات الطبقات الاجتماعية الأخرى، مما يجعله وسيلة من وسائل الصراع الاجتماعي، لصالح المستفيدين من هذه الأيديولوجية.

٢- دراسة الموسوي ضال حميد

بعنوان: ملامح الوعى الاجتماعي عند المرأة الكويتية:دراسة ميدانية على عينة طبقة من النساء الكويتيات: [١٩]

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يهدف إلى أمرين أساسين، هما توصيف الوعي بالمرأة وقضاياها المختلفة، ووعي المرأة بواقعها، والعمل على ربط تغير الوعي الخاص والعام بالمرأة، بالتغير في الأساس الاقتصادي للمجتمع باعتباره الوجود المحدد النهائي للوعي.

وتتجسد أهمية البحث في جانبية النظري والميداني إذ يقدم الجانب النظري حالة دراسية جديدة في تأكيد الفروض الأساسية المتعلقة بالوعي الاجتماعي، وبالعلاقة الجدلية بين الوجود المادي والوعي الاجتماعي.

وتكمن أهمية البحث الميدانية في الفائدة التي يمكن أن تنتج عنها الدراسة الميدانية بالنسبة للمرأة بشكل خاص وبالنسبة لتنمية المجتمع الكويتي بشكل عام، أما

---

(١٩) الموسوى ضال حميد، ملامح الوعي الاجتماعي عند المرأة الكويتية: دراسة ميدانية على عينة طبقة من النساء الكويتيات، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية البنات - جامعة عين شمس،١٩٩٠.

فيما يتعلق بتنمية المجتمع الكويتي فإن هذه الدراسة بنتائجها تشكل مادة تسترشد بها الجهات التربوية والجمعيات النسائية المهتمة بدراسة أوضاع المرأة في تحسين الوضع العام عند المرأة الكويتية، كما تساهم هذه النتائج في إعطاء دفعة قوية لعجلة التنمية في المجتمع الكويتي من خلال المشاركة الجماهيرية وفق لتخطيط سياسة اجتماعية تقوم على تطوير وعي المرأة الكويتية بذاتها.

واعتمد البحث على أكثر من منهج لتحقيق أهداف الدراسة، فقد استخدم المنهج التاريخي، نظرًا لأهمية الرؤية التاريخية في دراسة الوعي الاجتماعي، باعتبار أن هذا الوعي هو حصيلة لتجربة تاريخية متشعبة، كما استخدم الأسلوب الجدلي ليساعدنا في التمييز بين مستويات الوعي وأشكاله ودرجاته، كما اعتمد البحث كذلك على الأسلوب الإحصائي، وتم اختيار عينة طبقية قوامها ٦٠ مفردة من الذكور والإناث تم اختيارهم من الطبقات التالية (الطبقة الحاكمة- طبقة كبار التجار- طبقة متوسطي التجار- طبقة الموظفين)، واعتمدت الدراسة على دليل دراسة الحالة.

٣- دراسة بحري أحمد محمد

بعنوان: الصفوة المثقفة والوعي الاجتماعي: دراسة مقارنة.[٢٠]

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الصفوة المثقفة، والوعي الاجتماعي،لأن دراسة كلًا من المتغيرين تعتبر من أهم القضايا في علم الاجتماع، فهذه الدراسة مرتبطة مع مفاهيم المعرفة وشروطها الاجتماعية، كما أن دراسة الصفوة المثقفة والوعي الاجتماعي تعني مناقشة العوامل المتشابكة التي منعت المجتمعات العربية من إنجاز نهضتها، كما أن علاقة الصفوة المثقفة بالوعي الاجتماعي تعتبر مدخلًا لفهم بعض مشكلات الثقافة العربية ذاتها، إذ أن علاقة الصفوة المثقفة بالوعي الاجتماعي تبدو من خلال الدور الذي يلعبه أو يؤديه المثقف في المجتمع، والذي ينتج عنه بالضرورة عمليات توعية وتغيير في القيم والسلوكيات وبالتالي الوعي الاجتماعي ذاته.

---

(٢٠) بحري أحمد محمد، الصفوة المثقفة والوعي الاجتماعي: دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ٢٠١٣.

وتحـدد هـدف الدراسـة في محاولـة استكشـاف القوانـين التـي تتحكـم في إنتـاج الوعـي الاجتماعـي وبيـان الـشروط الاجتماعيـة التـي تخلـق وعيًـا اجتماعيًّـا متحـررًا مـن الجهـل.

ولقـد اعتمـد الباحـث عـلى إجـراءات منهجيـة ومنهـا المدخـل الجـدلي، والـذي يعتـبر أكـثر مناهـج علـم الاجتـماع شـمولًا، واعتمـد أيضًـا عـلى المقابـلات المتعمقـة لحـالات الدراسـة، واعتمـد الباحـث كذلـك عـلى أسـلوب المقارنـة مـن خـلال إجـراء مقارنـة بـين الصفـوة المثقفـة بالمجتمـع المـصري، والصفـوة المثقفة في المجتمـع السـوري، ولقـد اعتمـد الباحـث عـلى عينـة مقصـودة جـرى مـن خلالهـا اختيـار ١٤ حالـة تمثـل التيـارات الفكريـة في كل مـن المجتمـع المـصري والسـوري حيـث تـم اختيارهـم بطريقـة مقصـودة.

ولقد توصلت الدراسة للنتائج التالية:-

- إخفاق الصفوة المثقفة في نشر وتعميم القيم.
- إخفـاق الصفـوة المثقفـة في الربـط بـين الوعـي الحضـاري والسـلوك الحضـاري المـمارس في المجتمـع.
- إخفـاق الصفـوة المثقفـة في تصحيـح علاقتهـا مـع مجتمعاتهـا في أغلـب الأحيـان، فثمـة انفصـال واضـح وواسـع بينهـا وبـين باقـي أفـراد المجتمـع.

٤- دراسة نادية بن ورقلة:

بعنـوان: دور شـبكات التواصـل الاجتماعـي في تنميـة الوعـي السـياسي والاجتماعـي لـدى الشـباب العـربي٢٠١٣: [٢١]

هدفـت هـذه الدراسـة إلى فحـص الـدور الـذي يلعبـه الإعـلام الجديـد، وبشـكل خـاص شـبكات التواصـل الاجتماعـي في تنميـة الوعـي السـياسي والاجتماعـي في أوسـاط الشـباب العربي.

(٢١) ناديـة بـن ورقلـة، دور شـبكات التواصـل الاجتماعـي في تنميـة الوعـي السـياسي والاجتماعـي لـدى الشـباب العـربي، دراسـات وأبحـاث دوريـة علميـة دوليـة محكمـة ربـع سـنوية، السـنة الخامسـة - العـدد الحـادي عـشر (١١) - يونيـو (حزيـران) ٢٠١٣

لقـد بـرزت شـبكات التواصـل الاجتماعـي الكـبرى مثـل: الفيسـبوك وتويـتر والمدونـات الشـخصية كقنـوات بالغـة التأثـير وأتاحـت لشـعوب المنطقـة فرصًـا ليعهدوهـا أو يألفوهـا في التعبـير عـن آرائهـم بحريـة، وأتاحـت لهـم إمكانيـة حشـد وتنظيـم صفـوف الثـورة ليـس فقط عـلى الأنظمـة المسـتبدة، ولكن أيضًـا عـن أمـور أخـرى تمـس الحيـاة العامـة مثـل غـلاء الأسـعار أو العنـف الأسري وحقـوق الإنسـان ومحاربـة الفسـاد وغيرهـا مـن قضايـا سـاهمت تلـك الشـبكات في تحريكهـا.

٥- دراسة كربوب عماد

بعنـوان: تشـكيل الوعـي السـياسي لـدى الطالـب الجامعـي عـبر شـبكة مواقـع الفيسـبوك: دراسـة مسـحية عـلى عينـة مـن طلبـة العلـوم السياسـية:[٢٢]

تهـدف هـذه الدراسـة إلى التعـرف عـلى تشـكيل الوعـي السـياسي لـدى الطالـب الجامعـي عـبر موقـع الفيسـبوك والتـي تسـعى إلى الكشـف عـن إهتـمام الطالـب الجامعـي بمختلـف القضايـا السياسـية، وكذلـك التعـرف عـلى أهميـة موقـع الفيسـبوك في الحصـول عـلى المعـارف السياسـية التـي تـؤدى إلى تكويـن رأي سـياسي، مـما يسـاهم في تشـكيل الوعـي السـياسي، ولقـد طبقـت الدراسـة عـلى طلبـة العلـوم السياسـية كمجتمـع بحـث، وتعتـبر هـذه الدراسـة ضمـن البحـوث الوصفيـة، واعتمـدت في الدراسـة عـلى المنهـج المسـحي بدراسـة ٣٢٪ مـن مفـردات مجتمـع البحـث معتمـدة في ذلـك عـلى اسـتمارة الاسـتبيان كأداة لجمـع البيانـات.

---

(٢٢)كربـوب خـماد، تشـكيل الوعـي السـياسي لـدي الطالـب الجامعـي عـبر شـبكة موقـع فيسـبوك، دراسـة مسـحية عـلي عينـة مـن طلبـة العلـوم السياسـية بجامعـة قاصـدي مريـاح ورقلـة، كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، رسـالة ماجسـتير، الجزائـر٢٠١٦.

٦- دراسة فؤاد على العاجز و محمود عبد المجيد عساف (٢٠٠٩):

بعنوان: دور التربية الترويحية في نشر الوعي الثقافي بين طلاب المدارس الثانوية:[٢٣]

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور التربية الترويحية في نشر الوعي الثقافي بين طلبة المدارس الثانوية في محافظة غزة، من وجهة نظر معلمي التربية الرياضية، وكذلك الكشف عن أثر كل من: (الجنس، التخصص الدقيق، سنوات الخدمة) على متوسطات درجات أفراد العينة حول دور التربية الترويحية في نشر الوعي الثقافي بين طلبة المدارس الثانوية، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن أسئلة الدراسة.

*(دراسات الوعي الديني):

١-دراسة الهمزاني شايم بن لافى بن غانم

بعنوان:علاقة الوعي الاجتماعي بالوعي الديني لدى مسلمي ألبانيا، دراسة ميدانية [٢٤]

تهدف الدراسة إلى رصد وتحديد بعض المتغيرات الشخصية والأسرية والمجتمعية، والتي تعكس خصوصية الواقع الاجتماعي للمسلمين في جمهورية ألبانيا، والتعرف على علاقة ذلك بما لديهم من مظاهر التفاوت في إتجاه ومستوى الوعي الديني.

ولقد اعتمد الباحث على أكثر من منهج مثل (المسح الاجتماعي، والمنهج التاريخي، والمنهج الأنثروبولوجي)، كما استخدم عددًا من الوسائل كالمصادر التاريخية والمقابلات والملاحظة بالمعايشة، بالإضافة إلى استمارة الإستبيان المقترنة بالمقابلة

---

(٢٣) فؤاد على العاجز و محمود عبد المجيد عساف، دور التربية الترويحية في نشر الوعي الثقافي بين طلبة المدارس الثانوية، من وجهة نظر معلمي التربية الرياضية، بمحافظة غزة وسبل تطويره، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، ص ٤٢١ - ص ٤٥٢ يناير،٢٠٠٩.

(٢٤)الهمزاني،شايم بن لافي بن غانم،علاقة الوعي الاجتماعي بالوعي الديني لدى مسلمي ألبانيا: دراسة ميدانية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية العلوم الاجتماعية،رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض السعودية،١٩٩٨.

المتعمقـة، بالتطبيـق عـلى عينـة ميدانيـة مركبـة قوامهـا ٢٩٠ شـخص مـن المسـلمين، وذلـك في ثـلاث محافظـات، تمثـل شـمال ووسـط وجنـوب جمهوريـة ألبانيـا.

وكشـفت نتائـج البحـث عـن وجـود فـروق جوهريـة، في إتجـاه ومسـتوى الوعـي الدينـي بـين أفـراد العينـة، لصالـح الأكـبر سـنًا في مقابـل متوسـطي العمـر، وأبنـاء الأسر الأكـبر حجـمًا والأقـل مسـتوى اقتصـادي، ولأبنـاء ذوي المسـتويات التعليميـة والمهنيـة المنخفضـة.

٢- دراسـة حنـان سـالم: بعنـوان إنعكاسـات تزييـف الوعـي الدينـي عـلى الواقـع الاجتماعـي للشـباب، دارسـة سوسـيولوجية لعينـة مـن الشـباب الجامعـي.[٢٥]

تتمثـل الأهميـة النظريـة لموضـوع البحـث في سـد الفجـوة في الدراسـات السوسـيولوجية حـول قضيـة الوعـي الدينـي وخاصـة بـين الشـباب، حيـث اتضـح للباحثـة في ضـوء مـا تيـسر لهـا الإضطـلاع عليـه أن الإهتـمام بقضيـة الوعـي قـد انصـب عـلى دراسـة الوعـي بصفـة عامـة والوعـي السـياسي بصفـة خاصـة، ولكـن ثمـة نـدرة شـديدة في الدراسـات المتعلقـة بالوعـي الديني،وفيـما يتعلـق بالأهميـة التطبيقية تلقـى نتائـج الدارسـة الميدانيـة الضـوء عـلى مسـاهمة الوعـي الدينـي الصحيـح في ترسـيخ بنيـة التفكـير العلمي.

ولذلـك تـم الإعتـماد عـلى المنهـج الوصفـي باعتبـاره أكـثر الأسـاليب البحثيـة ملائمـة، وكذلـك إسـتخدام الأسـلوب الوصفـي التحليـلي والمسـح الاجتماعـي بالعينـة، حيـث تسـعى الدراسـة لتحديـد أسـباب تزييـف الوعـي الدينـي بـين الشـباب، ورصـد إنعكاسـات هـذا التزييـف عـلى الواقـع الاجتماعـي لديهـم.

وأجريـت الدراسـة الميدانيـة عـلى عينـة عمديـة مـن شـباب الجامعـات (عـين شـمس، والقاهـرة، والأزهـر والجامعـة الأمريكيـة)، قوامهـا ٢٠٠ مفـردة تـم توزيعهـا (٥٠) مفـردة لـكل جامعـة، مـع مراعـاة التمثيـل المتسـاوي للمبحوثـين وفقًـا لمتغـير النـوع (١٠٠ مـن الذكـور،١٠٠ مـن الإنـاث).

---

(٢٥)حنـان محمـد حسـن سالم،انعكاسـات تزييـف الوعـي الدينـي عـلى الواقـع الاجتماعـي للشـباب دارسـة سوسـيولوجية لعينـة مـن الشـباب الجامعـي، مجلـة العلـوم الإنسـانية لجامعـة أم البواقـى، المجلـد٥ العـدد ٢،٢٠١٨.

واهتمت الدراسة بأن تشتمل عينة البحث على نسب متساوية من الجامعات المصرية والجامعة الأمريكية، حيث بلغت نسبة الطلاب من جامعة عين شمس ٢٥٪، ومن جامعة القاهرة ٢٥ ٪، ومن جامعة الأزهر ٢٥ ٪، في مقابل ٢٥ ٪ أيضًا من الجامعة الأمريكية.

وأوضحت نتائج الدراسة أن ثمة تزييف في الوعي الديني لدى بعض الشباب في المجتمع المصري، وأن حجم هذه المشكلة في تزايد، وتُعد مشكلة اجتماعية عامة وليست فردية؛ ومن أهم مظاهر هذا التزييف تراجع الفكر النقدي وأعمال العقل، ووجود العقلية أحادية البعد، وعدم قبول الآخر المختلف فكريًا.

٣- دراسة عبد الباسط عبد المعطى

بعنوان: اغتراب الوعي الديني لدى المصريين:[٢٦]

أوضحت الدراسة أن مفهوم الوعي الديني يعبر عن محصلة أفكار ومعتقدات وقيم وممارسات البشر الدينية وهو بذلك يحدد آرائهم ومواقفهم وتفضيلاتهم، وتصرفاتهم في الحياة وهو وعي يرتبط بالدين.

ومع التسليم بوجود تباينات بين أنماط الوعي الديني لدى الناس في المجتمع، فإن هذا لا ينفي ما بينهم من أفكار وقيم دينية مشتركة تتقاطع مع مواقعهم الطبقية، فبعض مكونات الوعي الديني تتجاوز المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها للتواصل مع مرحلة أخرى، وبذلك يمكن الوصول إلى بعض من الإستنتاجات

١- أن المجتمع المصري من أكثر المجتمعات تدينًا.

٢- أنهم في تدينهم أكثر وسطية وأقل تشددًا.

---

(٢٦) عبد المعطى عبد الباسط،إغتراب الوعي الديني لدى المصريين، مؤسسة الأهرام،القاهرة ٢٠٠٧.

٤- دراسة سوسن عفيفي خالد بعنوان: اعتماد الشباب الجامعي على القنوات الفضائية العربية في تنمية الوعي الديني دراسة ميدانية على عينة من شباب الجامعات المصرية:_[٢٧]

تتناول هذه الدراسة الفضائيات العربية الدينية الإسلامية المتخصصة، وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات محورية وهي: ما تأثيرات ودوافع إعتماد الشباب الجامعي على الفضائيات العربية الدينية الإسلامية المتخصصة، وما دورها في تنمية الوعي الديني لديهم؟ وهل يرتبط إعتمادهم عليها بمستوى المعرفة الدينية؟ وما الإيجابيات والسلبيات التي تكتنف اضطلاع الفضائيات الإسلامية بهذا الدور؟

وقد استخدمت الباحثة أسلوب المسح بالعينة لمسح مجتمع الطلبة الجامعيين موضع الدراسة، واستخدمت أيضًا الأسلوب الإحصائي للتحليل الكمي للبيانات، وتهتم الدراسة بمضامين الإعلام الإسلامي من خلال الفضائيات العربية الدينية الإسلامية المتخصصة، التي يقع على عاتقها مهمة نقل الرسائل الدينية، حيث أنها تخصصت فقط لذلك، ولعبت دورًا في تشكيل وعي شباب الجامعات المصرية المتابعين لها، حيث يحصلون على معلوماتهم ومعارفهم الدينية من خلالها.

(٢٧) سوسن عفيفي خالد، اعتماد الشباب الجامعي على القنوات الفضائية العربية في تنمية الوعي الديني»دراسة ميدانية على عينة من شباب الجامعات المصرية، جامعة سوهاج كلية الآداب قسم الإعلام رسالة ماجيستير غير منشورة ٢٠١٢.

ثالثًا: دراسات النقاب:

١-دراسة **Faegheh Shirazi، Smeeta Mishra**

بعنوان: نقاب الشابات المسلمات أداة للمقاومة في أوروبا لكنها مرفوضة في الولايات المتحدة:[٢٨]

تهـدف الدراسـة إلى فهـم وجهـات نظـر المـرأة المسـلمة حـول النقـاب في الغـرب مـع الأخـذ في الإعتبـار العوامـل التاريخيـة والاجتماعيـة والسياسـية، وطبيعـة نظـام الهجـرة، والتكويـن الديموغـرافي لجماعـات المهاجريـن، وقـد قامـت الباحثـة بمقابـلات متعمقـة لبعـض الشـابات المسـلمات في الولايـات المتحـدة، وتـم اختيارهـن الفئـة العمريـة ١٨-٣٩، وتكونـت عينـة الدراسـة مـن ٢٦ فتـاه رفضـن ارتـداء النقـاب و١٣فتـاة ترتديـن النقـاب.

وتـم التطبيـق في عـدة مناطـق مثـل توليـدو، وأوهايـو، وأوسـتن، وتكسـاس، عـلى مـدار سـتة أشـهر، واعتمـدت الدراسـة عـلى تأثـير كـرة الثلـج للوصـول إلى حجـم عينـة معقـول، وكانـت المقابـلات تتـم بشـكل منتظـم، وبعـض المقابـلات تـم الإنتهـاء منهـا في جلسـة واحـدة، والبعـض الأخـر كان يحتـاج إلى المتابعـة.

وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

- أكـد بعـض مـن أفـراد العينـة أن النقـاب أو حجـاب الوجـه غـير ضروري في السـياق الأمريـكي، وتـم تدعيـم ذلـك مـن خـلال الملاحظـات التـي أبداهـا العديـد مـن العلـماء بـأن ذلـك نتيجـة لانتشـار مفهـوم العلمانيـة، والتعدديـة الثقافيـة، وحريـة التعبـير الدينـي والحقـوق الفرديـة، والخلفيـات المتنوعـة للمهاجريـن مـن المسـلمين الأمريكيـين.
- إن المشـاركين شـعروا بـضرورة ارتـداء النقـاب للتعبـير عـن أنفسـهم أو لتأكيـد هويتهـم الدينيـة، وفي سـياق أخـر رأي إثنـين فقـط أن ارتـداء أو عـدم ارتـداء النقـاب مسـألة اختيـار شـخصي بحـت.

28 Faegheh Shirazi, Smeeta Mishra28)) Young Muslim women on the face veil (niqab): A tool of resistance in Europe but rejected in the United States, INTERNATIONAL journal of CULTURAL studies. Volume 13(1), 2010 “Article first published online”.

٢- دراسة أبو زيد، محمد عبد الجواد محمد:

بعنوان التحليل السوسيولوجي لمفهوم الحلال والحرام عند بعض الشرائح الاجتماعية في المجتمع.[٢٩]

تركز الدراسة على كيفية توظيف الشرائح الاجتماعية المختلفة للدين من خلال مفهوم الحلال والحرام وفقًا لوضعهم الاجتماعي واقترن ذلك بمؤشرات اجتماعية كالتعليم والمهنة والدخل والنوع ومحل الإقامة، ومن خلال عرض مجموعة من القضايا المتعلقة بالحلال والحرام مثل النقاب والحجاب، وفوائد البنوك، وتنظيم الأسرة، فقضية البحث الرئيسية قائمة على التساؤل الآتي:

كيف توظف الشرائح الاجتماعية المختلفة الدين من خلال الحلال والحرام، وفقًا لوضعهم الاجتماعي؟

وتعتمد الدراسة على وحدة مكانية مقسمة إلى قسمين هما الريف والمدينة، والقرية محل الدراسة هي قرية من قرى الوجه البحري التابعة لمحافظة المنوفية، أمّا عن مجتمع الدراسة بالمدينة، فقد تم اختيار ثلاثة أحياء من بين أحياء مدينة القاهرة، وهي (حي النزهة- حي السيدة زينب – حي منشأة ناصر) وهذه الأحياء الثلاثة تمثل ثلاث مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة.

ويبلغ حجم العينة الممثلة للدراسة ٣٠٠ مفردة منها ١٥٠ حالة للمجتمع الريفي و١٥٠ حالة لمجتمع المدينة، حيث تمثلت كل ٥٠ حالة شريحة اجتماعية معينة.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتمد على المسح الاجتماعي عن طريق العينة، والمنهج التاريخي، ومعالجة المنهج الإحصائي في تحليل البيانات وتم الإستعانة بالمنهج المقارن، واعتمد الباحث في جمع بياناته على أداة الاستبيان والمقابلات الشخصية مع المبحوثين بالإضافة إلى أداة الملاحظة بالمعايشة في مجتمع القرية.

(٢٩) دراسة أبو زيد، محمد عبد الجواد محمد، التحليل السوسيولوجي لمفهوم الحلال والحرام عند بعض الشرائح الاجتماعية في المجتمع المصري، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، ٢٠٠٥.

وتوصلت الدراسة لمجموعة من النتائج:

- أن هناك علاقة بين التعليم والوعي الديني، وهذا يرتبط بالحلال والحرام عند الشرائح الاجتماعية داخل المجتمع المصري.
- على مستوى قضية النقاب، فقد تبين أن مفهوم الحجاب والنقاب قد يختلطان معًا لدى بعض المبحوثين، مما يشكل عدم وضوح الرؤية لما هو محلل ومحرم، وأثبتت الدراسة مع نهايتها بأن قضايا البحث المطروح « كتنظم الأسرة – والنقاب – وفوائد البنوك « هي قضايا خلافية أي جامعة للنقيضين (الحلال والحرام).

٣- دراسة «" **Anna Piela**:

بعنوان كيف تتفاعل المسلمات اللاتي يرتدين النقاب مع الآخرين على شبكة الإنترنت[٣٠]

تسلط هذه الدراسة الضوء على التمثيل الذاتي للنقاب في شكل صور شخصية فوتوغرافية منشورة في وسائط جديدة، وتوضح مجموعة متنوعة من الطرق الإيجابية التي يتم من خلالها تلقي هذه الصور الذاتية من قبل الجماهير، وتلقي الضوء على التفسيرات السياقية للنقاب ومعناه، وفي الوقت نفسه يتحدى الإدراك الشائع بأن الجماهير غير المسلمة تنتقد بشكل موحد النساء اللاتي يرتدين النقاب.

وتوفر شبكة الإنترنت فرصة نادرة للتفاعل مع النقاب للعديد من الأشخاص الذين لولا ذلك لن تتاح لهم هذه الفرصة، كما يوحي استطلاع يوجوف بأن تقريبا٤٠ً في المائة من السكان لا يدعمون «حظر البرقع»، ومع ذلك لا يسمع صوتهم في وسائل الإعلام.

قد يكون بعض هؤلاء الأشخاص مهتمين بتلقي معلومات مباشرة عن النقاب، وتشير المناقشات التي تم تحليلها إلى أنهم ربما يستخدمون الإنترنت كنافذة في

(30) Anna Piela, How do Muslim women who wear the niqab interact with others online? A case study of a profile on a photo-sharing website, Article in New Media & Society · June 2016, https://www.researchgate.net/publication/304000201

«تجربـة النقـاب». ومـع ذلـك فمـن المهـم مراعـاة أن المناقشـات عـبر الإنترنـت نفسـها قـد لا تـؤدي بالـضرورة إلى نتائـج ملموسـة مـن حيـث التفاهـم بـين الثقافـات والأديـان، ويعـد نـشر الصـور الذاتيـة عـبر الإنترنـت والمناقشـات اللاحقـة حولهـا خطـوة مهمـة في تحديـد هويـة النسـاء التـي يرتديـن النقـاب، حيـث أنهـن قـادرات بعـد ذلـك عـلى إنشـاء أماكـن آمنـة للتقديـر والنقـاش الإيجـابي للنقـاب، وهـذا هـو المـكان الـذي يمكنهـم مـن خلالـه مقاومـة الخطابـات المهيمنـة حـول النقـاب والإسـلام، وبنـاء تعبيراتهـم الخاصـة عـن التديـن، عـلاوة عـلى ذلـك، فإنهـم يتمكنـون مـن التفاعـل مـع مجموعـات مختلفـة وتثقيـف أفـراد الجمهـور، وزيـادة فهمهـم للإسـلام.

٤- دراسـة **nasrin akter** بعنـوان: إرتـداء النقـاب كظاهـرة ل «الهويـة الاسـلامية – والهويـة الثقافيـة - وتمكـين المـرأة.[31]

الهـدف مـن هـذا البحـث هـو دراسـة واستكشـاف المعـاني والهيـاكل المتعلقـة بارتـداء النقـاب، وتتضمـن الدراسـة إجـراء مقابلـة متعمقـة مـع عينـات مـن النسـاء الـلاتي يرتديـن النقـاب وهـي عينـة عمديـة مكونـة مـن ٣٣ مـن النسـاء المسـلمات يرتديـان النقـاب مـن خـلال ٤ مجموعـات نقـاش بؤريـة تتكـون مـن ١٢ امـرأة مسـلمة وغـير مسـلمة.

واسـتخدمت الدراسـة طريقـة المقابلـة في جمـع بيانـات هـذا البحـث، مـن خـلال إجـراء مقابـلات وجهـا لوجـه باسـتخدام شـبه مقابلـة نموذجيـة منظمـة لـرأي المشـاركين وخبراتهـم وتصوراتهـم وسردهـم، واسـتمرت كل مقابلـة مـن المشـاركين لمـدة ٤٠ إلى ٦٠ دقيقـة وتمـت قـراءة النـص بعنايـة للتعـرف عـلى الرمـوز وقـد اسـتخدم المنهـج التأويـلي لهـذا الغـرض.

وقد جاءت تساؤلات البحث كما يلي:-

- ما هي معاني وجوهر النقاب، هل هو رمز الهوية الثقافية والهوية الإسلامية؟
- ما المطلب الإسلامي للنقاب وما مدى أهميته للمرأة المسلمة ؟

(31) nasrin akter ,Niqab Wearing as an Islamic Identity, Cultural Piety and Women's Empowerment: A Phenomenological Approach , International Journal of Ethics in Social Sciences Vol. 5, No. 1, June 2017.

- هل النقاب يحظر التمييز ضد المعتقدات الدينية ؟

- كيف تظهر وسائل الإعلام النقاب الذي يرتديه النساء للأشخاص الآخرين ؟

وقد توصلت الدراسة إلى أن ارتداء النقاب هو نتيجة فهم المرأة للإسلام والثقافة الإسلامية التي تعيش فيها، بداية من الأسرة التي تشكل المحور الأهم في حياة الإنسان المسلم، وبالتالي تتأثر أغلب النساء بعادات وتقاليد ومعتقدات الأسرة الدينية، وتتبعها إلي حد كبير.

٥- دراسة ديفيد فرنانديز بعنوان: الحظر العام للبرقع والنقاب في جميع الأماكن العامة [٣٢]

تركز هذه الدراسة على تبرير المساواة بين الجنسين، وتهدف إلى التساؤل عما إذا كان هناك حظر عام للحجاب في المجتمع الفرنسي، وتفترض الحكومة الفرنسية أن هؤلاء النساء اضطروا إلى إرتداء الحجاب الكامل، وبالتالي تجربة عدم المساواة بين الجنسين.

واعتمدت هذه الدراسة على المقابلات المتعمقة لإثنان وثلاثون حالة من المسلمين، وتوصلت الدراسة إلي أن غالبية النساء التي تمت مقابلتهن كانت قرارتهم طواعية حول إرتداء النقاب في فرنسا، ولقد تناولت الورقة قرار حظر الحجاب كامل الوجه في جميع الأماكن العامة.

وأوضحت نتائج الدراسة أن قرار الحظر غير محقق لمبدأ المساواة بين الجنسين. فالحظر يعمل على تقييد حرية الدين وحرية الشعائر، وكشفت المقابلات أن غالبية الحالات ذكرت أن النقاب لم يكن يتم بشكل قسري، بل أنهم اختاروا ارتداء الحجاب الكامل للتدليل على عمق التدين، بينما يعتقد الكثيرون منهم أن أفراد الأسرة المسلمة يشجعون البنات والزوجات على إرتداء الحجاب في الرأس، وأظهرت نتائج الدراسة

(32)https://www.academia.edu/9757486/General_Prohibition_of_the_Burka_and_Niqab_in_all_Public_Spaces_A_Gender_Equality_Perspective_to_the_Pending_Case_S.A.S._v._France._

أن الكثير عانوا من المضايقات العامة، والعزلة الاجتماعية بعد دخول قانون الحظر حيز التنفيذ.

٦- دراسة **Nafay Choudhury**

بعنوان: النقاب في كيبيك نقاش عن حقوق الأقليات داخل كيبيك (٣٣)

يستهدف التشريع المقترح بشكل خاص النساء المسلمات التي لا يرتدين النقاب، حيث تفاقمت الأحداث المأساوية التي وقعت في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وأصبحت النساء المسلمات النقطة المحورية للتوتر والتصادم بين القيم المجتمعية والدينية والجنسية في كيبك، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى إختلاف طرق ملبسهم، في المجتمعات التي تسعى جاهدة لتعزيز التعددية الثقافية كقيمة اجتماعية، وغالبًا ما ينظر إلى النقاب باعتباره الوافد الجديد غير المرحب به، مما يثير تساؤلات حول مدى تقدم المجتمعات في السماح للنقاب بالقبول والإنتشار.

استخلاصات أساسية

١. شكلت دراسات الحجاب الدائرة الأوسع كمدخل لدراسة ظاهرة النقاب، ومن خلال القراءة المتعمقة في هذه الدراسات المتاحة اتضح أن هناك تنوعًا كبيرًا في الموضوعات ومنهجيات وأدوات البحث، ولكنه يمكن ملاحظة غلبة التحليل الكيفي على التحليل الكمي عبر المقابلات ودراسات الحالة نظرًا لحساسية الموضوع التي تتطلب أدوات ومناهج تمكن الباحثين من سبر أغوار الموضوع.

٢. أبرزت نتائج ودراسات الحجاب أن غالبيتها قد تم إجراءها داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وتوصلت إلى أن الحجاب يعتبر طقس اجتماعي غير مرتبط بالتدين، ومعرفة النصوص الدينية وأكدت غالبية الدراسات أن النساء في الغرب عمومًا يرتدين الحجاب كرمز لتأكيد الهوية الإسلامية في مواجهة القوميات الأخرى، خاصة في ظل وجود تحيز، وتنمر اجتماعي ضد المرأة المسلمة المرتدية للحجاب بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

(33) Nafay Choudhury,Niqab vs. Quebec: Negotiating Minority Rights ,within Quebec Identity , The University of Western Ontario Journal of Legal Studies,2012.

٣. أكـدت نتائـج دراسـات الحجـاب في المجتمعـات العربيـة عـلى ندرتهـا أنهـا ظاهـرة اجتماعيـة ترتبـط بالمـوروث الثقـافي داخـل المجتمـع وعاداتـه وتقاليـده المحافظـة عـلى الضغـوط العائليـة والاقتصاديـة –هـذا إلى جانـب التـماشي مـع بعـض صيحـات الموضـة مؤخـرًا – أكـثر منـه ظاهـرة دينيـة تعـبر عـن الإلتـزام بالمعتقـدات، والتعاليـم الدينيـة لذلـك ظهـرت مؤخـرًا العديـد مـن أشـكال الحجـاب العـصري الـذي يفرغـه مـن مضمونـه الدينـي، فلـم يبقـى مـن الحجـاب إلا غطـاء الـرأس.

٤. مـن خـلال مراجعـة الـتراث البحثـي حـول قضيـة الوعـي اتضـح في ضـوء مـا تيـسر الإطـلاع عليـه أن الاهتـمام بقضيـة الوعـي قـد انصـب عـلى دراسـة الوعـي الاجتماعـي والسـياسي والثقـافي ولكـن ثمـة نـدرة شـديدة في الدراسـات المتعلقـة بالوعـي الدينـي، حيـث انحـصرت في ثلاثـة دراسـات داخـل المجتمـع المـصري تنوعـت موضوعاتهـا حيـث ركـزت واحـدة عـلى اغـتراب الوعـي الدينـي عنـد المصريـين، وأكـدت الثانيـة عـلى ارتفـاع نسـبة تزييـف الوعـي الدينـي لـدى الشـباب الجامعـي، وأوضحـت الثالثـة اعتـماد الشـباب الجامعـي عـلى الفضائيـات العربيـة الدينيـة الإسـلامية المتخصصـة في تنميـة وعيهـم الدينـي وهنـاك دراسـة أخـري عـن الوعـي الدينـي لـدى مسـلمي ألبانيـا أكـدت عـلى أن الوعـي الدينـي أعـلى عنـد كبـار السـن، والأسر الأكـبر حجـمًا، والأقـل مسـتوى اقتصـادي، وأصحـاب المسـتويات التعليميـة والمهنيـة المنخفضة.

٥. جـاءت دراسـات النقـاب في أغلبهـا بالرغـم مـن ندرتهـا في مجتمعـات غربيـة رافضـة، ومتوجسـة مـن هـذا الشـكل مـن لبـاس المـرأة المسـلمة بمـا يتناقـض مـع مـا تـردده هـذه المجتمعـات مـن شـعارات حريـة المعتقـد والتعدديـة الثقافيـة كقيمـة اجتماعيـة، وفي المقابـل تقـوم المسـلمات بارتـداء النقـاب مـن أجـل تأكيـد الهويـة الدينيـة رغـم مـا تتعـرض لـه مـن مضايقـات، وعزلـة اجتماعيـة خاصـة في بعـض الـدول التـي شرعـت قوانـين تمنـع ارتـداء النقـاب في الأماكـن العامـة مثـل فرنسـا أمـا الدراسـة الوحيـدة التـي تعرضـت لظاهـرة النقـاب في المجتمـع المـصري فلـم يحمـل عنوانهـا كلمـة النقـاب، فكانـت الدراسـة حـول مفهـوم الحـلال، والحـرام

وتوصلت إلى وجود خلط في استخدام مفهومي الحجاب، والنقاب وهو ما أدى إلى وجود خلاف حول الحلال، والحرام بالنسبة لارتداء النقاب.

٦. يتضح من خلال العرض السابق للتراث البحثي وجود ندرة شديدة في الدراسات حول الوعي الديني، والنقاب بصفة عامة وفي المجتمع المصري بصفة خاصة، لذلك يرى فريق البحث أن الدراسة الراهنة تأتي لسد فجوة معرفية موجودة بالفعل في مجال الدراسات السوسيولوجية حول الوعي الديني، والنقاب وما يزيد من أهمية الدراسة الراهنة أنها لا تتجه فقط لدراسة الوعي الديني لدى الجمهور المصري لكنها تتجه لدراسة فئة اجتماعية تدعى أنها الأكثر تدينًا، والتزامًا بتعاليم الإسلام عبر هذا اللباس الذي أصبح ظاهرة اجتماعية مستحدثة على المجتمع المصري، وكثر الجدل حولها ففي الوقت الذي حسمت فيه المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر الشريف) الموقف بأنه تزيد على الشرع، وبالتالي حاولت السلطة السياسية منعه للحفاظ على النظام العام قامت الجماعات السياسية الإسلامية بتوجيه الإتهامات للنظام السياسي بأنه معادي للدين الإسلامي، ومن هنا كان لابد من التعرف على الوعي الديني للمنتقبات للتأكد من صحة هذه الادعاءات، وهل بالفعل قضية النقاب قضية دينية أم قضية يتم تسيسها من قبل الجماعات السياسية الإسلامية في إطار صراعها على السلطة؟ وهذا هو ما ستحاول الدراسة الراهنة الإجابة عليه.

***

الفصل الثاني

رؤية النظرية الاجتماعية لقضية الوعي الديني

مقدمة:

انشغل التراث النظرى الاجتماعي في مختلف مراحل تطوره ببحث الظاهرة الدينية بقصد ضبط محدداتها وتحليل مفاهيمها وتأويل طقوسها. وقد صاحَب ذلك تعدد في القراءات التي قدمت في تحليل أنماط التدين والوعي الديني، مما ساعد على إزالة الكثير من الغموض والالتباس في فهم الظاهرة الدينية واستيعابها، بيد أنه من الملحوظ أن أشكال وأنماط تأويل هذا الفكر الاجتماعي تباينت بتباين الظروف المجتمعية والأحداث السياسية التي مورس فيها فتعددت تبعًا لذلك طرق التناول ونواتجها؛ فإذا كانت القرون الوسطى قد سادها سيطرة الكنيسة والتركيز على الجانب الروحي وإغفال الجانب المادي، فإنه مع ميلاد نمط المجتمع الصناعي أقام الفكر الاجتماعي علاقة نقدية مع الميراث الثقافي الدينى، تتعدى مرحلة النقد الجزئي لصفات الألوهية التي ركز عليها الفكر الإغريقي كما تتجاوز نمط العلاقة التوفيقية التي ركز عليها الفكر التنويري، فتطور الوضع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فلم ينحصر في مراجعة معرفية للمفاهيم الدينية، بل تخطى ذلك إلى محاولة تحديد الموقف النقدي من الإيمان الديني عامة كما هو عند كونت وماركس وفيورباخ ونيتشه وغيرهم الذين كانوا يتفقون على إنهيار المسيحية التقليدية التي لم تعد مقنعة، وعلى أهمية العلم الحديث وكيف أنه حل محل الدين فيما يخص تفسير ظواهر العالم وقوانينه، وعلى أن العلم سوف يحقق السعادة والرفاهية للبشرية، فسادت نظرة مغايرة للدين عن التي كانت سائدة من قبل. وتطور الأمر في الفكر الإجتماعي المعاصر حتى أصبحت الإشكالية الرئيسة التي يتصدى لها هذا الفكر هي الإشكالية الدينية لأن صلابة الخطاب الديني وشموليته تصطدم بمرونة الواقع ونسبيته، فأهم الصعوبات التي تواجه الفكر الإجتماعي المعاصر في الدين هو النزول

مـن عـالم النـص إلى عـالم الواقـع والممارسـة الفعليـة والتوفيـق بـين المحتـوى المطلـق والثابـت للنـص الدينـي وبـين حركـة الواقـع النسـبية.

فـإذا كان مفكـري القـرن الثامـن عـشر والتاسـع عـشر قـد تنبـؤا بإنحسـار أهميـة الديـن وآثـاره في المجتمعـات الحديثـة، فـإن الوقائـع والأحـداث التاريخيـة لم تؤكـد صحـة تلـك التنبـؤات، حيـث شـهد القـرن العـشرون اسـتعادة قويـة لنمـط الإيمـان الدينـى عامـة حتـى أن كثـير مـن علـماء الاجتـماع المعاصريـن ومنهـم مالـرو وبيرجـر وهايبرمـان وهابرمـاس قـد ذهبـوا إلى أن القـرن العشريـن هـو قـرن العـودة إلى الديـن وقـد أعلـن بيرجـر في مقالـة لـه بعنـوان « النكـوص عـن العلمانيـة في العـالم» عـام ١٩٩٩ أن القـرن العشريـن قـد شـهد تراجعًـا للعلمانيـة وتزايـدًا في التديـن وظهـور عديـد مـن الحـركات الدينيـة التـى تسـعى للحفـاظ عـلى الديـن وذلـك في شـكل نزعـات أصوليـة تلـك الحـركات والنزعـات الدينيـة التـى قـادت بيرجـر إلى القـول أن العـالم لـن يكـن معلمنًـا بعـد الآن، الا أن بيرجـر في رؤيتـه حـول النكـوص عـن العلمانيـة يسـتبعد أوروبـا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن ملاحظتـه هـذه، ويسـتخدم هـذه الرؤيـة في تفسـير صعـود الحـركات الأصوليـة الدينيـة خاصـة في الـدول الإسـلامية، ولكنهـا لا تصـف الوضـع في الـدول الحديثـة، وإن كان الديـن قـد احتفـظ ببقائـه وأعـاد وجـوده في الغـرب كـما اعـترف بذلـك كثـير مـن العلـماء.(٣٤)

إلا أن الأمـر ليـس بهـذا الجـزم في إصـدار الأحـكام إمّـا بنهايـة الديـن كـما ذهـب إلى ذلـك كونـت وماركـس، أو نهايـة العلمانيـة كـما ذهـب بيرجـر ومالـرو فالتفكـير الدينـي والعلمـي ليـس قوالـب جامـدة مـن التفكـير الإنسـاني تحكمهـا مراحـل تطوريـة تاريخيـة كل مرحلـة منهـا تلغـي السـابقة عليهـا، وإنمـا قـد يسـود نمـط مـن التفكـير عـلى الأنمـاط الأخـرى في عـصر مـن العصـور فقـد سـاد التفكـير الدينـي عـلى باقـي الأنمـاط كـما كان الحـال في العصـور الوسـطى، وقـد سـاد التفكـير العلمـي في عـصر آخـر كـما هـو الحـال في القـرن التاسـع عـشر والقـرن العشريـن وقـد يتعايـش الديـن والعلـم معًـا، لكـن سـيادة هـذا النمـط أو ذاك لا تعنـي زوال الأنمـاط الأخـرى وانتفائهـا مـن الوجـود.

(34) P.Berger,Desecularization of the world; Resurgent Religion and world Politics. Michigan; Washington Grand Rapids,p. 10.

أولًا:- الإسهامات النظرية الكلاسيكية:

١- أوجست كونت:

لقد كان التوجه العام لعلماء الاجتماع في القرن التاسع عشر قائمًا على نقد الطبيعه اللاهوتية الكنسية للدين والتي كانت سائدة في العصور الوسطى كما ذهب إلى ذلك أوجست كونت ونادى بدلًا عنه بالإيمان المطلق وعدم التسليم بالمذاهب والعبادات والطقوس الخاصة بدين معين، كطريقة لتحرير مفهوم الألوهية والإيمان به من الأطر الدينية التقليدية التى يُوضع فيها. وفي سبيل ذلك فقد وضع قانون المراحل الثلاث «المرحلة اللاهوتيه، المرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية» حيث أن العقل البشري بحث في المرحلة الأولى «اللاهوتيه» عن أصول الظواهر وأسبابها النهائية ومحاولة تحليلها كنتيجة لفعل قوي خفية خارقة للطبيعة، ومن ثم غلب الخيال والمشاعر على هذه المرحلة، أمّا في المرحلة الميتافيزيقية فقد سيطرت على الفكر البشرى التصورات والمفاهيم المجردة مثل الجوهر والنماذج أو الأشكال المثالية، وفي المرحلة الوضعية وهي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الفكر الإنساني عند كونت فقد تخلى فيها العقل البشرى عن البحث عن الجوهر، وعُنى أساسًا بالبحث عن القوانين التي تربط ما بين الحقائق المختلفة عن طريق منهج الملاحظة والتجربة. ومن ثم توقف عن الأخذ بالأفكار المطلقة عن الأسباب والعلل، وتحول الإهتمام إلى دراسة الحقائق وعلاقاتها الضرورية والثابتة مثل التتابع والمماثلة.[٣٥]

والحقيقة أن موقف كونت من الدين واعتباره مرحلة بدائية من مراحل تطور الفكر البشري لابد من تجاوزها للوصول إلى نضج الإنسانية؛ إنما هو انعكاسًا لظروف عصره الذي بلغ فيه العلم الوضعي مبلغة من التطور كنتيجة للإصلاح الديني في العصور الوسطى التي قادها فلاسفة التنوير من أمثال فولتير وجان جاك روسو وديرو، والذين فككوا العقائد التقليدية المذهبية والطائفية وقضوا على التعصب وقدموا تفسيرًا جديدًا للدين المسيحي غير التفسير الذي ساد لمئات السنين فقد

(٣٥) آلان سوينجوود: تاريخ النظرية في علم الاجتماع، ترجمة السيد عبد العاطى السيد، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦. ص٥٨.

ركـزوا عـلى جوهـر الديـن، ولم يهتمـوا بقشـوره ومـا تبـع ذلـك مـن حـركات ثوريـة، وآخرهـا الثـورة الفرنسـية التـي ولـد كونـت وقـت إندلاعهـا، والتـي حدثـت نتيجـة لهـذه الثـورة العقليـة التنويريـة وشـهد كونـت عـلى مـدار حياتـه تأثيراتهـا، حيـث هـزت هـذه الأحـداث قيمـة المنهـج التأمـلي لديـه، فذهـب إلى نقـد هـذا المذهـب والمنـاداة بالمنهـج التجريبـي واسـتخدامه في تنـاول الظاهـرة الإنسـانية كبديـل له.

وقـد أدى بـه اسـتخدام هـذا المنهـج في دراسـة الظواهـر الإنسـانية ومنهـا الديـن إلى محاولـة نفـي فكـرة الألوهيـة مـن أساسـها، والتأسـيس لبدائـل تصوريـة تحـاول التخلـص مـن التفسـير الدينـي للوجـود وإقامـة تفسـير علمـي بـدلًا عنـه، حيـث ذهـب كونـت إلى اعتبـار الديـن لحظـة متجـاوزة وحالـة عقليـة ينبغـي تخطيهـا إلى المرحلـة العلميـة الوضعيـة التـي لا تليـق بهـا إلا ديانـة الإنسـانية (ديـن بـشري)، ويلتقـي كونـت في ذلـك مـع فيوربـاخ في تحليلـه لأصـل الديـن إلى نفـس الموقـف، وهـو القـول بـأن فكـرة الألوهيـة صناعـة بشريـة، وأن الإنسـان ينبغـي أن يسـتبدل بالديانـة اللاهوتيـة عبـادة النـوع الإنسـاني - وهـو مـا يعكـس التوجـه العـام الـذي كان سـائدًا لـدى علـماء القـرن التاسـع عـشر- فـكان مشروعـه لتأسـيس «ديـن البشريـة».[٣٦] فـإذا كان فلاسـفة التنويـر قـد قامـوا بعمليـة النقـد والتفكيـك للعـالم القديم بـكل عاداتـه وتقاليـده وقيمـه الراسـخة وهـي مرحلـة ضروريـة، فـإن عـصر كونـت كان عـصر البنـاء وقـد بـدأ ذلـك ببنـاء تصـور لديـن بـشري صالـح للبشريـة جمعـاء لأن المسـيحية فشـلت في أن تصبـح كونيـة ولأنهـا كانـت متعصبـة وخاصـة بالمسـيحيين فقـط.

وديـن البشريـة مفهـوم كـوني واسـع يشـمل البشريـة بأسرهـا، مفهـوم قائـم عـلى الحـب وتجـاوز الأنانيـات الشـخصية والمصالـح العابـرة للبـشر إنـه حـب خالص يشـبه النزعة الصوفيـة المحضـة، ولم تعد له أي علاقـة بالتعصـب أو التزمـت أو الإكـراه في الديـن عـلى عكس ما كان يحدث سـابقًا، إنـه قائم على تطهير روح الإنسـان مـن الداخـل لـكي يتخلص مـن أنانيته وكرهه للبـشر الآخرين. وبالتالي فالوعـي الديني في عصر

---

(٣٦)الطيب بوعزه: الفلسفة الوضعية والدين, مؤسسة مؤمنون بر حدود للدراسات والأبحاث, بحث محكم. ص٦

العلـم، أي في عـصر الفلسـفة الوضعيـة هـو غـير الوعـي الدينـي في العصـور الوسـطى، لقـد تغـير مفهومـه كليًـا ولم تعـد لـه أي علاقـة بمحاكـم التفتيـش وملاحقـة العلـماء والمفكريـن وتحريـم قـراءة أعمالهـم وكتبهـم مـن قبـل البابـا والفاتيـكان.[٣٧]

هـذا التأسـيس لديانـة وضعيـة جديـدة لم يكـن مجـرد حـرص عـلى اسـتبعاد الديانـة اللاهوتيـة، بـل كان نابعًـا عنـد كونـت مـن تصـور عـن طبيعـة الكائـن الإنسـاني، حيـث كان يشـير أحيانًـا إلى أن النـزوع نحـو التقديـس والتعبـد إحتيـاج أسـاسي في كينونـة الإنسـان لابـد مـن إشـباعه لـذا نجـده يعمـل عـلى البنيـة المفاهيميـه للديـن، ليـس لتجاوزهـا وإنمـا فقـط لإسـتبدال محتوياتهـا الدلاليـة فبـدل فكـرة الإلـه يقـترح كونـت فكـرة الإنسـانية التـي يسـميها حينًـا ب» الكائـن الاعظـم» وحينًـا آخـر ب «الكائـن الأعـلى»[٣٨] وبـدل «عبـاد اللـه» يقـترح كونـت «خـدام الإنسـانية». ثـم يتـوج كل ذلـك بتقديـم ديانتـه بوصفهـا الديانـة الأخـيرة الخاتمـة التـي سـتهيمن عـلى البشريـة جمعاء.

ونحـن إذ نـرى كونـت وقـد جعـل ظاهـرة الاعتقـاد الدينـي مشروطـة بمرحلـة ونفـي كونـه احتيـاج مـلازم للوعـي الانسـانى، ويسـتبدل بـه العلـم في المرحلـة الاخـيرة مـن مراحـل تطـور البشريـة، لكـن دعونـا نتسـاءل هـل نجـح العلـم في الاجابـة عـلى كافـة تسـاؤلات الإنسـان لاسـيما التسـاؤلات الأنطولوجيـة مـن قبـل مـن أيـن جئنـا ومـا مصـدر وجودنـا، ولم وجـد الوجـود؟ تفيـد الشـواهد الوقعيـة أنـه لا لم ينجـح العلـم في إعطـاء إجابـات شـافية عـن كل مـا يريـد الإنسـان معرفتـه، نخلـص إذن إلى أن النـزوع الدينـي ليـس نقصًـا في فهـم الطبيعـة حتـى يتـم تخطيـه واسـتبداله بالعلـم الوضعـي كـما ذهـب إلى ذلـك كونـت، وليـس هـذا محـل نقاشـنا، فـلا خـلاف عـلى وجـود الديـن وإنمـا الإشـكالية ومـا نرمـي إليـه هـو أن يتوافـق الوعـي بهـذا الديـن مـع ظاهـر الإلتـزام بـه فـأن التـزم بطقوسـه وشـعائره ومظاهـر الإلتـزام بـه شيء محمـود شريطـة أن يكـون عـن وعـي دينـي صحيـح بهـذا الديـن، فيجتمـع لـدي الإنسـان الديـن والتديـن أو الوعـي والسـلوك فـلا يوجـد وعـي بـلا ممارسـة ولا ممارسـة بـلا وعـي لمـا يترتـب عـلى ذلـك مـن تشـويه لذلـك الديـن الـذي أعلنـت نفسـك أحـد مريديـه.

---

(٣٧)أنظر جريدة البيان « أوجست كونت ودين البشرية» , ١٣ فبراير ٢٠٠٦. www.albayan.ae

(٣٨)الطيب بوعزه: الفلسفة الوضعية والدين، مؤسسة مؤمنون بر حدود للدراسات والأبحاث، بحث محكم.ص١٢.

٢- إميل دوركايم:

لقد تأثرت المقاربات النظرية تجاه الدين بالآراء التي طرحها كل من دوركايم وفيبر وماركس ورغم أنهم قد تنبؤا بانحسار أهمية الدين في المجتمعات الحديثة، ورغم اعتقادهم بأن الدين ما هو إلا واقع موهوم ومضلل ولكنهم لم ينكروا عظيم آثره في الحياة البشرية. [٣٩] فكان الدين من القضايا الرئيسة التي حظيت باهتمامهم ولم يأتِ هذا الإهتمام بمحض الصدفة، وإنَّما كان هدفهم الأساسي هو إعادة بناء النظام بعدما دمرته الثورات الصناعية والسياسية بأوروبا، فاعتمدوا في مرجعياتهم على ما رسخته فلسفة التنوير، فدراستهم للدين تهدف بالأساس إلى نقد الأسس التقليدية المتمثلة في نظرة القرون الوسطى للدين، فالدين لديهم هو جزء لا يتجزأ من المجتمع، فهو من جهة مكونًا أساسيًا يجعل المجتمع يترابط وينسجم فيما بينه كما ذهب إلى ذلك (دوركايم)، ومن جهة أخرى هو حافز للفرد ويجعله قادرًا على ممارسة الفعل العقلاني وذلك من وجهة نظر (ماكس فيبر)، وإن كان قد أخذ دورًا مغايرًا من وجهة نظر (ماركس) فهو عامل أساسي لتزييف وعي الطبقة المقهورة والمُستغلة على وعد بحياة أفضل في العالم الآخر.

وإذا كان إميل دوركايم قد تناول الدين في بعض كتبه مثل «قواعد المنهج في علم الاجتماع» حيث أشار إلى قاعدة «الإكراه والإلزام» والتي يجد الفرد نفسه من خلالها أمام قوى خارجية تفرض عليه الخضوع والإلتزام ومنها الدين، ورغم إشارته في كتابه الإنتحار إلى تأثير الدين على حياة الأفراد حينما تناول الجماعات الكاثوليكية والبروتستانتينية وعلاقتهما بظاهرة الانتحار؛ فذهب إلى إرتفاع معدلات الإنتحار الأناني لدى جماعة الكاثوليك التي تتدخل في تفاصيل الحياة الفردية، وتربط الفرد بغايات أخروية وليست دنيوية دائمًا، وذلك عكس جماعة البروتستانت التي تترك الحرية لأفرادها لكي يبحثوا عن غايات وأهداف دنيوية تدعم فرديتهم دون أن تتدخل في تفاصيل حياتهم، [٤٠] لذلك تقل لديهم معدلات الانتحار، إلا أن كتابه « الأشكال

---

(٣٩)أنتونى جيدنز: علم الاجتماع (ترجمة فايز الصباغ) مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, الطبعة الرابعة,بدون سنة نشر, ص٥٧٨,٥٧٩.

(٤٠) على ليلة: البنائية الوظيفية في علم الإجتماع «الرواد», المكتبة المصرية, الإسكندرية, الطبعة الثانية, ٢٠٠٣, ص ٢٥١.

الأوليـة للحيـاة الدينيـة» ١٩١٢، يُعـد الإسـهام الحقيقـي في دراسـته للديـن والـذي أسـهم في تطويـر النظريـة الدينيـة في علـم الاجتـماع حتـى أنـه يمكننـا القـول بأنـه مـن أوائـل مـن أسسـوا لعلـم الاجتـماع الدينـي كفـرع لا غنـى عنـه مـن فـروع علـم الاجتـماع وذلـك في معـرض تناولـه للأقسـام الفرعيـة التـي يجـب أن يتضمنهـا علـم الاجتـماع، فـإلى جانـب المورفولوجيـا الاجتماعيـة أو علـم البيئـة الـذي يحـاول دراسـة المجتمـع البـشري مـن الناحيـة الخارجيـة، فهنـاك علـم الوظائـف الاجتماعيـة الـذي يـدرس مظاهـر الحيـاة الاجتماعيـة ووجـوه نشـاط الأفـراد في حالـة الاجتـماع ويضـع دوركايـم علـم الاجتـماع الدينـي عـلى رأس فـروع هـذا العلـم، لأنـه يعتقـد أن الديـن هـو أهـم الظواهـر الاجتماعيـة وأقـوى دعائمهـا[٤١] وقـد تأثـر دوركايـم في تناولـه للظاهـرة الدينيـة بـكل مـن كونـت وسـبنسر وآخريـن؛ إلَّا أنَّ التأثـير الأبـرز كان مصـدره المفكـر البريطـاني (وليـم روبرتسـون سـميث)، حيـث تعـرف إلى أعمالـه خـلال الفـترة المتأخـرة مـن حياتـه، وكان لعمـل مثـل «محـاضرات حـول ديانـة الساميين» تأثـير بـارز وجـلي في عملـه » الأشـكال الأوليـة للحيـاة الدينيـة«.[٤٢]

ولقـد عـرف دوركايـم الديـن بأنـه « مجموعـة متماسـكة مـن العقائـد والأعـمال المتصلـة بالعـالم القـدسي أو التـي يظـن مجيئهـا مـن قبـل هـذا العـالم وهـي عقائـد وأعـمال تشـترك في إتقانهـا ومزاولتهـا مجموعـة مـن الأفـراد يتكـون منهـم مجتمـع خـاص «، وتقـوم نظريـة دوركايـم في الديـن عـلى أسـاس تقسـيم الظاهـرة الدينيـة إلى قسـمين: القسـم المقـدس؛ وهـو الـذي يتعلـق بالعقائـد ومـا يتصـل بهـا. والقسـم العلـماني؛ وهـو الـذي يتعلـق بالطقـوس والعـادات ومـا يتصـل بهـا. ويقصـد بالمقـدس كل شيء في نظـر الديانـات يكـون مـن طبيعـة تختلـف اختلافًـا جوهريًـا عـن أشـياء العـالم العلـمانى (الآلهـة، الكائنـات الروحيـة، والنصـوص الدينيـة ومـا إليهـا)، أمـا القسـم العلـماني في الديـن فيشـمل الأعـمال والطقـوس التـي تنظـم سـلوك الإنسـان حيـال القسـم المقـدس وتشـمل الصـلاة والصـوم والحـج والدعـاء والـزكاة.[٤٣]

(٤١) عـدلى عـلى أبـو طاحـون: النظريـات الإجتماعيـة المعـاصرة, المكتـب الجامعـى الحديـث, الطبعـة الأولى, بـدون سـنة نـشر, ص ١١١,١١٠.

(٤٢)عبد الله عبدالرحمن يتيم: اميل دوركايم ملمح من حياته وفكره الأنثروبولوجى، مجلة إضافات، العدد ٢٥، ٢٠١٤ ص ٣٤.

(٤٣)عدلى على أبو طاحون: النظريات الإجتماعية المعاصرة, مرجع سابق, ص ١٢٥,١٢٤.

كما أنه يميز بين المقدس والمدنس حيث يشير المدنس إلى جوانب الحياة الروتينية اليومية حيث يتعامل الناس مع الأشياء والرموز المقدسة بمعزل عنها[٤٤] ولا يربط دوركايم الدين بالتفاوت الإجتماعي أو السلطة، بل يدرس علاقته بطبيعة المؤسسات الإجتماعية ويرتكز عمله على دراسة الطوطمية التي يمارسها سكان استراليا الأصليون باعتبارها (الأشكال الأولية للدين). فالطوطم حيوان أو نبات يُجسد قيمة رمزية الجماعة ويحظى بالإجلال والإحترام، لأن له طابعًا مقدسًا تتبلور حوله منظومة من الأنشطة الطقوسية المتنوعة، وسبب اعتبار الطوطم مقدسًا فيرجع إلى أنه يمثل رمزًا للجماعة نفسها، فهو يُجسد القيم المحورية في حياة الجماعة أو المجتمع، ومشاعر الإحترام التي تحملها الجماعة إزاء الطوطم ما هي إلا تعبيرًا عن احترامهم للقيم الجماعية الأساسية السائدة بينهم، وموضوع العبادة في نظر دوركايم هو المجتمع نفسه الذي يسعى إلى تأكيد ذاته بذاته، ويرسخ شرعيته وقيمه. ومن هنا، فالآلهه هي صورة للمجتمع، وليس المجتمع صورة للآلهه.[٤٥]

والأخلاق عند دوركايم جزء لا يتجزأ من الدين بل هي مكملة له ومتداخلة معه، ويتضح ذلك في مقالة له بعنوان «حتمية الوقائع الأخلاقية» ١٩٠٦، ساوى دوركايم الأخلاق بعمومية العقيدة الدينية، قائلًا بأن الحياة الإجتماعية لا يمكن بحال من الأحوال أن تشبع بذاتها كل الخصائص التى يحرص عليها الدين بوجه عام. إن الدين والأخلاق في نظر دوركايم متداخلان بطريقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهناك دائمًا عناصر أخلاقية في الدين، وعناصر دينية في الأخلاق، وهكذا يتابع دوركايم فكرة أن الحياة الأخلاقية والحياة الإجتماعية بالتالي لهما طابعًا مقدسًا يوحي بالإحترام والهيبة والطاعة، وفي هذا الصدد يعلن دوركايم أنه « في البداية كان كل شيء له الطابع الديني». وهو في ذلك يعارض دعوى الماركسية بأن الحياة الإجتماعية والثقافية ليست سوى إشتقاقات للقوى الإقتصادية، وأن التغير الإجتماعى نتاج آلي للظروف المادية. إن الحياة الإجتماعية في نظر دوركايم أكبر من ذلك بكثير، إنها بناء أخلاقي يتركب من مجموعة من الوصايا العامة التي تستند على قيم وأفكار دينية».[٤٦]

---

(٤٤) أنتونى جيدنز: علم الاجتماع, مرجع سابق ص ٥٨٠.

(٤٥) انتونى جيدنز: مرجع سابق, ص ٥٨١.

(٤٦) آلان سوينجوود: تاريخ النظرية في علم الإجتماع, ترجمة السيد عبد العاطى السيد, مرجع سابق, ص ١٣٧.

إنَّ الدين بهذا المعنى هو مكون أساسي عند دوركايم، يُمارس وظائف عدة أهمها أنه يعمل على توحيد الأفراد بناء على المشترك بينهم وهو الطقوس الدينية، فممارستهم لتلك الطقوس تشكل لديهم شعورًا جمعيًا، هذا الشعور الجمعي هو المسؤول عن ظهور المعتقد الديني، هذا المعتقد هو الذي يجعل الأفراد يتضامنون فيما بينهم لذلك فالواجب الأخلاقي حسب دوركايم فرض على جميع الأفراد الإمتثال إلى هذا المكون الذي يمارس نوعًا من الإكراه على أفراد المجتمع، وبهذا الفهم يصبح الدين إحساسًا جماعيًا ذي وجود مادي يعمل المجتمع على دفع أفراده إلى التعلق به واحترامه، وتبعًا لهذا الدور الكبير الذي يقوم به الدين في دعم التضامن الاجتماعي يتوقف دوركايم كثيرًا عند الوظيفة الأساسية للمكون الديني وهي وظيفة الإدماج الاجتماعي والحفاظ على النظام الاجتماعي منسجمًا ومتماسكًا، لذلك يركز دوركايم كثيرًا على الإندماج الاجتماعي كوظيفة أساسية للدين؛ حيث يشدد على أن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فحسب، بل تتجاوزها لتشمل مجموعة من الأنشطة الطقوسية والإحتفالات الدورية التي يتجمع فيها المؤمنون ويلتقون سويًا، وفي هذه الاحتفالات الجمعية، يتأكد ويترسخ الإحساس بالتضامن الإجتماعى، وإن كان قد عارضه ميرتون في ذلك حينما ذهب إلي أنه ليس بالضرورة أن يقوم الدين بتحقيق الإندماج والتضامن الاجتماعي والمحافظة على النظام وإنما قد يكون الدين في بعض الأحيان معوقًا وظيفيًا فهناك الكثير من الحروب التي قامت ولا زالت تقوم باسم الدين، وإن كان دوركايم ركز على المظهر الحركي والدينامي للإحساس الديني، ذلك أنَّ الدين له قوة تمكن من الحركة وتدفع إلى الفعل، [٤٧] فإنه يلتقي في ذلك مع ماكس فيبر في كونه يركز على البعد التحفيزي للدين وأنه باعث على الفعل، فالمؤمن يسمو على غير المؤمن في كونه يستشعر قوة لتحمل صعوبات الحياة والتغلب عليها، وإن كان ماركس قد عارضهم في ذلك فقد رأى أن الدين يؤدي إلى الخنوع والإستسلام عندما تستخدمه الفئات المستغلة لإقناع الفئات المُستغَلة بالصبر على الظلم والقهر والإستبداد أملًا في حياة أفضل في العالم الآخر.

---

(٤٧) عبد الرحمن فضلى: السوسيولوجية الكلاسيكية والظاهرة الدينية, (نموذج اميل دوركايم وماكس فيبر), مركز نماء للبحوث والدراسات, أوراق نماء(١٣٦), بدون سنة نشر, ص٤.

إنَّ الإيمـان بالديـن ضروري حسـب دوركايـم؛ لأنَّـه يحـرك الإنسـان ويدفعـه إلى الفعـل؛ لذلـك فالعلـم عاجـز عـن إزاحـة الديـن، فقـد يتعارضـان في بعـض الأحيـان إلَّا أنَّ الديـن هـو قـوة تجعـل الفـرد ينضـم إلى الجماعـة ويترابـط معهـا، فـإذا كان أوجسـت كونـت يـرى أنَّ العلـم، وخصوصًـا العلـم الوضعـي يجـب أن يقـضي عـلى الديانـات، أو بالأحـرى أن تتحـول الديانـة إلى العلـم؛ فـإنَّ دوركايـم يحـاول مـن جهـة أن يختـزل الديـن في المقـوم الاجتماعـي، لكنـه مـن جهـة أخـرى يـدرك الاجتماعـي بالاسـتناد إلى الدينـي، حـين يعتـبر أنَّ أي مجتمـع لا يمكنـه أن يقـوم وينهـض إلَّا بالاعتـماد عـلى تصـور قـدسي للإحسـاس الجماعـي[٤٨].

إنَّ الديانــات بهــذا المعنــى تضــم الجانــب العقائــدي والجانــب الشــعائري، ثــم الجانــب المؤسسـاتي، بحيـث يحتـوي الجانـب الأول عـلى مختلـف التصـورات والقواعـد المعياريـة للديـن، في حـين يضـم الجانـب الشـعائري مجموعـة مـن الأنشـطة الطقوسـية والإحتفـالات التـي يقـوم بهـا المجتمـع وفقًـا لِـمَا تمليـه عليهـم عقائدهـم، بينـما يمثـل الجانـب الثالـث تلـك المؤسسـات التـي تقـام فيهـا هـذه الشعائر(الكنيسـة، والمسـجد)، ذلـك أن الأفـراد يشـعرون بوجـود قـوى خارجـة عنهـم لهـا تأثيرهـا في أعمالهـم، وهـم لا يخضعـون لهـذه القـوى خوفًـا منهـا فقـط، ولكـن لأنهـم يـرون في أنفسـهم مـا يدفعهـم إلى القيـام بهـذه الأعـمال لا إراديًـا.[٤٩] حيـث ينـأى الأفـراد بأنفسـهم عــن المشــاغل اليوميــة في الحيــاة الإجتماعيــة، ويرتقــون بأنفســهم إلى مرتبــة عليــا يشــعرون معهــا بالتواصـل مـع قـوى علويـة، هـذه القـوى العلويـة التـي تنسـب إلى الآلهـه إنمـا هـي في واقـع الأمـر تعبـيرًا عـن غلبـة الـروح الجماعيـة عـلى النزعـة الفرديـة فهـذه الشـعائر والإحتفـالات تربـط أفـراد الجماعـة بعضهـم ببعـض ليـس في تجمعـات العبـادة فحسـب، بـل في مراحـل الإنتقـال والأزمـات المتعـددة التـي تمـر بهـا حيـاة الأفـراد والجماعـات؛ كالميـلاد والـزواج والمـوت، بـل إن هـذه الشـعائر الطقوسـية التـي يمارسـها الأفـراد إنمـا تؤكـد التضامـن الاجتماعـي في الأوقـات التـي يجـد فيهـا النـاس أنفسـهم مرغمـين عـلى التكيـف مـع التغـيرات الأساسـية في حياتهـم، فالجنـازات

---

(٤٨) رشـيد اوترحـوت: أنثربولوجيـا العـالم الاسـلامي, مدخـل إلى أنثربولوجيـا الظاهـرة الدينيـة, جامعـة بـن زهـير, أكادير,الطبعـة الأولى, ٢٠١٢, ص ٢٧.

(٤٩) يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني, بيروت, دار الفارابي, ٢٠٠٣, ص١٣٠,١٣١.

على سبيل المثال، تمثل تعبيرًا عن ديمومة الجماعة بعد رحيل الفرد، وهي بالتالي تعين المفجوعين من أهل الميت على التكيف مع الظروف المتغيرة، كما أن الحداد ليس تعبيرًا عفويًّا عن الحزن ممن لا يمتون بقرابة مباشرة مع الموتى، وإنما هو واجب تفرضه الجماعة.[٥٠] وقد اعتقد دوركايم أن تأثير الدين سينحسر مع تطور المجتمعات الحديثة، وسيحل محله التفكير العلمي، ويشترك دوركايم مع ماركس في الرأي بأن الدين التقليدي، أي الإيمان بآلهه أو قوى علوية، هو على وشك الإختفاء، ويقول دوركايم في إحدى عباراته الشهيرة: « لقد ماتت الآلهة القديمة «، غير أنه يعترف أن الدين قد يستمر، ولكن بأشكال بديلة أخرى وما زالت المجتمعات الحديثة تعتمد على الممارسات الطقوسية لتأكيد تماسكها الإجتماعي وقيمها الأساسية، ولم يتخذ دوركايم موقفًا واضحًا من الأشكال البديلة المحتملة للعقائد الدينية التقليدية، غير أنه ألمح إلى أن الشعائر البديلة ستدور حول القيم الإنسانية والسياسية مثل الحرية؛ والمساواة، والتعاون الإجتماعي.[٥١]

ونحن إذ نرى دوركايم وقد شدد على الجانب الشعائري والطقوسي للدين أي الجانب الظاهر منه وهو ما نسميه (التدين) أو الإيمان الشكلي، فنحن نتفق معه على أهمية هذا الجانب من الدين فأي دين لابد له من طقوس وشعائر تحقق الانتماء إليه، ولكن المعضلة أن يكتفي الفرد من دينه بهذا الجانب الشكلي الظاهر دون أن يهتم في المقابل بالجانب الضمني الجوهري الباطن؛ لأن الأصل أن يكون هذا الجانب الظاهر من الدين إنعكاسًا لإيمان ووعي ديني وتجسيد له. شريطة ألا يؤدي ذلك الإلتزام بذلك الجانب الظاهري أن يعتبر المرء نفسه النموذج الذي يُقاس عليه سائر الناس فمن زاد عليه فهو من أهل الإفراط ومن نقص عنه فهو من أهل التفريط. فالفرد يتغير بين وقت ووقت، وبين مرحلة عمرية وأخرى؛ فالحالة التي عليها الفرد الآن وراضٍ بها قد يكون راضيًا بها من غيره من الناس فيما مضى. فلا نجعل من أنفسنا مقياسًا للصلاح في الدين لمجرد التزامنا بالشكل الظاهري لهذا الدين.

---

(٥٠) أنتوني جيدنز: علم الاجتماع, مرجع سابق, ص ٥٨١.

(٥١) أنتوني جيدنز, المرجع نفسه, ص٥٨٢.

٣- ماكس فيبر:

إذا كان دوركايم قد ركز تحليلاته على مجموعة صغيرة من الأمثلة فإن ماكس فيبر في المقابل قد قام بدراسة مقارنة للأديان القائمة في العالم والتي يدين بها أعداد كبيرة من الأتباع والتي أثرت بشكل كبير على مجريات التاريخ البشرى، ورغم اختلاف كتابات كلا منهما فيما يتعلق بالظاهرة الدينية، حيث ركز ماكس فيبر على الترابط بين الدين والتغير الإجتماعي بينما لم يتطرق دوركايم إليه وركز على الدور الذي يلعبه الدين وممارسة الشعائر الدينية في تحقيق التضامن الإجتماعي؛ إلا أنهما التقيا في بعض القضايا وخاصة الدور الذي تقوم به الأديان بالتأثير على سلوك الأفراد وتحفيزهم على الفعل، وكانت هذه هي نقطة اهتمام ماكس فيبر في الدراسة المقارنة التى عقدها للأديان وذلك في كتابه «سوسيولوجيا الأديان» حيث قارن فيه بين أديان العالم في محاولة منه لعقلنة الدين؛ ولكنه قد تجاوز مرحلة العقلنة النظرية إلى مستوى عقلنة المؤسسات والحياة الإجتماعية وهذا ما ميز فكر فيبر الذي يُعد من السوسيولوجيين الذين أسسوا لعلم الاجتماع الديني بألمانيا، وكان ما يشغل ماكس فيبر أثناء مقارنته للأديان ليس التأويل الأيديولوجي للأديان، وإنَّما ذلك الفعل الذي ينتج تبعًا للتأثيرات التي تولدها الديانات على سلوك الأفراد وأفعالهم وتعطيهم معنى يستحق كل دراسة وتحليل[٥٢]؛ أي أن دراساته حول الدين تهدف إلى الكشف عن الحوافز التي تدفع الفرد إلى الفعل وقد استنتج من هذه المقارنة أن الدين البروتستانتي هو الوحيد الذي أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بحثه على الفعل والانتاج وتأثيره في سلوك الأفراد، عكس الديانات الأخرى (الهندوسية والكونفوشية)، حيث يرى فيبر أنَّ الهندوسية تمثل دين العالم الآخر لأنها تؤكد على ضرورة الهروب من متاعب العالم المادي والتحليق إلى مستويات عليا من الوجود الروحي، كذلك الحال دعت الكونفوشية أيضًا إلى العزوف عن التنمية الاقتصادية كما يفهمها الغرب وشددت على ضرورة الإنسجام مع العالم لا إلى السعي النشط للسيطرة عليه[٥٣]، لذلك فالدين البروتستانتي هو الوحيد الذي يعمل للدنيا والآخرة معًا وهذه الخاصية

(٥٢) إكرام عدننى: سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر, بيروت, منتدى المعارف, ٢٠١٣, ص١٩١.

(٥٣) جيدنز: علم الإجتماع, مرجع سابق. ص ٥٨٣.

المزدوجة هي التي جعلته في نظر فيبر يؤثر على الحياة الخاصة للأفراد ليعجل بذلك في ظهور الرأسمالية الخالصة. فرجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذا ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية [٥٤].

وقد ناقش فيبر هذه الأطروحة في كتابه، «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية» وكان قد اشتهر بهذا الكتاب أكثر من غيره فقد سعى فيبر ليبرهن على أن الرأسمالية تعد نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًّا في العصر الحديث، وهي في مجملها نتاجًا طبيعيًا للدين البروتستانتي وما يقوم عليه من مبادئ، وقيم، ومعتقدات، وتصورات دينية ومجتمعية، خاصة لانها تتوجه بفضل الأخلاق الكالفينية علاوة على ذلك، أن كل من الأخلاق الكالفينية وروح البروتستانتية توجه الحياة اليومية العادية، لاسيما نحو الأنشطة الإقتصادية المنتجة مثال ذلك الإدخار، والإستثمار، والعمل، والإنتاج، واحترام المهن وقدسيتها، كما تنظم مجموعة من الواجبات والحقوق والسلوك الاقتصادي، وتنذر من عواقب الكسل والخمول والإتكالية، كما تحبب الفرد في تنمية علاقاته مع جماعات العمل عن طريق قيم علمية ودينية في نفس الوقت ولاسيما قيم الأمانة، والصدق وضرورو إكتساب الخبرة، كما أنها تعد من خلق الله، وتوجه الفرد نحو العمل والكسب كما تسعى للإهتمام بالعوامل الإدارية والمهنية والتنظيمية وتوجيه السلوك البشرى ككل.[٥٥] وهو إذ يجعل للدين دورًا أساسيًا في تشكيل الأنشطة الإقتصادية؛ فإنه بذلك يخالف الماركسية التي تركز فقط على فكرة الأبعاد الأحادية في تفسير الظواهر المجتمعية، والإعتماد فقط على العوامل المادية (الإقتصاد) في فهم الواقع الإجتماعى المتغير ومنتقدًا العوامل المؤثرة في تشكيله بصورة عامة.[٥٦] فالمحدد المادي (الاقتصادي) ليس عاملًا وحيدًا في ظهور الرأسمالية بأوروبا والعالم، وإنَّما هناك عوامل أخرى أساسية تتمثل في العوامل الثقافية، لكن هذا لا يعني أنَّ

---

(٥٤) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتينية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد على مقلد , بيروت, مركز الإنماء القومي, ١٩٩٠, ص ١٦.

(٥٥) عبدالله محمد عبدالرحمن: النظرية في علم الإجتماع (النظرية الكلاسيكية), دار المعرفة الجامعية, الأزاريطة, ٢٠٠٦, ص٢٨٦.

(٥٦) عبدالله محمد عبدالرحمن: النظرية في علم الاجتماع (النظرية الكلاسيكية), مرجع سابق, ص٢٨٥.

فيـبر يقـصي العوامـل المادـيـة، فهـو يركـز عـلى الديـن كعامـل محـدد دون إغفـال أهميـة البعـد المـادي في التغيـير الاجتماعـي.

- وقـد أراد فيـبر بدراسـته لتأثـير الأخـلاق البروتسـتانتية عـلى الرأسـمالية أن يؤكـد عـلى قضيتـين هما:

١. أن سـلوك الأفـراد في مختلـف المجتمعـات يفهـم في إطـار تصورهـم العـام للوجـود وتعتـبر المعتقـدات الدينيـة وتفسـيرها إحـدى هـذه التصـورات للعـالم والتـي تؤثـر في سـلوك الأفـراد والجماعـات بمـا في ذلـك السـلوك الإقتصـادي.

٢. أن التصـورات الدينيـة هـي بالفعـل إحـدى محـددات السـلوك الإقتصـادي ومـن ثـم فهـي تعـد مـن أسـباب تغـير هـذا السـلوك، عـلى أن فيـبر لم يعالـج الجوانـب المختلفـة للديـن بوصفـه ظاهـرة اجتماعيـة بـل اكتفـى بدراسـة الأخلاقيـات الإقتصاديـة للديـن ويقصـد منهـا مـا يؤكـد عليـه الديـن مـن قيـم إقتصاديـة.[٥٧] أي أنَّ ماكـس فيـبر لم يتحـدث عـن دور الديـن في نشـوء الرأسـمالية، وإنَّمـا تحـدث عـن دور الديـن في بـروز روح الرأسـمالية فهـو يميـز بـين الرأسـمالية القائمـة عـلى النفعيـة والرأسـمالية القائمـة عـلى الأخـلاق، وهـذه هـي التـي تدفـع الأفـراد إلى ممارسـة المهـام الإقتصاديـة عـلى أنَّهـا واجـب.

لقـد إنصـب إهتـمام فيـبر عـلى سـلوك المتديـن؛ أكـثر مـن إهتمامـه بالتأمـل في العقائـد والنظريـات اللاهوتيـة المتنافسـة أو بالفلسـفات الدينيـة، إذ كانـت غايـة فيـبر فَهْـمَ تأثـير السـلوك الدينـي في بقيـة النشـاطات الأخلاقيـة والاقتصاديـة والسياسـية والاجتماعيـة، وبهـذا المعنـى تُصبـح سوسـيولوجيا الديـن في الوقـت نفسِـه أبحاثًـا متعلّقـة بسوسـيولوجيا الاقتصـاد أو السياسـة، وبخاصـة سوسـيولوجيا الأخـلاق.[٥٨] ويقـول فيـبر في هـذا الشـأن « لا يُهِمّـنا بالتأكيـد مـا كان يجـري تعليمُـه نظريًّـا ورسـميًّا في كُتـب اللاهـوت الأخلاقـي، وإنمـا همنـا اكتشـافُ الحوافـز السـيكولوجية التـي تمتـدُّ جذورُهـا إلى المعتقـدات والممارسـات

(٥٧) عدلى على أبو طاحون: مرجع سابق, ص ١٤٤.

(٥٨)جوليـان فرونـد, سوسـيولوجيا ماكـس فيـبر, ترجمـة جـورج أبي صالـح، مركـز الإنمـاء القومـي، بـيروت، ط١، بـدون تاريـخ نـشر، ص٨٧

الدينيـة التـي ترسـم للفـرد سُـلوكه».[٥٩] ولقـد دارت دراسـات فيـبر الدينيـة حـول مـدى تأثـير التصـورات الدينيـة عـلى العـالم والوجـود في السـلوك الاقتصـادي للمجتمعـات أي أنـه عـارض بذلـك الإتجـاه الماركسى الـذي يقـوم عـلى فكـرةٍ جوهريـة، مُفادُهـا أنّ خاصيـة السـلوك الدينـي مـا هـي إلاّ مجـرّدُ وظيفـةٍ يحدّدهـا الموقـع الاجتماعـي للطبقـة التـي تَظهـر وسـطها، كـما لـو كانـت هـذه الشريحـةُ هـي الحامـلُ المميِّـز لهـذه الوظيفـة، أو أنهـا لا تُمثِّـل إلا أيديولوجيتهـا.[٦٠].

لقـد سـعى فيـبر جاهـدًا لتفنيـد مـا يدّعيـه ماركـس في نظريّتـه حـول التاريـخ مـن أسـبقية العنـصر الاقتصـادي، حيـث إنـه يذهـب إلى أنّ التغـيُّرات في العلاقـات الاقتصاديـة بـين الأفـراد قـد أدّت إلى تغـيُّراتٍ في المجـالات الأخـرى الاجتماعيـة والثقافيـة، مُسـتبعِدًا العامـلَ الدينـي مـن أنْ يكـون ذا أثـرٍ في التغـيُّر الاجتماعـي، وذاهبًـا إلى أنّ المِلْكيـة الفرديـة خـلال التاريـخ كلِّـه - وكذلـك العلاقـات الاقتصاديـة والصراعات الطبَقيـة الناشـئة عـن هـذه العلاقـات- كانـت هـي العامـلَ المؤثِّـر في تطـوُّر الجنـس البـشري.[٦١] ولكـن فيـبر يؤكـد في المقابـل عـلى أهمّيـة الديـن كقـوةٍ تكامُليـة في المجتمـع ودوره في الإسـتقرار الاجتماعـي وفي الدفـع نحـو الحيويـة العمليـة وعقلنـة السـلوك وعـلى مكانـة المعتقـدات والممارسـات الدينيـة في مسـائل التغـيُّر الاجتماعـي. فالديـن مـن أقـوى حوافـز الفعـل الاجتماعـي ولا غِنًـى عنـه مـن أجـل فهـم المجتمـع والسـلوك الاجتماعـي، ومـن أجـل فهـم التاريـخ وحركتِـه [٦٢]، ومـا يمكـن أن نخلـص إليـه مـن هـذا النتـاج الفيـبري، وهـو أن فيـبر لم يحـصر السوسـيولوجيا الدينيـة في تفسـير ضيـق للظاهـرة الدينيـة مـن أجلهـا بالـذات، وإنمـا حـاول أن يوضـح كيـف يوجـه السـلوك الدينـي بقيـة النشـاطات الإنسـانية، اقتصاديـة وسياسـية وقانونيـة، وكيـف يحـدد موقـف ذو أصـول دينيـة سـلوكًا أخلاقيًـا يطبـق بـدوره في الشـؤون الدنيويـة، كـما يؤكـد عـلى أهميـة الـدور الـذى يقـوم بـه الديـن في إحـداث التغـير الإجتماعـى، ولا سـيما في تنميـة النظـام الرأسـمالي في الغـرب.

---

(٥٩) ماكـس فيـبر، الأخـلاق البروتسـتانتية وروح الرأسـمالية، ترجمـة: محمـد عـلي مقلّـد، مركـز الإنمـاء القومـي، مراجعـة: جـورج آبي صالـح، بـيروت، لبنـان، دون ذكـر رقـم الطبعـة أو تاريخهـا، ص٦٧.

(٦٠) كاتريـن كوليـو تيلـين، ماكـس فيـبر والتاريـخ، ترجمـة: جـورج كتـورة، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر والتوزيـع، بـيروت، لبنـان، ط١، ١٩٩٤، ص٣٤-٣٥.

(٦١) كاترين كوليو تيلين، ماكس فيبر والتاريخ، (المرجع نفسه)، ص١١٦.

(٦٢) زيدان عبدالباقي، علم الاجتماع الديني، مكتبة غريب, ١٩٨١, ص١٠٨.

ونحن نتفق مع فيبر تمام الإتفاق في التركيز على أهمية الجانب السلوكي من الدين ومدى تأثيره على السلوكيات الاجتماعية والإقتصادية، والسياسية والقانونية، شريطة أن يتم عقلنة هذا السلوك والوعي به، فضلًا عن دور الممارسة الدينية إلى جانب ذلك الوعي في إحداث التغيير الاجتماعي؛ فلا يمكن لأي تغيير اجتماعي أن يحدث إلا أن يتوافق الوعي الديني مع سلوك الفرد وممارساته الدينية لطقوس وشعائر هذا الدين، فجانب السلوك والممارسات لا يمكن إغفال أهميته ودوره ولكن في تجسيده لعقيدة ووعي ديني حقيقي.

٤- كارل ماركس:

وتعتبر الفلسفة الماركسية من بين أهم الفلسفات المادية التي أحدثت تحولًا كبير في بنية الفكر الغربي، وترجع أهميتها إلى كونها فلسفة علمية تسعى إلى تحرير الإنسان من الخرافة والوهم وتسهم في تقدم العلوم والمجتمعات. وقد إهتم "كارل ماركس" بالدين منذ بداية مشواره الفكري، فكان مدخلاً أساسيًا إلى بقية المسائل الفكرية، وعلى الرغم من الآثر الكبير الذي أحدثه ماركس في مجال دراسة الدين، إلا أنه لم يدرس الدين بحد ذاته بصورة تفصيلية بل استقى أكثر أفكاره في هذا الميدان من كتابات عدد من الفلاسفة والمفكرين في القرن التاسع عشر وكان منهم لودفيغ فيورباخ الذي ذهب في كتابه «جوهر المسيحية» إلى أن الدين يتكون من أفكار وقيم أنتجها البشر خلال تطورهم الثقافي، ولكنهم أسبغوها على قوى سماوية أو إلهيه، ونظرًا لأن البشر لا يعرفون مصيرهم تمام المعرفة فانهم ينسبون إلى أنشطة الآلهه ما سبق أن أنتجوه في مجتمعاتهم من قيم ومعايير.[٦٣] وإلى جانب فيورباخ فقد إستقى ماركس فكره الديني من الفلسفة الهيجلية المثالي، إلا أنه قام بتحريك نظرية هيجل من العالم المثالي إلى العالم المادي فجعل الأسباب المادية والمحركات الاقتصادية وحدها هي الأساس لسير التاريخ وتطوره وارتقائه على عكس ما كان يذهب هيجل من أن الدين هو أساس تطور التاريخ، ولا تنكر الماركسية أن أصل الدين لم ينبثق عن أساس اقتصادي، وذلك لأنّ العادات الدينية نشأت سابقة على

(٦٣) أنتونى جيدنز: علم الاجتماع, مرجع سابق, ص٥٧٩.

نظـام الملكيـة الخاصـة. فالديانـة البدائيـة لم تكـن نظامًـا للدفـاع عـن السـيادة الاقتصاديـة للطبقـة المسـيطرة، وإنّمـا نشـأت مـن الخـوف مـن القـوى الطبيعيـة والجهـل بهـا، فنشـأت فكـرة الآلهـة الأولى عـن طريـق تشـخيص قـوى الطبيعـة، وكان يقـف مـن هـذه القـوى الطبيعيـة موقـف الخـوف والرهبـة، ومـن هـذا الخـوف نشـأت رغبـة اسـترضاء هـذه الآلهـة المسـئولة عـن قـوى الطبيعـة، جلبًـا لرضاهـا وخوفًـا مـن سـخطها، فكانـت العبـادة والتضحيـة للكائنـات السـماوية، وبظهـور الملكيـة الخاصـة ظهـرت وظيفـة جديـدة للديـن إذ لم تعـد الحاجـة إلى الديـن مقصـورة عـلى أن يوفـر للنـاس طريقـة سـيكولوجية فعالـة، حتـى ولـو لم تكـن فعالـةً موضوعيًّـا لمعالجـة عوامـل الطبيعـة فـإنّ ظهـور الملكيـة الخاصـة قـد صحبـه اسـتغلال الاجتماعـي، وأدى هـذا الإسـتغلال الناتـج عـن الملكيـة الخاصـة إلى ضرورة خلـق نظـام اجتماعـي شـامل يدخـل فيـه الديـن لحمايـة الطبقـة الحاكمـة المسـتغلة وخدمتهـا، فأصبـح الديـن عندئـذ الـدرع السـيكولوجي للطبقـات المظلومـة ضـد المـآسي والمخـاوف الجديـدة التـي تخلقهـا القـوى الاقتصاديـة والاجتماعيـة، وهـذه هـي الوظيفـة الحـاضرة المميـزة للديـن.

فالديـن في نظـر الماركسـيين نشـأ بمثابـة وسـيلة مليئـة بالخرافـة للتغلـب عـلى المخـاوف التـى تنتـاب الإنسـان مـن عـالم الآلهـه وقـوى الطبيعـة، إلا أن الإنسـان الحديـث لم يعـد يقلـق كثـيرًا لفعـل العوامـل الطبيعيـة، لأنّ العلـم الحديـث قـد وفـر لـه الحمايـة الكافيـة مـن دمـار الطبيعـة العـادي، ولم يعـد الإنسـان يواجـه الآن عوامـل لا يسـتطيع التغلـب عليهـا إلا العوامـل الاقتصاديـة وطالمـا ظلـت هـذه العوامـل خفيـة لا يمكـن التنبـؤ بهـا باعتبارهـا عوامـل في ظـل الرأسـمالية فقـد ظـل الديـن يـزود الإنسـان بتفسـير للـمآسي التـي تحـل بـه نتيجـة لهـذه العوامـل وظـل عونًـا سـيكولوجيًا يعينـه عـلى أن يتحمـل ظلـم الإسـتغلال الاقتصـادي والسـياسي أوالخلقـي، فالديـن يسـاعد عـلى كـسر حـدة الغضـب الـذي يوجـد طبيعيًـا بـين الطبقـات المتعارضـة في المجتمـع، والديـن يعلـم الفقـراء مزايـا الفقـر ويعلـم الأغنيـاء ضرورة تقديـم الصدقـات التـي تـبرر اسـتغلالهم ووجودهـم المتطفل.

ويـدور محـور الفكـر الماركـسي حـول أن الديـن ليـس تعبـيرًا عـن الإنسـان كنـوعٍ أي ليـس صفـة ملازمـة لـه، لا يولـد مـع الإنسـان، بـل يكـون مُعايشًـا لـه، لكنـه إفـراز شروط تاريخيـه

معطاة اجتماعيًا، يأتي من التاريخ والمجتمع وينمو ويتطور ويتغير ويختفي في مسار الحركة التاريخية.[٦٤] فالدين ليس له وجود حقيقي، بل إن وجوده وهمي يتخيله الفرد أو المجتمع إذ يرى أن كل دين ليس سوى انعكاس وأهم في عقول البشر للقوى الخارجية التي تهيمن على وجوده اليومي، هذا الإنعكاس الذي تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى ميتافيزيقية[٦٥] وهذا الإنعكاس نتيجة سيطرة الظلم والإستغلال، فقام الناس باختراع الدين ليخرجوا من شقائهم، فالدين يدعو الناس إلى القناعة والرضا بأوضاعهم في هذه الحياة، ويؤدي ذلك إلى صرف الإنتباه عن المظالم ووجوه التفاوت واللامساواة في العالم وإلهاء الناس بما يمكن أن يكون نصيبهم في عالم الآخرة.

فالدين إذن في نظر الماركسيين يبرر أسلوب الإنتاج الاقتصادي الحاضر ويكسبه صفة الدوام وهو الذي يساعد على إستمرار إستغلال الجماهير. فالدين من ثم (أفيون الشعوب) الذي يخدر عقول الناس، فيمنعها من معرفة الحياة والسكون المادي معرفة علمية، أي يمنعها من معرفتها كما هي في الواقع، وبذلك ينطوي الدين عند ماركس على جانب إيديولوجي والأيديولوجيا في التعريف الماركسي تتضمن جميع أشكال الأخلاق والدين والعلم والشعر والفن والأدب، وهي التي تؤلف ما يسميه ماركس بالبنية الفوقية التي هي إنعكاس للبنية التحتية، ويتمثل هذا الجانب الأيدولوجي للدين في أن المعتقدات والقيم الدينية تستخدم في أكثر الأحيان لتبرير جوانب اللامساواة في مجالات الثروة والسلطة؛ فهو عامل من عوامل الصراع بين الطبقات حيث تستغله الطبقة المسيطرة لبسط نفوذها وهيمنتها على سائر الطبقات الأخرى، بتوظيفها للدين ليقوم بوظيفة التبرير والتضليل، فيتحول بذلك إلى نوع من العزاء الروحي الّذي يعد الناس بالنعيم الأخروي، تعويضًا لهم عن بؤسهم وشقائهم الدنيوي، فهو يشكل وعيًا زائفًا مضللًا يعكس الواقع بشكل مقلوب ويمنحه نوعًا من الشرعية [٦٦].

---

(٦٤) مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها، تقديم أم الزين بن شيخة المسكيني، دار ومكتبة عدنان، بغداد، الطبعة الثامنة، ٢٠١٤, ص٧٠.

(٦٥) كارل ماركس، فريديك إنجلز: حول الدين، ترجمة: ياسين الحافظ، دار الطليعة، بيروت، ط١, ١٩٨٤, ص ١١٣,١١٢.

(٦٦) مالورى ناى: الدين الأسس، ترجمة هند عبد الستار، مراجعة جبور سمعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت. الطبعة الأولى،٢٠٠٩، ص٩٣.

ولعـل هـذا التداخـل الـذي حصـل في تاريـخ أوربـا بـين الديـن والمؤسسـة الدينيـة (الكنيسـة)، هـو مـا دفـع بالماركسـية إلى اتّخـاذ موقـف عـدائي وحـاد مـن الديـن؛ لأنـه سـبب ظهـور الوعـي الزائـف، فهـو ملجـأ للانسـان يحتمـي بـه مـن مظـالم المجتمـع يغرقـه في الوهـم ويبقيـه في العبوديـة ويحـول دون خروجـه مـن واقعـه المـؤلم، [٦٧] فيتخـلى الأفـراد عـن العـالم الدنيـوى ليعوضـوا بؤسـهم في العـالم الآخـر بعـد موتهـم فيفـرون مـن هـذا الواقـع ويشـعرون بالاغـتراب عنـه نتيجـة للبـؤس الـذي سـيطر عليهـم في حياتهـم. أي أن الديـن أغرقهـم في اغـتراب دينـي، إلى جانـب الإغـتراب الاجتماعـي والاقتصـادي الـذي يعانـون منـه بسـبب قهـر الطبقـات المسـيطرة وظلمهـا لهـم، بسـبب هـذا الإغـتراب بجميـع أشـكاله «إغـتراب، إسـتغلال، تبعيـة»، خلـق الإنسـان خارجـه قـوة لا يعرفهـا مثـل قوتـه الخاصـة ثـم اسـتعبدته.[٦٨] " "فالديـن يبـدو لماركـس شـقاء في الوقـت نفسـه الـذي يحـاول فيـه الديـن أن يقـدم نفسـه عبثًـا عـلى أنـه حـل حاسـم لـكل تعـارض، لذلـك فعـل المسـتوى الدينـي نفسـه إنمـا يقتـضي التناقـض القائـم عـلى إزالتـه [٦٩]، ومـن هنـا انتقـد ماركـس الديـن كي يقـوم الإنسـان بالتخـلي عـن الأوهـام التـي تـرك الواقـع مـن أجلهـا، وذهـب إلى أن الديـن سـوف يـزول إذا زالـت الأوضـاع الاجتماعيـة التـي أوجدتـه، أي الظلـم الاجتماعـي والاقتصـادي، فماركـس لا يكتفـي بنقـد الوهـم الدينـي كـما فعـل فويربـا، بـل يتعـدى ذلـك مـن خـلال نقـده لجـذور المشـكلة التـى تتمثـل في المجتمـع الـذي يـؤدي إلى الوهـم الدينـي، أي أن النقـد يجـب أن ينتقـل مـن السـماء إلى الأرض أي يجـب أن يصبـح نقـدًا اجتماعيًـا، وأن النقـد الاجتماعـي يفـضي إلى الحركـة الشـيوعية باعتبارهـا حركـة التحـرر الاجتماعـي الحقيقيـة.[٧٠]

وظـل ماركـس مهتـمًا بكيفيـة خـلاص الإنسـان ككائـن وعمـل عـلى تحريـره مـن إسـتعباده ومـن إغترابـه في نطـاق علاقـات الإنتـاج والرأسـمالية لذلـك اقـترح كحـل نقـد

(٦٧)كوستي بندلى، إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، ببيروت، (بدون رقم الطبعة)، (دون تاريخ نشر)، ص١١.

(٦٨) داانيال هرفيه ليجيه، سوسيولوجيا الدين، ترجمة، درويش الحلوحي, الطبعة الأولى, ٢٠٠٥, ص١٩.

(٦٩) جـان أيـف كالفـير، تفكـير كارل ماركـس، ترجمـة سـامى الـدروبى, جـمال الأتـاسى, دار اليقظـة العربيـة, المجلـد الأول: نقـد الديـن والفلسفة, ص١٤٧.

(٧٠)حسن حمادة، قصة الصراع بين الفلسفة والسلطة، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، الطبعة الأولى، ص ١٢٨.

الديـن وإلغـاء الملكيـة والثـورة الاجتماعيـة وإقامـة دولـة الطبقـة العاملـة حتـى تحتـل النزعـة الإنسـانية والفكـر العلمـي محـل الخرافـة والوهـم والميتافيزيقـا والمثاليـات[٧١]، فذهـب إلى أن الأديـان ظواهـر تنتمـي إلى البنيـة الفوقيـة، لا تتمتـع إلا باسـتقلالية نسـبية جـدًا بالنظـر إلى الأسـاس الفعـلي للمجتمـع، الـذي هـو قطـاع الإنتـاج المـادي والعلاقـات الاجتماعيـة التـي تتشـكل فيـه، فإقامـة مجتمـع دنيـوي عـلى أسـاس علمـي تقتـضى بالتـالي نفـي المـاوراء (الديـن) ولذلـك يقـوم ماركـس بحـذف الأسـاس الدنيـوي الـذي يرتكـز عليـه الإغـتراب الدينـي، ولـن يكـون ذلـك ممكنًـا إلا بنقـد الديـن، وفي هـذا السـياق يقـول ماركـس: "إننـا نريـد أن ننحـي جانبًـا كل مـا يتلبـس مظهـر مـا وراء الطبيعـي ومافـوق الإنسـاني لأن مثـل هـذا الإدعـاء هـو مصـدر كل زيـف وكـذب [٧٢].

إن نقـد الأوهـام الذاتيـة يسـبق حتـمًا نقـد الأوضـاع الواقعيـة ولذلـك فـإن نقـد الديـن حسـب ماركـس هـو شرط إنتقـال أي جماعـة مـن الخرافـة إلى العقـل ومـن الأسـطورة إلى التاريـخ وإتاحـة الفرصـة إلى الإنسـان بـأن يحتـل مكانًـا يليـق بـه في مثـل هـذا العـالم، وانتقـاد ماركـس للديـن لا يعنـي أنـه يطالـب بنبـذه واسـتئصاله، فالديـن عنـده بمثابـة «القلـب في عـالم لا قلـب لـه»، وهـو المـلاذ مـن قسـوة الواقـع اليومـي[٧٣]، وإنمـا هـو يقصـد الديـن بشـكله التقليـدي القائـم عـلى الخرافـة والوهـم والـذي يـؤدي إلى الإغـتراب عـن الواقـع المعـاش فقـد تنبـأ بأنـه سـيختفي في المجتمعـات الحديثـة.

هكـذا كان موقـف كلا مـن دوركايـم وفيـبر وماركـس مـن الديـن، ففـي حـين كان الهـدف مـن دراسـة الديـن عنـد دوركايـم هـو البحـث عـن دور الطقوس في الحيـاة الاجتماعيـة، وعن مختلـف التحـولات التي تلحق الديانـة، حيـث يـرى أنَّ وظيفـة الديـن هـي تحقيـق الوحـدة والتماسـك الاجتماعـي، بينـما يتجاوز فيـبر ذلك إلى فهـم تلـك المعـاني التـي يضفيهـا الفاعلـون عـلى أفعالهـم، حيـث ركز فيـبر على علاقـة الديـن بالتغير الاجتماعي إلا أن الديـن لكليهـما مهـم وضروري في الحيـاة، فهـو محفـز للقيـام بالفعـل العقـلاني عنـد فيـبر، وهـو مكـون أسـاسي يخلـق الوحـدة والتلاحـم الاجتماعـي عنـد دوركايـم. وبذلـك اسـتطاع كل مـن دوركايـم وماكـس فيـبر

---

(٧١) كارل ماركس، فريديريك إنجلز، الإيديولوجية الألمانية، ترجمة، فؤاد أيوب، مرجع سابق, ص ١٥٥.

(٧٢)كارل ماركس, نفس المرجع ص ١٥٧.

(٧٣) أنتونى جيدنز: علم الاجتماع, مرجع سابق, ص٥٨٠.

بناء نظرية متماسكة في علم الاجتماع عامة، وعلم الاجتماع الديني على وجه الخصوص، أما ماركس فقد لعب الوعي الديني عنده أدوارًا متناقضة، فهو من ناحية ملاذ المقهورين للصبر على الأوضاع الظالمة أملًا في حياة عادلة في العالم الآخر كما قد يكون وسيلتهم في التعبير عن الاحتجاج على الواقع، ومن جهة أخرى يساهم في «صياغة الوهم»، بتوظيفه من جانب القوى الإستغلالية لإدامة استغلالها، ولعلّ هذا الجانب الثاني هو المفهوم الذي شاع عن رؤية ماركس للدين، لا سيّما أنّ الوعي الديني كان هو السائد على أشكال الوعي الأخرى من فلسفة وعلوم وأخلاق، وشكّل الدين آنذاك الشكل الخارجي للصراعات الاجتماعية.

وحيث أن تزييف الوعي يرجع إلى التوظيف السلبي للدين لإستخدامه لتثبيت أوضاع قائمة، أو لنشر نمط معين من الفكر يخدم مصالح فئة معينة سياسية أو دينية، فارتداء النقاب إنما يُصدَر صورة للآخر أنها على وعي كامل وحقيقي بمضمون هذا الدين الذي رفعت شعار الانتماء إليه بالإلتزام بشعائره. ولكن حينما تكون منتقبة ولا تأخذ من الدين إلا مظهره فترتكب الجرائم سرقة وقتل وغيرها؛ فإنما خالفت بذلك الدين الذي أعلنت بظاهرها أنها على وعي بأصوله وعقائده. فهي بفعلها هذا قد اكتفت من الدين بالسلوك دون الوعي وبالممارسة دون العلم. أي أن ارتدائها للنقاب إنما جاء عن وعي زائف تشكل من أُناس من بنى جلدتهم وهم إذ يزيفون وعيهم إنما جاء ذلك بشكل متعمد لإستخدام هؤلاء المغيب وعيهم لتحقيق أغراضهم دينية كانت أو سياسية بالإدعاء بإنشاء دولة الإيمان التى تقوم على تطبيق شرع الله كما تدعي بعض الجماعات الدينية التي تتمثل مهمتها في تغييب وعي هؤلاء وإرساء مبدأ الطاعة العمياء لديهم لإستخدامهم لتحقيق هذا الشأن الذي يرمون إليه والذي يبدو ظاهريًّا أنه أمر دين ولكنه يُخفي وراءه أهداف قد تكون سياسية أو اقتصادية، وقد يأتي تزييف الوعي بشكل غير متعمد كأن لا تهتم المنتقبة بأن تعرف من دينها سوى الشعائر والمظاهر التي لا يصاحبها علم ووعي بأمور الدين الذي أعلنت بمظهرها إنتمائها إليه، فيأهلا بارتداء النقاب أنْ كانت من ترتديه تتبع أمور دينها الذي ترمز إليه بارتدائها النقاب، وألا تكتفي فقط بمثل هذه الشعيرة لتشير إلى إلتزامها ثم

تتخـذ مـن نفسـها حكـمًا لإصـدار الأحـكام عـلى الآخريـن فتفسـق هـذه وتكفـر تلـك وتفتـي في أمـور الديـن الـذي قـد لا تعـرف عنـه إلا النقـاب الـذي ترتديـه، وتأخـذ موقفًـا مـن الآخـر بنـاء عـلى هـذه الأحـكام التـى تصدرهـا دون علـم، تمامًـا مثـل تلـك التـي تدعـي أنهـا محجبـة لمجـرد أنهـا تضـع قطعـة قـماش عـلى رأسـها قـد تتجـاوز منتصـف الـرأس وتلبـس مـن الثيـاب أضيقهـا وأكثرهـا وصفًـا وتفصيـلًا لجسـدها وكأنهـا بقطعـة القـماش التـي وضعتهـا عـلى رأسـها هـذه قـد نـأت بنفسـها مـن زمـرة المتبرجـات التـي لا ترتديـن الحجـاب ثـم تصـدر حكـمًا عليهـن أنهـن أقـل منهـا إيمانًـا، فبيـت القصيـد إذن هـو:

أن يتوافق المظهر والجوهر، والشكل والمضمون، والظاهر والباطن.

ثانيًا:الإسهامات النظرية المحدثة:

في حـين ذهـب علـماء القـرن التاسـع عـشر إلى القـول بتراجـع دور الديـن في التأثـير في الحيـاة الاجتماعيـة لصالـح العلـم الـذي عـلا نجمـه عـلى حسـاب الديـن حتـى أن بعضهـم ذهـب إلى زوال الديـن بـزوال الأسـباب الاجتماعيـة التـى أدت إلى وجـوده (ماركـس)، كـما توقـع أنصـار نظريـة الحداثـة تراجـع تدريجـي للسـلطة الدينيـة في ضـوء العقلانيـة المتزايـدة، إلا أنـه يبـدو ومنـذ منتصـف القـرن العشريـن تحديـدًا وقـد حـدث العكـس، فبـدلًا مـن التهميـش التدريجـي للديـن حـدث العكـس في كثـير مـن بلـدان العـالم فعـودة تأكيـد الوجـود الدينـي في الحيـاة العامـة أدى إلى تصريحـات جديـدة بـين علـماء الديـن، وعلـماء الاجتـماع، وعلـماء اجتـماع الديـن والفلاسـفة المهتمـين، حيـث رأوا أن الشـواهد الإجتماعيـة أثبتـت عـدم صـدق هـذه التنبـؤات، بـل إنهـم رأوا أن هـذا العـصر إنمـا هـو عـصر عـودة الظاهـرة الدينيـة في مقابـل تراجـع العلمانيـة وانحصارهـا وعـلى رأس هـؤلاء كان بيـتر بيرجـر الـذي ذهـب إلى أن كل المجتمـع البـشري إنمـا هـو مـشروع لبنـاء العـالم، ويشـغل الديـن مكانًـا مميـزًا في هـذا المـشروع، وأن الحيـاة الإجتماعيـة برمتهـا تقـوم عـلى المعـاني العليـا الظاهـرة التـي تشـترك فيهـا الجماعـة الإجتماعيـة، والتـي تتطـور مـن المعـاني المسـتمدة مـن الطبيعـة هـذه القيـم والمعـاني العليـا تمثـل البـؤرة الحقيقيـة للتنظيـم الإجتـماع، وتتجسـد هـذه القيـم في المؤسسـات الإجتماعيـة عـلى إختلافهـا كـما يتـم تنشـئة

أعضاء المجتمع الجدد وفقًا لها هذه المعاني تُمثل واقع الحياة اليومية، والدين يأتي على قمة هذه القيم والمعاني التي تقوم عليها الحياة الإجتماعية.

١- بيتر بيرجر:

حيث ينظر بيرجر إلى الدين بوصفه مشاعر ورموز ومعتقدات يشيدها الناس أفرادًا وجماعات في عقولهم، فهو عالم من المعاني والرموز الجمعية التى تحول الخبرات والموضوعات ذات الطابع المقدس إلى عالم ممارسات الحياة اليومية، وهكذا تتعامل مع عالم المقدس لا على أنه متعالٍ عن الحياة ومنفصل عنها، بل مماثل لعالم الواقع، فالدين يتفاعل مع مختلف مظاهر الحياة الإنسانية وأحد مظاهر هذا التفاعل هو تفاعله مع الواقع السياسى.[٧٤] والخبرة الدينية عند بيرجر هي مجموعة خبرات ضمن شبكة واسعة من الخبرات البشرية حيث تُطلق على مجموعة المواقف والمعتقدات والأفعال البشرية التى تتمثل في نمطين من الخبرة هي ما وراء الطبيعي، supernaturalوالخبرة المقدسة sacred وتحدث خبرة ما وراء الطبيعة في واقع آخر غير الواقع المعتاد للفرد وتُمثل إقليمًا محددًا من المعنى، والتي يتم منها العودة إلى الواقع المعتاد وهو واقع الحياة اليومية. وتفتح خبرة ما وراء الطبيعة -كأحد الخبرات الدينية- الآفاق لعالم متماسك وشامل. هذا العالم كان موجودًا إلا أنه لم يُدرك إلا من خلال هذه الخبرة، وهو يفرض نفسه على الوعي كواقع لا يُمكن إنكاره، ولا مقاومة وجوده، إنه عالم مستقل عن إرادة الفرد، وأهم ما يميزه هو قدرته على التنظيم الداخلي لأنظمته، وهو ما يجعله عالمًا كاملًا قائمًا بذاته في مقابل عالم الخبرة الدنيوية، إنه عالم مأهول، ومقابلة قاطنيه سيكون أحد الجوانب المهمة لهذه الخبرة.[٧٥]

ويذهب بيرجر إلى أنه في ضوء هذا التوضيح لخبرة ما وراء الطبيعة فإن مهمة الدين هي في كونه مصدرًا أساسيًا لوصف هذه الخبرة لما في ذلك من أهمية للتأكيد

(74) P.Berger. the sacred conopy element of a socialogical theory of religion, new yourk Anchor Books, 1990.p.33.

(75) Peter.L. Berger: the Heretical Imperative Contemporary Possibility of Religious Affirmation, (op.cit). P. 38,39.

عـلى أن هـذه الخـبرة ليسـت متوازيـة مـع ظاهـرة التديـن أو مـا يسـمى بشـكل أكـثر شـيوعًا "تصـوف" ذلـك أن الديـن إمـا أن يُعـرف بأنـه الإتجـاه الإنسـاني الـذي يفهـم الكـون (شـاملًا مـا وراء الطبيعـة) كأمـر مقـدس، أو في المقابـل هـو توجـه إنسـاني في مواجهـة المقـدس، وهـذا التعريـف لا يرتبـط بالـضرورة بمـا وراء الطبيعـة فالإنسـان قـد تواجهـه مواقـف مـن المحتمـل وصفهـا كديـن (كماهـو الحـال في الطقـوس، والإسـتجابات العاطفيـة، والمعتقـدات المعرفيـة) وذلـك في مقابـل كيانـات دنيويـة يُدرهـا الإنسـان عـلى أنهـا مقدسـة مثـل كيانـات إجتماعيـة متنوعـة مـن العشـيرة إلى الدولـة القوميـة، والعكـس صحيـح قـد يتعامـل البـشر مـع عـالم مـا وراء الطبيعـة بطريقـة غـير دينيـة بـل فيهـا تدنيـس لهـذه الخـبرة بـدلًا مـن تقديسـها كـما هـو الحـال في السـحر، إذن فخـبرات مـا وراء الطبيعـة والخـبرات المقدسـة هـي ظواهـر مشـابهة، وتاريخيًّـا يمكـن افـتراض أن الخـبرة الأخـيرة (المقـدس) متجـذرة في الأولى، فهـما خبرتـان متداخلتـان وهـما مجـالات للخـبرة البشريـة.[٧٦]

والمقـدس لـدى بيرجـر يتسـم بسـمتين متناقضتـين فهـو مـن ناحيـة يقهـر الفـرد ويسـتبده لمـا لـه مـن قـدرة خارقـة تفـوق قدرتـه القـاصرة، ولكنـه مـن ناحيـة أخـرى لـه أهميـة تعويضيـة، فهـو يعينـه عـلى التكيـف والإندمـاج مـع النظـام السـائد، وعندمـا يعجـز المقـدس عـن تحقيـق وحـدة الـذات والكـون أو الفـرد ومجتمعـه، فـإن التصـوف سـيصبح الحـل الراديـكالي لهـذا التنافض[٧٧].

يخلـص بيرجـر إلا أن كل مـن المـاوراء والمقـدس إنمـا هـي خـبرات مميـزة قابلـة للوصـف والتحديـد في إطـار اللغـة البشريـة عـلى أنهـا خـبرات موجـودة في واقـع الحيـاة اليوميـة ولكنهـا مختلفـة في طبيعتهـا عـن كل مـا يواجهـه الفـرد مـن خـبرات في الواقـع اليومـي المعتـاد، وإذا تخلـص الفـرد مـن سـيطرة واسـتبداد خـبرات مـا وراء الطبيعـة فإنـه سـيكون قـادرًا وببسـاطة عـلى الوقـوف في وجـه الكيانـات الدنيويـة التـي تتسـم بقداسـة دنيويـة مثـل (الدولـة القوميـة، الحـركات الثوريـة، أو حتـى العلـم).

(76) Ibid p. 40

(77) Ibid. p, 42.

ويذهـب بيرجـر إلى أن التقاليـد الاجتماعيـة والخـبرات الدنيويـة هـي مصـدر كل الأديـان؛ فأصحـاب كل ديـن يجسـدون هـذا الديـن في التقاليـد والمؤسسـات، وبـدون هـذا التجسـيد لـن تكـون الحيـاة ممكنـة، وأثنـاء تجسـيدهم لهـذه الخـبرة الدينيـة فهـم ينقلونهـا مـن عـالم مـا فـوق الطبيعـة إلى العـالم اليومـي المعتـاد، وهـذا النقـل للخـبرة مـن عـالم لآخـر قـد يـؤدي إلى تشـويهها أو تحريفهـا، فقـد يضيـف إليهـا أشـياء ويـترك أخـرى، وهـذا مـا يجعـل الخـبرة الدينيـة تختلـف مـن مجتمـع لآخـر بـل مـن شـخص لآخـر.[٧٨] وعندمـا يتجسـد الديـن في التقاليـد وفي المؤسسـات الإجتماعيـة والدينيـة؛ فـإن هـذه المؤسسـات تكتسـب سـمته المقدسـة وبالتـالي تنتقـل سـلطة الديـن إلى تلـك المؤسسـات التـي تجسـدها، ولذلـك نجـد في كافـة المجتمعـات مؤسسـات مقدسـة، وشـعائر مقدسـة، وكتـب مقدسـة، وموظفـين مقدسـين، ورجـال ديـن مقدسـين.[٧٩]، وهـذا يفـسر لنـا وجـود رجـال ديـن لا يمكـن مراجعتهـم فيـما ينقلـون عـن اللـه وعـن رسـله، ويُعـد البعـض أن مراجعتهـم أو حتـى مناقشـتهم فيـما ينقلـون إنمـا هـو خـروج عـن المألـوف فقداسـة الديـن إنتقلـت إلى قداسـة مـن يبلغـون بـه، وينتـشر ذلـك بشـكل كبـير في عالمنـا العـربي، ويسـتغل بعـض رجـال الديـن ذلـك في تغييـب وعـي متبعيهـم وإقناعهـم بمـا يريدونـه مـن أمـور أو مـا يخـدم مصالـح فئـة مـا، ونجـد الأتبـاع ينفـذون مـا يأمرهـم بـه هـؤلاء دون نقـاش وكأنهـم أوصيـاء عليهـم لهـم عصمـة لا تسـمح لأحـد حتـى بمناقشـتهم أو بمحاولـة فهـم مـا يبلغـون بـه النـاس وكأنـه مـا أنـزل إلا عليهـم، حتـى أن مـن لديـه قـدرًا مـن الوعـي وأراد مناقشـة هـؤلاء نجـد الأتبـاع أنفسـهم هـم مـن يفسـقونه، وكل ديـن لـه نمـط للتديـن، فالديـن هـو إيمـان روحـي للفـرد والجماعـة، هـذا الإيمـان لـه مظهـر اجتماعـي وثقـافي يتمثـل في الشـعائر الدينيـة الخاصـة بـكل ديـن، فمهـما كانـت مصـادر الإيمـان لـدي الفـرد فلابـد أن يتجسـد هـذا الإيمـان في طقـوس رمزيـة، وتنظيـمات إجتماعيـة، وتتجسـد ماهيـة أي ديـن مـن خـلال التصـورات والرمـوز المجازيـة التـي يسـتعملها أتباعـه في ممارسـة شـعائره. وهنـا يقـول بيرجـر» قـد يكـون الديـن حجـرًا مقذوفًـا مـن السـماء، ولكـن لابـد أن يكـون حجـرًا محسوسًـا»[٨٠]

(78) Ibid, p.43.

(79) Ibid, p. 44

(80)Peter.l. Berger, the sacred conopy element of a sociological theory of Religion, New York, Anchor Books, 1990, p. 33.

فالشيء الذي لا يمكن إنكاره أن الظاهرة الدينية ظاهرة اجتماعية وثيقة الصلة مع الواقع، وللدين إنتاجات إجتماعية كالشعائر والطقوس الدينية التي لها تأثير كبير على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ولا يبقي الدين في حالة توافق وانسجام مع الواقع اليومي، وإنما قد يحدث تعارض بين مقتضيات الدين وبين متطلبات الواقع اليومي، وهنا يأت دور المؤسسات الدينية فهي ليست فقط تجسيدًا للدين وتقريبه إلى أذهان التابعين له، وإنما هي أيضًا تقوم بترويض الخبرة الدينية وتكييفها مع الواقع اليومي حينما ترى فيها تهديدًا للنظام الاجتماعي السائد، ليس هذا على مستوى القضايا السياسية فحسب، وإنما على مستوى الواقع الاجتماعي برمته، هذا الدور الذي تقوم به المؤسسات الدينية إنما هو بمثابة ميكانيزم دفاع للواقع الاجتماعي ضد واقع ما وراء الطبيعة، وهذه المهمة هي واحدة من المهام الأساسية التي تقوم بها المؤسسة الدينية.(81) وهذا ما يفسر لنا في كثير من المجتمعات سر تقرب السلطات لرجال الدين المسؤلين عن المؤسسات الدينية لأن التقرب إليهم إنما هو دعم وتأكيد وحماية لسلطتهم، لما لهم من قدرة على إستخدام الدين وتكييفه بما يتلائم ويتناسب مع هواهم، وبما يؤدي إلى توطيد وترسيخ سلطتهم وتغليفها بغلاف ديني يرضي عنه - بقناعة ولكن بدون وعي- العامة.

إننا بحاجة إلى التفرقة بين «الدين» أو الخبرة الدينية وبين «التفكير الديني» أو التأويل وتفسير هذا الدين، فالتمييز بينهم أمر ضروري وحاسم وإلا وقعنا في أحد خطأين: إمّا دراسة الدين باعتباره قوالب جامدة وتاريخ نظريات أو مُثل فقط، وإمّا إهمال أعمال العقل في النص الديني وإغفاله والتغاضي عنه.(82) فالدين إمّا أن يكون نصوصًا صريحة وإردة في الكتب السماوية وهذه ليس عليها خلاف، وإنما هناك أمور لم يرد بها نص وهذه لا مانع من إعمال العقل فيها للمتخصصين وآرائهم فيها اجتهاد مشكور قد يصيب وقد يخطأ فُهم في النهاية بشر، وهو ما نسميه بالخطاب الديني وهو في حاجة دائمًا إلى تجديد بما يتلائم وظروف العصر، وبما لا يتعارض

(81) P.Berger the Heretical Imperative Contemporary Possibility of Religious Affirmation, (op.cit). p. 45,46.
(82)Ibid,. 48.

مـع ثوابـت الديـن، فتجديـد الفكـر الدينـي أو الخطـاب الدينـي هـو أمـر مهـم في أي ديـن حتـى لا نقـع في خطـأ الانقسـامات مثـل ثنائيـة العلـماني والدينـي؛ حيـث يتمثـل الفكـر العلـماني في كل مـا هـو دنيـوي، بينـما يتمثـل الدينـي في كل مـا هـو متعـالي ومتجـاوز للواقـع المعـاش، وقـد يكـون سـبب مخـاوف الدينـي مـن الدراسـة العلميـة للديـن هـي أن يفقـد الديـن تدريجيًّـا قدسـيته وتسـاميه وتسـطيح دوره في الواقـع اليومـي. إلا أن قدسـية الديـن وتسـاميه إنمـا هـي شرط لازم لـكل الأديـان ولا ينكرهـا أحـد، وإنمـا حتـى تكـون قداسـة الديـن مقبولـة اجتماعيًـا لابـد مـن اسـتدماجها وتجسـيدها في نشـاطات مقبولـة اجتماعيًـا وحينهـا سـتصبح سـلوكًا أخلاقيًـا.[٨٣] وحتـى لا يعيـش مـن كل العلـماني والدينـي في جـزر منعزلـة عـن الآخـر فتجديـد الخطـاب الدينـي هـو مـا يسـمح بالتلاقـي بـين العلـماني والدينـي عـلى مائـدة واحـدة وهـي مائـدة الحـوار المسـتنير.

لم يكــن بيرجــر وغــيره مــن علــماء القــرن العشريــن أمثــال هــارفي كوكــس Harvey Cox، مــن أنصــار «نظريـة العلمنـة» التـي تذهـب إلى أن الديـن سـوف يبـدأ في الإنحسـار كلـما تقدمـت التكنولوجيـا وسـادت الحداثـة، وأننـا سـوف نعيـش في «مدينـة العلمانيـة»، حيـث تحـدث كوكـس عـن مدينـة العلمانيـة معلنًـا أن مســتقبل الديــن يكمــن في الحــركات الشــعبية مثــل الأصوليــة، وخمســينية لاهــوت التحريــر، والآن يذهــب بيرجــر إلى أنــه بعيــدًا عــن كــون الديــن آخــذًا في الإنحســار في العــالم الحديــث، فــإن الديــن يشــهد في الواقــع عــودة، ويؤكــد أن افــتراض أننــا نعيــش في عــالم علــماني هــو إفــتراض زائــف، فالعــالم اليــوم يشــهد ســيطرة دينيــة كــما كان في وقــت مــضى، ولم تتكيــف الحــركات الدينيــة مــع الثقافــة العلمانيــة مــن أجــل البقــاء والوجــود، ولكــن لأنهــا نجحــت في تطويــر الهويــات الخاصــة بهــا، والإحتفــاظ بالتركيــز عــلى الثوابــت والمقدســات في معتقداتهــم وممارســتها، ويشــير إلى أنــه يمكــن التنبــؤ للمســتقبل بإحيــاء دينــي عالمــي، ومــا لا يمكــن إغفالــه والتغــاضى عنــه أن للديــن أثــره عــلى التنميــة الإقتصاديــة، والحــرب والســلام، وحقــوق الانســان، والعدالــة الاجتماعيــة، والأنظمــة السياســية.[٨٤] فالديــن يعنــي تنــاول أعمــق

(83)Nathan Grossman, on Peter Berger's Definition of Religion, journal for the scientific study of religion, vol. 14, 1975, p. 289, www.jstor.org stable.

(84)Peter. L. Berger, David Martin: the Desecularization of the world: Resurgent Religion and world Politics, Wm.B. Eerdmans publishing company, 1960. www. Publishers weekly.com.

للتكويـن الـذاتي للإنسـان، بشـكل يُمكّـن الإنسـان مـن التفاعـل مـع الواقـع الخارجـي في ضـوء معانيـه الخاصـة، فالديـن يعنـي النظـام الإنسـاني قائـم داخـل مجمـل الوجـود، فهـو محاولـة جرئيـة لتصـور الكـون كلـه باعتبـاره كونًـا بشريًـا ومـن هنـا لم يكـن الديـن شـيئًا مفارقًـا للواقـع ومنعـزلًا عنـه، وإنمـا يلعـب دورًا أساسـيًّا في تشـكيل كافـة النظـم الاجتماعيـة التـي يتفاعـل معهـا الإنسـان، والمؤثـرة عـلى سـلوكه سـواء كانـت أنظمـة ثقافيـة، إجتماعيـة، إقتصاديـة، أو سياسـية، فـإن الديـن يلعـب دورًا لا يمكـن تجاهلـه في تشـكيلها والتأثـير عليهـا والتأثـر بهـا.[٨٥]

ويذهـب بيرجـر إلى أن الذيـن بالغـوا بالقـول بسـيطرة العلمانيـة في مقابـل إنحسـار الديـن وكان هـو مـن بينهـم، إنمـا هنـاك دلالات تؤكـد عـدم صـدق تنبؤاتهـم، وتؤكـد العـودة القويـة للديـن في مختلـف بقـاع العـالم، غـير أن ذلـك لا يعنـى أننـا عـلى حافـة إصـلاح دينـى جديـد - برغـم أننـي أشـك «والقـول هنـا لبيرجـر» أن النـاس في بدايـة القـرن السـادس عـشر كانـوا يعرفـون أنهـم عـلى حافـة إصـلاح دينـي»- وإنمـا سـوف توجـد حـدود للعلمانيـة ولـن توجـد علمانيـة مطلقـة كـما تنبـؤا بذلـك. والسـبب في أن العلمانيـة لم تكـن مطلقـة، إنهـا لم تتمكـن بعـد مـن أن تقـدم إجابـات شـافية للتسـاؤلات الوجوديـة التـي تشـغل بـال الإنسـان وتسـتفز عقلـه باسـتمرار مثـل «مـن أيـن جئنـا، ولمـاذا، وإلى أيـن نحـن ماضـون»؟، وهـي أسـئلة لا يمكـن التغـاضي عـن الإجابـة عنهـا، ولم يجـد الإنسـان إجابـة لهـا سـوى في الأديـان وليـس في الفكـر العلـماني الحديـث، وبالتـالي فـإن معكـوس الحداثـة (انتشـار الديـن) محتمـل أن يحـدث بسـبب الملـل المنتـشر في العـالم بـدون آلهه.[٨٦]

وفي غضـون تنـاول بيرجـر للظاهـرة الدينية فقد أشـار إلى العلاقة المتغيرة بين الدين والسياسـة في العالم المعـاصر وذلـك في مقالـة لـه بعنـوان «النكـوص عـن العلمانيـة» Desecularization حيث لاحظ نمـو العديد مـن الحـركات الدينيـة التـي تهدف إلى الحفاظ عـلى الدين من خلال نزعات أصولية، إلا أنه يسـتبعد أوروبا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن هـذه الملاحظة، حيـث صعدت هذه الحـركات الدينية تحديـدًا في الدول

(85) Peter.l. Berger, the sacred conopy element of a sociological theory of Religion.(op.cit), p.27,28.

(86) P.L.Berger, Facing up to Modernity, Published by Basic Books Inc. New yourk 1977. P. 200, 201.

الإسلامية حركات محافظة تقليدية أصولية لها تأثير كبير على النظم الاجتماعية والسياسية، أمّا في الغرب فقد احتفظ الدين ببقائه وأعاد وجوده ولكن ليس بنفس درجة المجتمعات الإسلامية، ويستطرد بيرجر أن فكرة تراجع العلمانية والدخول إلى عصر جديد قد يكون عصر العودة الدينية إنما نشأت بالأساس عند هابرماس في محاولته لوصف الوضع الذي نعاني منه في المجتمع الغربي حيث الأديان - ليست فقط المسيحية- تلعب دورًا مهمًا في المجتمع والسياسة حيث يرتبط الدين والسياسة ارتباطًا وثيقًا، فمنذ القدم وحتى الآن والدين يتدخل في السياسة وكثيرًا ما يتحدد بسلطة الدولة كما هو الحال في الدول الثيوقراطية، مثل السعودية وإيران وأفغانستان في عهد حركة طالبان (التي تشكل المعسكر المضاد للدول العلمانية الحديثة). ويصف العلماء هذه العلاقة بين السياسة والدين بالأصولية الدينية أو النكوص عن العلمانية أو ما بعد العلمانية، Post-Secularism.[87]

٢- هيو أوربان **Hugh urban**

وفيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الدين والسياسة فإن Hugh Urban، أستاذ الدراسات المقارنة، يذكر عدة علاقات استرتيجية أساسية بين السلطة الدينية والسياسية والتي تثبت أن التشابك والتداخل بين مسائل الدين والسياسة لها تاريخ طويل، فالعلاقة بين الدين والسياسة تأخذ الأشكال التالية:- * فالديني مثل السياسي، والسياسي كالديني:دين مدني. * السلطة السياسية فوق السلطة الدينية. * السلطة الدينية والسياسية قوي منفصلة ومتنافسة. * الإنسحاب الديني من المجال السياسي. * الدين في خدمة السلطة السياسية: القومية الدينية في الدولة الحديثة. *الدين في صراع مع السلطة السياسية: مقاومة، تمرد، ثورة، إرهاب[88] وفي ضوء هذه الأشكال من العلاقات التي تنشأ بين السياسة والدين فقد حلل Hugh Urban،، العلاقة بين الدين والسياسة في بعض البلدان العربية والأوربية من ناحية

(87) Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories, theologian M.A candidate on Religion studies, P.2,3.

(88)Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories(op-cit),p.3.

في العـالم العـربى، في العديـد مـن البلـدان في جنـوب أسـيا وشـمال أفريقيـا، يقـوم الحكـم عـلى الشريعـة الإسـلامية، وهنـاك سـمتين للإسـلام لهـما أهميـة في فهـم العلاقـة بـين الديـن والسياسـة في الإسـلام؛ السـمة الأولى: أن الإسـلام يجمـع في نصوصـه وأحكامـه بـين الديـن والسياسـة (ديـن ودولـة)، عـلى عكـس المسـيحية؛ فالإسـلام منـذ الرسـول (محمـد) قـد حقـق سـلطة سياسـية، والمجتمـع الإسـلامى ليـس دائمًـا ضـد القـوى أو السـلطات العلمانيـة، فليـس هنـاك تمييـز بـين الديـن والسياسـة، كـما أن الديـن والتنظيـم الاجتماعـى يرتبطـان في الإسـلام، وبالتـالى فالفصـل بـين الديـن والدولـة لا يُصـدق في الإسـلام، وهـذا يتوافـق مـع طبيعـة رسـالة النبـي (محمـد)، حيـث كانـت رسـالته موجهـة للأمـة وللبنـاء السـياسى، ومفهـوم الأمـة مـن المفاهيـم الرئيسـة في الفكـر السـياسي العـربي، والتـي تعنـي الديـن بأنـه مجتمـع منظـم سياسـيًّا لجميـع المسـلمين (الأمـة)، أمّـا السـمة الثانيـة: فهـي مركزيـة الشريعـة الاسـلامية، فالوحـي الـذي نـزل عـلى نبـي المسـلمين تـم تدوينـه في القـرآن والسـنة، كـما أن القصـص المقدسـة عـن حيـاة النبـي تجمـع بـين كل مـن الإيمـان والعقيـدة الأخلاقيـة والقانـون، وفي هـذا الإطـار يشـير نـوح فيلدمـان Noah Feldman، أسـتاذ القانـون الـدولي، إلى أن المسـلمين مـن المغـرب إلى أندونيسـيا يقولـون بـأن الشريعـة، والقانـون الإسـلامي، يجـب أن تكـون مصـدرًا للقانـون، أو مصـدر التشريـع، بـل هـو شـائع جـدًا في البلـدان العربيـة أن نسـمع أن « الإسـلام يعنـي الشريعـة »، أو « الإسـلام دسـتورنا »، وكنتيجـة لذلـك حـاول بعـض الزعـماء الدينيـين في بعـض البـلاد الإسـلامية بنـاء مثـل هـذه الـدول، كـما هـو الحـال في السـعودية، وإيـران، وأفغانسـتان.[٨٩]

٣-جان بول ويليام **Jean-paul Willaime**

نجـد عـلى الجانـب الآخر، دول الإتحاد الأوربي السـبعة والعشرين، هـي علمانية بشـكل رسـمي سـواء في تطويـر سياسـاتها أو في إدارتهـا، ليسـت هنـاك علاقـة قائمـة بـين الديـن والمذاهـب الفلسـفية، وبالتالي لا توجـد سـلطة متضمنـة في عمليـات صنـع القـرار بالإتحـاد الأوربي، حيـث يشـير جان بـول ويليـام Jean-paul Willaime إلى أنـه يوجـد تمييـز واضـح بـين الكنائـس والسـلطات العامة الأوربيـة بما يتفق مع المبـادئ الثلاثة

(89)Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories(op-cit),p.4.

الكبيرة للعلمانية وهي:-

- حرية الفكر والدين أي حرية ممارسة أو عدم ممارسة الشعائر الدينية، فضلًا عن تغيير الدين.
- الحقوق والواجبات المتساوية لجميع المواطنين بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ولفلسفية.
- الاستقلال المتبادل بين الدولة والدين وعدم تدخل أحدهما في شأن الآخر.

وعلى الرغم من أن الدول الأوربية دولًا علمانية إلا أن الدين يعيد تأكيد دوره في الحياة العامة، حيث يظهر الدين ويسيطر في الحياة اليومية بطرق مختلفة تجدها في مصطلحات (الدين الرسمي للدولة، الدين المدني، القومية الدينية، الدين العام، الشرعية الدينية للسلطة السياسية)، وبالنظر إلى خريطة أوربا، يمكن لأي فرد أن يرى أن العلمانية تنتشر في جميع أنحاء الفضاء الأوربي، ولكن ينقسم علماء الاجتماع إلى فئتين مختلفتين فيما يتعلق بالعلمانية:

فريق منهم يذهب إلى أنها فقدان الثقة والأصالة، وفريق آخر يرى أنها مكسب للحريات الشخصية والإستقلال.[٩٠] ألا أنهم لا ينكرون إلى أنه حتى أعتى الدول العلمانية مثل دول الإتحاد الأوربي فإن للدين دوره فيها؛ حتى أن بعض دول الإتحاد الأوربي تطرح بعض القضايا المتعلقة بالتنوع الثقافي والتعددية الدينية، ويرتبط تأسيس بعض الدول القومية الحديثة ارتباطًا وثيقًا ببعض الأديان التى تتمتع الآن بأوضاع مميزة قانونيًا، وسياسيًّا، وإجتماعيًّا. على أن الاتحاد الأوربي بشكل عام لا يزال علمانيًّا، رغم أن بعض دول هذا الإتحاد مثل (مالطا، اليونان، الدنمارك، بريطانيا)، إضافة إلى دول أيسلندا، والنرويج هي دول كنسية تحكمها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والأرثوزوكسية، واللوثرية، والإنجيلية. ويُرجع عالم الإجتماع البارز جون بول ويليام ذلك أن الدول الأوربية تتأثر إلى حد كبير بأفواج الهجرة الضخمة التي تفد إليها من كل بقاع العالم لأناس يدينون بديانات مختلفة، فمنهم

(90)Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories,(op-cit),p.5,6.

الهنـدوس، والمسـلمين، والسـيخ، واليهـود، والبوذيين...وغيرهـم. بحيـث أن الـدول الأوربيـة لا تتأثـر فقـط بسـلوكيات المهاجريـن، وإنمـا بديانتهـم أيضًـا، والأمـر لا يعـد مشـكلة بالنسـبة للـدول التـي تعـترف بديـن رسـمي للدولـة، وإنمـا الأمـر جـد خطـير للـدول العلمانيـة الكلاسـيكية التـي لا تعـترف دسـتوريًّا بـأي ديـن عـلى الإطـلاق مثـل فرنسـا.[٩١]

وقـد ذكـر ويليـام نموذجـين مختلفـين مـن العلمانيـة: نمـوذج لا تعـترف فيـه الدولـة بـأي ديـن وتمثلـه فرنسـا، ونمـوذج تعـترف فيـه الدولـة بالديـن وتدعمـه وتُمثلـه بلجيـكا. فالولايـات البلجيكيـة تعـترف ببعـض الأديـان وتدعمهـا، فهـي تمـارس «الحيـاد النشـط» الـذي يعنـي في جانـب منـه أن الدولـة تمتنـع عـن تأييـد أو رفـض أي رأي دينـي، ويعنـي عـلى الجانـب الآخـر أنهـا لا تضيـق العلاقـات مـع المؤسسـات الدينيـة، فقـد تدعـم ماليًـا الكنائـس والمؤسسـات الدينيـة والفلسـفية، وقـد بـدأ النقـاش مؤخـرًا عـن نهايـة العلمانيـة وبدايـة حقبـة جديـدة مـن الصحـوة الدينيـة، وذلـك في منشـورات حديثـة مثـل كتـاب تشـارلز تايلـور «عـصر العلمانيـة» ٢٠٠٧، وإعلانـات هابرمـاس أننـا «نعيـش في عـصر مـا بعـد العلمانيـة»، حيـث زعمـوا أن أوربـا أصبحـت أكـثر علمانيـة عـلى مـر السـنين، كـما تـم الإدعـاء بـأن العلمانيـة قـد بـدأت في مرحلـة النهايـة وبـدأ عـصر جديـد هـو عـصر مـا بعـد العلمانيـة، وتأثـير دور الديـن في حيـاة النـاس وإعـادة تموضـع الديـن في المجتمـع الحديـث قـد لعـب دورًا مهـمًا مـن وجهـة نظـر هابرمـاس، ومـا بعـد العلمانيـة هـو مفهـوم نظـري تـدور فكرتـه الأساسـية حـول أن العلمانيـة ربمـا وصلـت إلى مرحلـة النهايـة، ويقـول هابرمـاس أن مصطلـح «مجتمـع مـا بعـد العلمانيـة» لا يشـير فقـط إلى حقيقـة أن الديـن مسـتمرًا في تأكيـد ذاتـه في بيئـة علمانيـة وعـلى نحـو متزايـد في الوقـت الحـاضر، لكـن أيضًـا يشـير إلى إسـتمرار وجـود الجماعـات الدينيـة.[٩٢]، وفي فكـر هايبرمـان أن مـا بعـد العلمانيـة ليـس لهـا أي علاقـة مـع الأصوليـة، حيـث أن بعـض العلـماء حاولـوا الجمـع بـين المصطلحـين لكـن دون جـدوى. فـما بعـد العلمانيـة يشـير إلى تغـير في الوعـي يُعـزى إلى ثـلاث ظواهـر:

(91) Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories(op-cit),p.7.

(92) Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories(op.cit),p.8.

١. تصور أن الصراع الديني يؤثر على الصراعات العالمية.

٢. الإعتقـاد بـأن المنظـمات الدينيـة تقـوم بـدور «مجتمعـات التأويـل» في المجتمعـات العلمانية.

٣. أفـواج الهجـرة مـن العـمال، والفلاحـين، واللاجئـين، وخاصـة تلـك القادمـة مـن البلـدان ذات الخلفيـات الثقافيـة التقليديـة.

لذلـك يذهـب هايبرمـان إلى القـول بـأن الـدول الإسـلامية وحتـى دول شرق أوربـا لا يمكـن أن تناهـض عـصر مـا بعـد العلمانيـة، برغـم وجـود أصـوات فكريـة ليبراليـة تنـادي بفصـل الإسـلام عـن الدولـة، عـلاوة عـلى ذلـك يسـتبعد هايبرمـان أيضًـا بلـدان أوربـا الشرقيـة مـن ملاحظتـه، ويذكـر أنـه في مجتمـع مـا بعـد العلمانيـة هنـاك بعـض الظـروف التـي تدعـو إلى مشـاركة المجتمعـات الدينيـة في العمليـة الديمقراطيـة، حيـث أن السـمة الأساسـية لعـصر مـا بعـد العلمانيـة هـي التعدديـة الثقافيـة التـي تسـمح بالتعايـش بـين مختلـف الأديـان والتقاليـد والأفـكار الفلسـفية في نفـس الفـترة الزمنيـة وفى نفـس المجتمـع، ويذهـب عـالم الاجتـماع الإيطـالى ماسـيمو روذاتى Massimo Rosati، إلى أن مجتمـع مـا بعـد العلمانيـة هـو مجتمـع متعـدد الأديـان، حيـث تتعايـش التقاليـد الأصيلـة الراسـخة جنبًـا إلى جنـب مـع الطوائـف الدينيـة المتعـددة، فالتعدديـة الدينيـة هـي جـزء لا يتجـزأ مـن التقاليـد الاجتماعيـة لمجتمـع مـا بعـد العلمانيـة، ولحـل الـصراع بـين التعدديـة الثقافيـة الراديكاليـة، والعلمانيـة الراديكاليـة يتـم إدراج ثقافـة الأقليـات في المجتمـع المـدنى، وتشـجيع أفـراد المجتمـع عـلى المشـاركة بفاعليـة في الحيـاة السياسـية، ويشـير هايبرمـان إلى ثـلاث ظواهـر تسـبب تغـيرات في الوعـي بمـا يعـرف بمـا بعـد العلمانيـة:

١. الطريقـة التـي تقـوم بهـا وسـائل الإعـلام العالميـة بالتأكيـد المسـتمر والإقنـاع بالـدور المتواصـل للديـن في تعزيـز كل مـن الـصراع مـع الواقـع أو المصالحـة معـه.

٢. تزايـد الوعـي بـأن القناعـات الدينيـة والـرأي العـام أصبـح لهـم دورهـم في تشـكيل الحيـاة العامـة.

٣. التحولات التي طرأت على المجتمعات الاوربية في مرحلة ما بعد الاستعمار.[٩٣]

٤. ويشـير عـالم الإجتـماع إدوارد منديتيـا Eduardo Mendieta، أن هايبرمـان يتحـدى صـدق الشروط المفترضـة للعلمانيـة، وهـي:

٥. أن الديـن كآليـة أو ميكانيـزم اجتماعـي قـد إنخفـض دوره في تحقيـق الأمـن، أو التعامـل مـع إنعـدام الأمـن.

٦. أن التمايـز الوظيفـي للنظـم الإجتماعيـة الفرعيـة جعـل الديـن يهبـط إلى مجـالات أكـثر تحديـدًا للتفاعـل الإجتماعـي.

٧. أن التقـدم العلمـي والتقنـي والتنميـة أدت إلى قلـة الثقـة في عـالم مـا وراء الطبيعـة الـذي أصبحـت مناشـدة رضـاه أقـل إلحاحًـا في عـصر العلـم وسـيطرة الإنسـان عـلى الطبيعـة وتطويعه لهـا.

٨. أن التعدديـة الدينيـة جعلـت المذاهـب الدينيـة الشـاملة أقـل قبـولًا في السـياق الاجتماعـي العـام.

٩. وهنـا يركـز منديينًـا عـلى حقيقـة أنـه كـما شـهد المجتمـع عمليـات حداثـة وعلمانيـة، فـإن الديـن ذاتـه قـد تـم تحديثـه، حيـث تحـول ليكـون أكـثر معـاصرة مـع تنامـي «بيئـة علمانيـة»، ونتيجـة لذلـك، لم يتـم تحديـث المجتمـع وحسـب، ولكـن تـم تحديـث الديـن أيضًـا.[٩٤]

ثالثًا:الإطار النظري للدراسة:

نقــول أخــيرًا أنــه ورغــم ثــراء الــتراث النظــري بتحليــلات متعمقــة للظاهــرة الدينيــة والوعــي الدينــي وأنمــاط التديــن كــما أســلفنا، إلا أن تحليــل الســلوك الدينــي في المجتمــع العــربي الــذي يحمــل أحيانًــا فجــوات عميقــة بــين القــول والفعــل والظاهــر والباطــن، والفكــر والســلوك، والنصــوص الدينيــة وتأويلاتهــا، تقتــضي صناعــة نمــوذج نظــري مركــب يتنــاول

(93)Ibid, p. 10.

(94) Konstantions D.Giannis, Religion and Politics: Debating Secular and Post- Secular theories(op.cit), p.11.

كافة جوانب الظاهرة الدينية فكرًا وممارسة وسلوكًا، ونحن إذ نتناول ظاهرة الوعي الديني لدي المنتقبات فإن اهتمامنا ليس بالنص الديني بحد ذاته ولا بمدى صحته وصوابه، وإنما ينصب إهتمامنا بالسلوك البشري وعلاقته بالوعي الديني، وتحقيق التوافق بين المظهر والجوهر، والشكل والمضمون، والصورة الذهنية وتموضوعها وتجسيدها في الواقع، لأن كل شيء ظاهر لابد له من باطن، فالحكم الإجتماعي على الأفراد ينصب على الشكل والمظهر أولًا، وما يبدو لنا من السلوكيات التي تصدر عن الآخرين، ولا يعني ذلك الإهتمام بالسلوك الخارجي دون أن يكون ذلك السلوك إنعكاسًا لوعيًا حقيقيًا، فكما أن الدين ليس مجرد رؤى غيبية فهو أيضًا ليس مجرد سلوكيات وممارسات جوفاء من أي وعي بهذا الدين، وأهم ما يميز الوعي الحقيقي والإلتزام بالجوهر والمضمون هو حضور العقل النقدي الذي يجعل الإنسان دائمًا في توافق مع قواه الروحية، إن حضور العقل النقدي ضروري ليجعل الإنسان متوافقًا مع قواه الروحية محققًا ما ينبغي أن يكون عليه من توافق الشكل والمضمون، والصورة الذهنية وتجلياتها وإنعكاساتها على الواقع؛ وذلك تجنبًا لما يمكن أن يكون من عواقب الإتجاه إلى الشكل والتغافل عن المضمون من أنانية وإتجاه للمصلحة الذاتية بما لا يتفق تمامًا مع ما ينبغي أن يتحلى به صاحب ذلك المظهر.

وأهمية جوهر الإنسان أنه يُحدد شخصية الفرد، وأسلوبه في الحياة وطريقة تعامله مع الناس، ومدى إنضباطه وإلتزامه بالقيم والمبادئ والأخلاقيات، إن أكثر ما نلاحظه في عصرنا الحالي هو الإنفصال الحاد من النقيض إلى النقيض، إنفصال بين الشكل والمضمون، والمظهر والجوهر، الأفعال والأقوال، العبادت والمعاملات، الروح والجسد، القشور والمقاصد، إن إضطراب العلاقة بين المظهر والجوهر يؤدي حتمًا إلى العديد من الآفات الإجتماعية، حيث يرتدي الإنسان العديد من الأقنعة، ويتلون بتلون المواقف والأهواء، فقد يبدو تفاوتًا كبيرًا بين المظهر الذي قد يوحى بشيء، والجوهر الذي يتباعد تمام البعد عن المظهر حيث يختفي البعض وراء مظهرهم لإخفاء ملامح قبح الصورة الحقيقية التي هم عليها في حالة من الخداع المضلل للآخرين، والتزييف المتعمد لوعيهم، ولعل موضوع النقاب أوضح الأمثلة

تعبيرًا عن الخلط بين كونه مظهر ديني، أو مظهر سياسي واجتماعي، فدخول الدين في عالم السياسة واختلاطه بها خلق بعض المظاهر التي سعت جماعات الإسلام السياسي إلى فرضها، بشكل صارخ وكأنه شعار تريد إضفاء طابع ديني مؤكد عليه لإثبات قوة تواجدها وكثرة أتباعها من خلاله، فالنقاب شعار تضعه المرأة لفضيلتها وهذا لا شيء فيه؛ وإنما تأتي الإشكالية عندما تتخذ من النقاب شعارًا للفضيلة ثم تصدر منها سلوكيات تتعارض تمام التعارض مع الفضيلة، فيخرج ارتدائها للنقاب هنا عن محتواه والهدف منه، فالآخرين لن يتقبلوا استيعاب صدور تصرفات خاطئة من امرأة اتخذت من النقاب شعارًا لإلتزامها وفضيلتها، وبذلك تشوه صورة الدين وتفقد ثقة الناس به لو كان كل من يُمثل صورة الدين بنفس سلوكها، فضلًا عن أنها قد لا يعنيها التفسير والتحليل وما ينبغي أن يكون وما هو كائن ويكون إرتدائها له لا يعدو عن كونه موضة انتشرت بين النساء، دون أن تبالي بما ينبغي عليها القيام به من ممارسات إزاء إرتدائها له حتى تكون صورة جيدة للدين، فللظاهر سلطانه القوي في التأثير فلابد أن ينم هذا الظاهر عن وعي حقيقي بمبادئ الدين ومضمونه ومعانيه؛ لأن المعاني الباطنة هي الفيصل الحقيقي في التقييم، فالجوهر والمضمون هو مجموعة الصور الذهنية والخبرات والموازنات العميقة للفرد، أمّا المظهر فهو مجموع ما يحمله الفرد من صفات وسلوكيات ظاهرية تبدو للعيان، وليس الجوهر والمظهر شيئين منفصلين إنفصالًا تامًا، بل بينهما علاقة تأثير وتأثر وأخذ وعطاء وبينهما تجاذب وتلازم، وقد أتت المشكلة من إختلال التوازن بين الجوهر والمظهر، والشكل والمضمون، فالبشر متفقون على أن الجوهر هو الأصل وينبغي أن يُعطي الإهتمام والعناية لأن كل الإنجازات الحقيقية التي تتم على السطح نابعة أساسًا من إنجازات تمت على مستوى الكينونة والجوهر، ولذلك كان اهتمامنا في هذه الدراسة منصبًا على البحث عن الجوهر وعن قيم العقلانية؛ وفي إطار البحث عن قيم العقلانية وفي إطار البحث عن الجوهر الكامن وراء الممارسات والأفعال، نحاول من إطار هذا الهدف الكشف عن الإشكالية الحقيقية لإنتشار سلوكيات التدين سواء على مستوى الظاهري والمتمثل في الملبس أو الخطاب الديني للأشخاص المتدينين وصورتهم التي

يعكسـها لنـا واقعنـا المعـاصر، أو عـلى المسـتوى العقـلي والمتمثـل في الوعـي الحقيقـي والفهـم العقـلاني للديـن غـير المتأثـر بإيديولوجيـة تيـارات دينيـة تقـوم بإعـادة تشـكيل الوعـى الدينـي للأفـراد اعتـمادا عـلى توجهاتهـا الأيديولوجيـة.

إذا أردنـا تفسـير ظاهـرة انتشـار ظاهـرة النقـاب وعلاقـة هـذا الإنتشـار بمسـتوى الوعـي لديهـن وردة هـذه العلاقـة الجدليـة بينهـما إلى السـياق الثقـافي العـام للمجتمـع يمكـن الرجـوع إلى تاريـخ الفكـر للبحـث عـن إطـار نظـري فلسـفي يمكننـا إعـادة توجيـه ليقـدم لنـا تفسـيرًا منطقيًـا لهـذه الظاهـرة، و فَهُـم أبعادهـا التـي تسـتند عليهـا في إطـار هـذا التوجـه النظـري.

إننـا بصـدد البحـث عـن علاقـة جدليـة بـين الوعـي الدينـي الحقيقـي باعتبـاره يمثـل الشـكل الصحيـح للتديـن وبـين مظاهـر أخـرى ماديـة تتمثـل في إنعكاسـات هـذا الوعـي والمتمثلـة في الـزي الاسـلامي الـذي يعكـس مسـتوى هـذا الوعـي بالإضافـة للخطـاب الدينـي والممارسـات السـلوكية للمنتقبات،هـذه الثنائيـة - بـين الوعـي باعتبـاره فعـلًا وممارسـة تنطـوي عـلى قيـم عقلانيـة وبـين الملبـس أو النقـاب باعتبـاره فعـلًا وممارسـة تنطـوي عـلى قيـم ماديـة- يمكـن أن نقديـم تحليـلًا لهـا بصـورة واضحـة اعتـمادًا عـلى إشـكالية العلاقـة بـين الصـورة Form و المـادة Matter[95].الصـورة هـي التـي تعلـو مـن المـادة وتعطـى لهـا خصائصهـا المميـزة، والمـادة الخالصـة بـدون الصـورة تظـل مجـرد إمـكان خالـص واسـتعداد للتشـكيل. [96]فالصـورة هـي التـي تمنـح المـادة معقوليتهـا Its rationality و تجعلهـا موضـوع لـه هـدف وغايـة معقولـة.

وفي دراسـة لميلارجنـو (Melaragno، O) عـن الوعـي الاجتماعـي عنـد الفلاحـين والصياديـن اكتشـفت أن وعـي هـذه العينـة مـن المجتمـع يتصـف بالبسـاطة ومتحرريـن مـن كل تعقيـدات المدينـة ولكـن في مرحلـة متأخـرة يصبحـوا أكـثر تشـاؤمًا وتشـككًا باعتبارهـم ضحايـا لواقـع اجتماعـي وسـياسي. وهـذا يعكـس مـدى ارتفـاع مسـتوى الوعـي لديهـم.[97]

---

(95)(62) Friis,J(2008) The Aristotelian form: Particular or Universal, Kongelia Danske, Copenhagen.

(96)Gutwin:1999,p75))

Aphrodisias, A(1993) In Aristotle Metaphysics commentaria, Book5(Trans) William.D, Duckworth, London.

(97) Melaragno,O(2005) Social awareness and political awakening among the peasants and fishermen of Sicily as reflected in Giovanni Verga's Novelle, Lewiston Press, New York.

فوعـي المـرء بالفعـل الـذي يمارسـه والغايـة منـه يمثـل إطـارًا للمعرفـة وهـو الـذي يعمـل عـلى ترشـيد سـلوكياته وممارسـاته ويكسـبه سـمة العقـلاني، وفي المقابـل المـرء الـذي لديـه تشـويها في وعيـه dis-tortion of awareness تـأتي سـلوكياته متناقضـة بـين الشـكل والمضمـون، أو بـين الوعي المشـوه وإنعكاسـاته التـي تتجـلى في المجـال التطبيقـي الـذي يمكـن أن يُـدرك في تفاعـلات الـذات المتدنيـة Religious Self عـلى مسـتويات عديـدة، ويمكـن تقسـيم هـذه التفاعـلات عـلى المسـتوى الواسـع وهـو مـا أطلـق عليـه مسـتوى Macro level وينقسـم إلى ثـلاث مسـتويات يمكـن مـن خلالهـا إدراك تفاعـلات الـذات مـع البيئـة الحاضنـة التـي تعكـس مسـتويات وعـي الـذات المتدينـة عـبر كل مسـتوى، وهنـا يمكـن تتبـع مسـار الوعـي للـذات المتدينـة عـبر كل مسـتوى مـن هـذه المسـتويات.

فنـدرك علاقـة الوعـي وانعكاسـاته عـلى ذات المـرء المتديـن وكيـف تفهـم سـلوكياته في نطاقهـا السـيكو سوسـيولوجي، ثـم بعـد ذلـك فهـم مسـتوى وعـي الـذات باعتبارهـا أنـا جمعيـة collective self في نطـاق واقعهـا الجيـو سوسـيولوجي Geo-sociological standard، ثـم أخـيرًا كيـف تتشـكل الـذوات المتدينـة لـكى تمثـل تفاعلاتهـا عـلى المسـتوي الحضـاري او سيفيل-سوسـيولوجي Civil- sociological stan-dard ؟ وهنـا يمكـن تتبـع حركـة وعـى الـذات المتدينـة عـبر تفاعلاتهـا السوسـيولوجية في هـذه المسـتويات المتعـددة[٩٨]

المستوى الحضاري civil-sociological stand

المستوى المحلي Geo-sociological standard

المستوى الأنوي Ego-standard

(98) Hassan,M(2009) Strauss's Structuralism and its inconsistency: An Epistemological Attempt to study Intolerant Religious Behavior in Egypt. International Journal of Multiplincary of Thought, Vol7 No(1), U.S.A.

مـن جهـة أخـرى، يمكـن فهـم تفاعـلات الـذات المتدينـة وتجلياتهـا عـلى المسـتوى الدقيـق Mi-cro Level وهـو مـا يتمثـل في مسـتويات التفاعـلات اليوميـة للـذات المتدينـة في إطـار نطاقهـا الدقيـق وينقسـم إلى مسـتويات ثـلاث سـواء عـلى مسـتوى الأفـراد)تفاعـل عـلى مسـتوى الاسرة (أو عـلى مسـتوى الصداقـة والسـكن) التفاعـل بـين الفـرد وأقرانـه(أو عـلى مسـتوى المؤسسـات) تفاعـل المـرء في نطـاق المؤسسـة أو بيئـة العمـل).[99]

في نطـاق هـذا التصـور النظـري لتفاعـلات الـذات المتدينـة يمكننـا رصـد مجموعـة مـن الممارسـات والتفاعـلات الاجتماعيـة التـي تعكـس مسـتوى الوعـي الدينـي باعتبـاره موجهًـا للسـلوك ومـن ثـم للتفاعـلات البينيـة في نطـاق البنـاء الاجتماعـي، وفي الحقيقيـة هنـاك متغـيرات اجتماعيـة تسـهم في إحـداث نوعًـا مـن التحـول في مسـتوى الوعـي مـن الوعـي الحقيقـي genuine awareness لينتقـل إلى مسـتوى مـا يطلـق عليـه الوعـي المشـوه أو المزيـف distorted awareness وينعكـس الوعـي المشـوه عـلى تفاعـلات الـذات باعتبـاره محـورًا موجهـا للـذات أو مركـزًا توجيهيًـا constitutive anchor يوجـه المـرء ويمثـل المرجعيـة لـه في أحكامـه، و يمثـل معيـارًا موجهًـا للصـواب والخطـأ. وفى الحقيقـة هنـاك العديـد مـن التعريفـات المختلفـة لمفهـوم الوعـي يمكـن اللجـوء إليـه لـكي يـبرز هـذا المعنـى، فعـلى سـبيل المثـال في دراسـة فليـب مريـكل يعـرف الوعـي باعتبـاره (القـدرة عـلى إتخـاذ قـرار مضطـرًا أو اختياريًـا اعتـمادًا عـلى مسـتوى الأداء [100] (وهـذا هـو المعنـى الموضوعـي للوعـي، بينـما يشـير المعنـي الـذاتي للوعـي أنـه (تقريـرًا ذاتيًـا يشـير إلى رؤيـة الملاحـظ بطريقـة شـعورية للمتغـيرات التـي حولـه).

وتحـــدث البعـــض عـــلى ســـبيل المثـــال كلا مـــنناديـــن ســـارتر وديفيـــد وود عـــن وعـــى المـــرء بالموقـــف الـــذي يمـــر بـــه فـــما أطلـــق عليـــه situation awareness باعتبـــاره أداءً مرتبطًـــا بخـــبرة أو حـــدث يمـــر بـــه المـــرء ويتضمـــن معرفـــة بمقتضيـــات الموقـــف وكيفيـــة التفاعـــل

(99) Hassan,M(2009) Strauss's Structuralism and its inconsistency: An Epistemological Attempt to study Intolerant Religious Behavior in Egypt. International Journal of Multiplincary of Thought, Vol7 No(1), U.S.A

(100)(67) Philip M. Merikle(1984) Towards a definition of awareness, Bulletin of the Psychonomic Society, Vol22, Issue5, pp449-461.

معـه[١٠١]،. بالإضافـة إلى دراسـة توماسويسـكي المتعلقـة بوعـي اللاجـئ بالموقـف اللجـوء ذاتـه وسـلوكياته التـي تعكـس هـذا الوعـى.[١٠٢]

ولهـذا يمكننـا صياغـة تصـور مـن هـذه الدراسـات أن الوعـي هـو عمليـة يقـوم بهـا الفـرد تتضمـن ثـلاث

عمليـات أساسـية تمثـل المحـددات الأساسـية لإدارة المـرء لـكلًا مـن سـلوكياته بمـا تتناسـب مـع الموقـف

الـذي يمـر بـه موجهـا بنسـق مـن المعـارف التـي تمثـل عنـصرًا موجهًـا لسـلوكياته في الموقـف الـذي يمـر بـه. هـذه العمليـات الثلاثـة يمكـن إيضاحهـا كـما يـلي:

١- عمليـات معرفيـة **Cognitive Processes:** تتضمـن مجموعـة العمليـات العقليـة كالتذكروالفهـم والتحليل والتطبيـق والتأليـف بـين المعـارف المختلفـة التـي تنشـط اعتـمادًا عـلى مـا يوجـد في العقـل مـن معـارف وأفـكار والتـي تمثـل مـادة خـام للعمليـات العقليـة.

٢- ممارسـات سـلوكية **Behavioral Practices** تتضمـن مجموعـة مـن الممارسـات السـلوكية التـي تعكـس تلـك المعـارف والأفـكار بعـد ممارسـة عمليـات الفكـر عليهـا.

٣- محـددات الموقـف **Situational Determinates:** ويتضمـن الوعـاء الـذي يحتـوي مجموعـة مـن التفاعـلات التـي تعكـس جدليـة العلاقـة بـين العمليـات العقليـة ودرجـة المعرفـة للمـرء مـن جهـة وإنعـكاس تلـك العمليـات في ممارسـات سـلوكية تتـم في إطـار موقـف تفاعـلي ما.

يشـير كارلتـون في دراسـته تحـت عنـوان المعتقـد الدينـي والضبـط الاجتماعـي بالإشـارة إلى أنمـاط الإسـتقرار التغـير الاجتماعـي في كلا مـن مـصر القديمـة وأثينـا"

---

(101)Sarter,N& Woods,D(2009) Situation Awareness: A Critical But Defined Phenomenon,P45-57.

(102)Tomaszewski,B& Mohamed,F(2015) Refugee Situation Awareness: Campus and Beyond, Procedia Engineering, vol107, pp41-53.

إن النظـام الاجتماعـي يشـير إلى الإسـتقرار الاجتماعـي، وهـذا أمـر يصعـب بالـضرورة دراسـته في العـالم الحديـث لحـل الأنمـاط الاجتماعيـة وتبلورهـا، ولذلـك فـإن هـذه الرسـالة تهـدف إلى دراسـة مشـكلة النظـام في سـياق مجتمـع مـا قبـل الصناعـة المعقـد الـذي- في حـين أنـه ليـس بالكامـل ولا بالثابـت- يعـرض بشـكل أوضـح وشـامل السـمات الثابتـة للحيـاة المؤسسـية، حيـث يعتمـد النقـاش عـلى نـوع مـن المجتمعـات الثابتـة وأخـرى مـن المجتمعـات الديناميكية،.حيـث يتميـز المجتمـع السـاكن بالتوجهـات الإسـترجاعية والإسـتقرار الثنـائي (النظـام الجيـد)، بينـما يتميـز المجتمـع الديناميـكي بالتوجهات المسـتقبلية المؤهلـة والإبتـكارات الذرية،ومـن ثـم تكشـف هـذه الدراسـة عـن العلاقـة التبادليـة بـين المعتقـد الدينـي ودوره في تحقيـق الضبـط والإسـتقرار الاجتماعـي وكيـف أن الإسـتقرار الاجتماعـي لـه دور هـام في الحفـاظ عـلى المعتقـد الدينـي ومـن ثـم الإبقـاء عـلى مسـتوى الوعـي الدينـي بمـا يخـدم الإسـتقرار الاجتماعـي والضبـط الاجتماعـي.[١٠٣]

وفي دراسـة نكشـارت وآخـرون عـن المـرأة الريفيـة في جنـوب تايلانـد وكيـف أن الإتجاهـات الدينيـة والعرقيـة تلعـب دورًا هامًـا في بعـض القضايـا الاجتماعيـة كالإنجـاب، فقـد إكشـفت الدراسـة إن المـرأة المسـلمة في جنـوب تايلانـد تنجـب أطفـال كثـيرة وذلـك للتأكيـد عـلى هويتهـم عـلى الرغـم مـن ظروفهـم الاقتصاديـة الصعبـة، وهـذا يعكـس دور الوعـي الدينـي للمـراة الـذي يغـض الطـرف عـن واقعهـا الاجتماعـي الاقتصـادي مـن أجـل المحافظـة عـلى الهويـة الإسـلامية في الجنـوب ذو الأغلبيـة الهندوسية .[١٠٤]

ويعـرف جتـون مفهـوم الوعـي باعتبـاره معرفـة خلقـت عـبر تفاعـل المـرء مـع بيئتـه وبكلـمات بسـيطة أخـرى الوعـي يقصـد يـه معرفـة مـا يـدور [١٠٥].

---

(103)Carlton, Eric James (1981) Religious belief and social control, with special reference to patterns of stability and change in classical Athens and ancient Egypt phD Thesis, Leeds University.

(104)Nakachart, A, Srisompob Jitpiromsri, and others (1993) Women in Rural, Southern Thailand: A Study of Roles, Attitudes, and Ethno-religious Differences, Southeast Asian Journal of Social science, Vol. 21, No. 1 (1993), pp. 81-97

(105)Gutwin, Carl; Greedberg, S (1999). A framework of awareness for small groups in shared workspace groupware (Technical Report 99-1 ed.). University of Saskatchewan, Canada, Department of Computer Science.
Gutwin, Carl; Greenberg, S (September 2002). "A Descriptive Framework of Workspace Awareness for Real-Time Groupware". Computer Supported Cooperative Work (CSCW). 11 (3–4): 411–446.

وفي هــذا الســياق فــان الوعــي يقصــد بــه معرفــة كيــف يراقــب الأفــراد ويســتقبلون المعلومــات المرتبطــة بــكلا مــن زملاءهــم وبيئتهــم التــي يعيشــون فيها[١٠٦]وهــذه المعلومــات مفيــدة وضروريــة بصــورة هامــة مــن أجــل تحقيــق نوعًــا مــن الأداء الجيــد وتعــاون ناجــح بينهم.[١٠٧]

-ويـرى جتـون أن الوعـي يمكـن أن يعـرف بصـورة أوضـح مـن خـلال تقسـيمه إلى مجموعـة مـن الخصائـص عـلى النحـو التـالي:

- أنه معرفة متعلقة بوضع وحالة بيئة ما.
- البيئـات التـي تتغـير بصـورة مسـتمرة ومـن ثـم فـإن الوعـى يجـب أن يبقـى ثابتًـا مـع التغيـير الـذي يجـري عـلى هـذه البيئـات.
- تفاعلات الأفراد مع البيئة مع بقاء الوعي خلال هذا التفاعل.
- ان الوعــي جــزء مــن نشــاط آخــر وبوجــه عــام يعــد الوعــي هدفًــا ثانويًــا مقارنــة بالهــدف الرئيــسي للنشــاط [١٠٨]

ولهـذا يـرى جتـون أن الوعـي الاجتماعـي هـي المعلومـات التـي يبقيهـا المـرء بخصـوص السـياق الاجتماعــي أو الحديــث الاجتماعــي، وهــذا يعــد وعيًــا غــير مبــاشر تــم الإبقــاء عليــه في علامــات غــير لفظيــة مثــل الاتصــال بالعــين أو تعبــيرات الوجــه.. الــخ

(106) Dourish, P; Bellotti, V (1992). "Awareness and Coordination in Shared Workspaces". Computer Supported Cooperative Work (November): 107–114.

(107)Schmidt, K (2002). "The problem with 'awareness': Introductory remarks on 'awareness in CSCW'". Computer Supported Cooperative Work. 11 (3–4): 285–298.

(108)Gutwin, Carl; Greedberg, S (1999). A framework of awareness for small groups in shared workspace groupware (Technical Report 99-1 ed.). University of Saskatchewan, Canada, Department of Computer Science.
Gutwin, Carl; Greenberg, S (September 2002). "A Descriptive Framework of Workspace Awareness for Real-Time Groupware". Computer Supported Cooperative Work (CSCW),p.75.

استخلاصات:

١. في إطار الإسهامات النظرية الكلاسيكية قدم أوجست كونت أفكاره عن الظاهرة الدينية، حيث رأى أن التفسير الديني للواقع الاجتماعي مرحلة تجاوزتها البشرية، وأن التفسير الوضعي العلمي هو الذي يجب أن يسود، لكنه أكد في النهاية على أهمية الدين للإنسان على أن يتوافق الوعي بهذا الدين مع مظاهر الإلتزام به، حيث أنه لا يوجد وعي بلا ممارسة، ولا ممارسة بلا وعي حتى لا يتم تشويه الدين.

٢. أكد إميل دوركايم على أهمية الدين في حياة الإنسان، وأنه مكون أساسي يمارس وظائف عديدة توحد الأفراد بناء على المشترك بينهم وهي الطقوس الدينية التي تؤدي ممارستها إلي تشكيل الشعور الجمعي الذي يجعل الأفراد يتضامنون فيما بينهم، ويرى دوركايم أن الإيمان بالدين ضرورة، لأنه يحرك الإنسان ويدفعه إلى الفعل، لذلك لابد أن يكون هناك وعي ديني حقيقي لدي الإنسان لكي يتمكن من الإتيان بفعل سليم يتفق مع صحيح الدين، حيث أن الوعي الديني الزائف يترتب عليه أفعال مخالفة لصحيح الدين.

٣. قدم ماكس فيبر تفسيرًا مختلفًا للدين، حيث حاول ربط الدين بالحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية، وأكد أن روح الرأسمالية كنظام اقتصادي مستمدة من الأخلاق البروتستانتية في شكلها الكالفيني التي تنادي بالإدخار والإستثمار والعمل والإنتاج والتقشف من أجل تحقيق مجد الله على الأرض، هذا إلى جانب تأكيده على أن السلوك الديني يوجه باقي النشاطات الإنسانية، لذلك لابد أن يكون هناك وعي ديني حقيقي حتى ينعكس ذلك على الممارسات والأنشطة الاقتصادية والسياسية والقانونية.. ....إلخ

٤. يرى كارل ماركس أن الدين ليس له وجود حقيقي، بل هو وهْم يتخيله الفرد والمجتمع كطريقة سيكولوجية فعالة لتبرير أوضاع الإستغلال الاقتصادي والاجتماعي التي تنتج عن الأوضاع الطبقية داخل المجتمع، فالدين

يستخدم كمخدر لعقول الناس حتى لا يثوروا على أوضاعهم الاجتماعية، كما يري ماركس أن الدين يستخدم لتبرير جوانب اللامساواة في مجالات الثروة والسلطة، حيث تستغله الطبقات المسيطرة لبسط نفوذها وهيمنتها على باقي الطبقات داخل المجتمع، لذلك فالدين يشكل وعيًا زائفًا ومضللًا يعكس الواقع بشكل مغاير ومعاكس، ويمنحه نوعًا من الشرعية.

٥. يعيدنا بيتر بيرجر مرة أخري للتفكير في الظاهرة الدينية بشكل يختلف عن إسهامات أصحاب النظريات الكلاسيكية الأخرى الذين ذهبوا إلي تراجع دور الدين في الحياة اليومية والعامة لصالح العلم، حيث يرى أن العلم لم يتمكن من الإجابة عن تساؤلات هامة خاصة بوجود الإنسان، ويرى بيرجر أن هذا العصر هو عصر عودة الظاهرة الدينية للتأثير على الحياة الاجتماعية برمتها، لكنه دائمًا ما يفرق بين ما جاءت به السماء من تعاليم وبين استقبالنا لها في الواقع وتطبيقها بشكل متفاوت، وهنا تأتي قضية الوعي الحقيقي بالنصوص الدينية، والوعي الزائف عبر عمليات التأويل والتفسير التي يقدمها رجال الدين، وهنا تبرز فكرة الوعي الديني للمنتقبات في الحياة اليومية، وهل هو وعي حقيقي معبر عن فهم للنصوص أم معبر عن وعي زائف يتعلق فقط بالمظهر دون الجوهر؟

٦. حاول هيو أوربان إبراز العلاقة بين الدين والسياسة خاصة في الإسلام، وأكد على تداخلهما وعدم إمكانية الفصل بينهما كما هو الحال في المسيحية، وهو مايمكن الإستفادة منه في دراسة ظاهرة الوعي الديني للمنتقبات، حيث تحاول الجماعات السياسية الإسلامية إلباس النقاب ثوبًا دينيًا- رغم إختلاف الفقهاء حوله- للحصول على مكاسب سياسية عبر اتهام السلطة السياسية بمحاربة الدين الإسلامي.

٧. تعد أفكار جان بول ويليام وهابرماس وهايبرمان حول مجتمع مابعد العلمانية تأكيدًا لفكرة عودة الدين ليلعب دورًا رئيسًا في تشكيل الحياة العامة

حتـى في المجتمعـات الأوروبيـة التـي تشـهد تنـوع وتعدديـة ثقافيـة ودينيـة مـن خـلال المهاجريـن، وهنـا تـبرز فكـرة النقـاب باعتبـاره جـزء مـن الحريـة الشـخصية كـما يطرحـه المتأسـلمين الذيـن يعيشـون في أوروبـا ويحاولـون فـرض هـذا اللبـاس عـلى مجتمـع قـد يكـون رافضًـا لـه، لكنهـم يقدمونـه عـلى أنـه أمـرًا دينيًـا وليـس طقـس ثقـافي واجتماعي.

٨. مـن الواضـح أن النظريـات الاجتماعيـة الكلاسـيكية والمحدثـة قـد حاولـت أن تقـترب مـن ظاهـرة الديـن بشـكل أو بآخـر، وبالطبـع يمكنـا الإسـتفادة مـن كل طـرح في هـذا الشـأن، لكـن خصوصيـة مجتمعاتنـا مـن ناحيـة، وخصوصيـة ظاهـرة النقـاب مـن ناحيـة أخـري تفـرض علينـا محاولـة تطويـر نمـوذج نظـري لدراسـة الوعـي الدينـي للمنتقبـات في المجتمـع المـصري يمكننـا مـن وضـع آليـات للقيـاس يسـهل معهـا الحكـم عـلى المنتقبـات ومسـتوي تدينهـم، وهـل هـي أقـرب لوعـي دينـي حقيقـي أم وعـي دينـي زائـف، وهـل إرتـداء النقـاب يعـبر عـن وعـي بجوهـر الديـن أم هـو سـلوك يرتبـط بالمظهـر فقـط ؟ ويعتمـد تصورنـا النظـري عـلى أن الوعـي هـو عمليـة يقـوم بهـا الفـرد وتتضمـن ثـلاث عمليـات أساسـية لإدارة المـرء لـكلًا مـن سـلوكياته فيـما يتناسـب مـع الموقـف الـذي يمـر بـه موجهًـا بنسـق مـن المعـارف التـي تمثـل عنـصرًا موجهًـا لسـلوكياته في ذلـك الموقـف، وهـذه العمليـات هـي:

أ- عمليات معرفية:

وهـي المعلومـات والمعـارف والأفـكار التـي يحصـل عليهـا الإنسـان وتمثـل المـادة الخـام للعمليـات العقليـة.

ب- ممارسات سلوكية:

وهـي مجموعـة السـلوكيات التـي تتـم في الحيـاة اليوميـة والتـي تعـبر عـن مـدي إسـتيعاب الإنسـان للمعلومـات والمعـارف والأفـكار بعـد ممارسـة عمليـات الفكـر عليهـا.

ج- محددات الموقف:

وهــي الوعــاء الــذي يحتــوي التفاعــلات التــي تعكــس جدليــة العلاقــة بــين العمليــات العقليــة ودرجــة المعرفــة للإنســان مــن جهــة وإنعــكاس تلــك العمليــات في ممارســات ســلوكية تتــم في إطــار موقــف تفاعــلي مــا.

ووفقًــا لهــذا التصــور تحــاول الدراســة الراهنــة التعــرف عــلى المعلومــات والمعــارف والأفــكار التــي تمتلكهــا المنتقبــات حــول الديــن الإســلامي ومصــادر هــذه المعلومــات والمعــارف والأفــكار، ومدي اســتيعابها وتطبيقهــا في الحيــاة اليوميــة عــبر الممارســات الســلوكية وذلــك مــن خــلال المواقــف التفاعليــة.

***



الفصل الثالث

المفاهيم الأساسية للدراسة

مقدمة:

إن المفاهيم الاجتماعية ليست جامدة أو ثابتة، بل أغلبها يتغير بمرور الزمن وتغير الظروف والبيئات، وقد تختفي أو تندثر مفاهيم قديمة، وتظهر مفاهيم أخري جديدة تؤدي وظيفتها، وقد يتخذ المفهوم نفسه معاني مختلفة من فترة زمنية إلى أخري، ومن بيئة اجتماعية وثقافية إلى أخري، وللتغلب على مشكلة التعدد والتداخل في التعريفات النظرية للمفاهيم، طرحت فكرة «التعريف الإجرائي» وأساسها تحويل المفهوم النظري المجرد إلي مؤشرات واقعية يمكن ملاحظتها، وجمع بيانات عنها، وقياسها واختبارها.

وتعتبر المفاهيم هي إحدى أساسيات اللغة العلمية في أي من مجالات البحث العلمي المتنوعة، وهي مفردات البحث العلمي الأساسية- إن صح القول- [١٠٩]، وبما أننا بصدد دراسة الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري، فسوف تقوم الدراسة بإلقاء الضوء على كل من هذه المفاهيم:

أولا: مفهوم الوعي وأنواعه.

ثانيًا: مفهوم الحجاب.

ثالثًا: مفهوم الخمار.

رابعًا: مفهوم النقاب.

(109)Tompkins, Philip, principles of rigor for assessing Evidence in qualitative, communication research, western journal of communication,1994,p3.

أولًا: مفهوم الوعي: **Consciousness**

يعتبر الوعي موضوع جاذبًا للعديد من التخصصات العلمية مثل علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والقانونية، فقضية الوعي من أهم القضايا الاجتماعية؛ ذلك لأنها تتعلق بكافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمجتمعات، حيث يتميز كل مجتمع عن الآخر بما يمتلكه أفراده من وعي اجتماعي، أي بدرجة وعي أفراده بقضايا مجتمعهم، فبدون الوعي لا يمكن تحقيق أي تقدم أو تنمية للمجتمعات.

ولا يوجد تعريف محدد متفق عليه للوعي بشكل عام، والتعريفات التالية تعطينا فكرة عما تعنيه كلمة الوعي في حد ذاتها:

- كيف يكون الحال لو كنت كائن آخر، أو أي جماد آخر، أو شيء آخر، فذلك الشيء كائن واعٍ، وإلا فهو ليس كذلك.
- الذاتية أو الظاهراتية: فالوعي يعني تجربة ذاتية أو تجربة ظاهراتية، والمقصود كيف تبدو الأشياء لي، في مقابل ما تبدو عليه على نحو موضوعي.
- التجارب الواعية الذاتية وهي السمات الذاتية التي يتعذر وصفها للتجربة.
- المشكلة الصعبة، وهي تنشأ تجاه تجارب ذاتية من فكر مادي موضوعي.[١١٠]

ويعرف الوعي بأنه إتجاه عقلي انعكاسي يمكن الفرد من الوعي بذاته ومن البيئة المحيطة بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد.[١١١]

ويعرفه أحمد زكي بدوي، بأنه وعي الأفراد بالعلاقات الاجتماعية بينهم، وكذلك تجاربهم المشتركة.[١١٢]

---

(١١٠)سوزان بلاكموز، الوعي-مقدمة قصيرة جدًا- ترجمة مصطفي محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٦، ص١٢.

(١١١)محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص٨٨

(١١٢) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروتن مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص٨١.

ويعرِّفه عبد الباسط عبد المعطي بأنه إدراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم بما يشتمل عليه من علاقات بالطبيعة وبالإنسان وبالأفكار، فهو إدراك وتصور يتحدد بحالة بنائية تاريخية لمجتمع معين، بمعني أن الوعي له طابعه التاريخي البنائي.(١١٣)

كما يعبر الوعي أيضًا عن مجموعة المعارف والأفكار الخاصة بالفرد والتي تنصب على معرفته لذاته والبيئة المحيطة به، وهو محصلة تفاعل الإنسان مع بيئته وتأثره بها، مما ينعكس على أفكاره وإدراكه للعالم المحيط به.(١١٤)

ويري ماركس أن الوعي يأتي على رأس الوسائل التي يمكن أن يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، فالإنسان يبدأ بإنتاج وسائل بقائه، فينتج بشكل غير مباشر حياته المادية الفعلية عن طريق العمل الذي تتشكل به الحياة الإنسانية مع الحياة الطبيعية.(١١٥)

ويُعرِّف ماركس الوعي بأنه مجموعة الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر والعادات والتقاليد التي توجد لدي الأفراد وتعكس واقعهم الموضوعي.(١١٦)، فالوعي محكوم ومحدد بمجموعة الأنشطة التي يقوم بها الإنسان في المجتمع، فالوعي مكتسب ومتعلم مثله مثل اللغة فهما نتاج اجتماعي، وعلى ذلك فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل أن وجودهم هو الذي يحدد وعيهم.(١١٧)

ويعرف الوعي بأنه الحالة العقلية التي يكون فيها العقل مدركًا، وله القدرة على التواصل بسهولة وبشكل مباشر مع نفسه ومع الأشخاص المحيطين به، فهو حاله العقل التي تميز الإنسان بقدرته على التحكم بملكاته المنطقية.(١١٨)

---

(١١٣) عبد الباسط عبد المعطي، الإعلام وتزييف الوعي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص١٦.

(١١٤) أمل عبد الفتاح عطوة، الوعي الاجتماعي للمرأة الريفية ودوره في عملية التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية التربية جامعة عين شمس، ٢٠٠٠، ص١٠.

(115) Marx with Engels: The German ideology prometheus book,N,Y,1998,P37.

(١١٦) سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٧٩، ص١٧٩.

(117) Marx;A contrbution to the critiqu of political economy,the international library publishing, Co.,N.Y,1904,11-12.

(١١٨) نائلة محمد أبو هليل، ما مفهوم الوعي، مقال منشور في ٢٥ يوليو ٢٠١٨ WWWdoo3.com

أي أن مفهوم الوعي يستخدم بطرق متعددة لوصف الأفراد بالتركيز والتمييز في المواقف المختلفة، أي أنه يعتبر مقياس للتمييز بين التفكير وعدم التفكير.(١١٩)

ويتشكل الوعي من مجموعة المعارف والمعلومات التي يكتسبها الفرد من الخبرات وعمليات القراءة والتعليم، وكذلك المعلومات التي يكتسبها الفرد من الخبرات الحياتية المختلفة، مما يؤدي بنا أن نقرر أن الوعي عملية معقدة تعني مختلف العمليات العقلية والنفسية، وكذلك المكتسبات الروحية والقيمية، ومما سبق يتضح أن الفهم والمعرفة والسلوك من الأسس الهامة التي يقوم عليها الوعي بكافة أنواعه، فالوعي يشير إلي إستيعاب المعارف والحقائق والأحداث المحيطة به من خلال تحديد درجة تفاعل العقل مع متطلبات البيئة والمجتمع التي يكتسبها الإنسان عن طريق الخبرات المختلفة.(١٢٠)

ويتضح أن المفاهيم السابقة ركزت على ارتباط الوعي بالإدراك والمعرفة، فمفهوم الوعي يتحدد في إدراك الإنسان لذاته، ولما يحيط به إدراكًا مباشرًا، أي إدراك الإنسان لنفسه وللبيئة المحيطة به، ويعني ذلك إرتباط الوعي بفهم الإنسان لذاته وللآخرين سعيًّا لإشباع حاجاته ومصالحه، أي إدراك العلاقات بينه وبين الآخرين من خلال المواقف المختلفة.

ولكن بالرغم من كون الوعي مفهوم شمولي إلا أنه قابل للتجزئة في إطار التخصصات المختلفة، وللوعي أنواع تتداخل فيما بينها وتتكامل معًا ومنها الوعي الاجتماعي، والوعي السياسي، والوعي الثقافي، والوعي الديني، نعرض لبعضها فيما يلي:

١- مفهوم الوعي الاجتماعي:**Social Consciousness**

يعتبر الوعي الاجتماعي من أهم العوامل المسؤولة عن تطوير المجتمع وتقدمه، إذ أن تقدم أي مجتمع مرهون بمدي الوعي الاجتماعي الذي يمتلكه أفراده، والذي يتحدد على أساسه فهم الأفراد لقضايا مجتمعهم المختلفة، وطرق التعامل معها وردود الأفعال تجاهها.

---

(119) Banks,williamP.,ed.Ency Clopedia of Consciousness,Academic press,Elsevier INC,Oxford,UX,2009,P157.

(١٢٠) هند عزوز، الصحافة الجزائرية وتنمية الوعي لدي القراء- دراسة تحليلية ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر، قسم علوم الإعلام والإتصال، ٢٠١٣، ص١٧- ١٨.

*ويشير عبد الباسط عبد المعطي إلى أن للوعي الاجتماعي ثلاثة مستويات:

المستوي الأول: وهو الوعي اليومي المباشر الذي اهتم به الوظيفيون، وهو يعبر عن خبرة الحياة اليومية المباشرة، أي أنه أكثر إرتباطًا بالوجود العياني المباشر، لذلك فهو تفصيلي وتجزيئي ويتسم بالعفوية والتلقائية ويرتبط بالخصائص النفسية الاجتماعية للبشر، التي تعكس وجودًا اجتماعيًّا له خصائصه ومكوناته، ونظرًا لأن الوجود الاجتماعي المرحلي والخصائص النفسية المتعينة بناء عليه ليست منقطعة الصلة بمراحل تاريخية مضت، فإن خصائص أنماط من وجود اجتماعي سابق وخصائص نفسية اجتماعية مرتبطة بها تنعكس هي الأخري من خلال الخبرات اليومية والمباشرة للجماهير.

المستوي الثاني: الوعي الأيديولوجي الذي يعكس وجودًا طبقيًا محددًا، ويأتي إدراكًا وتصورًا طبقيًا للمجتمع، وما يحويه من علاقات، وما توجد بينهم من تناقضات، وأيضًا تصور للعلاقة بالطبيعة سواء كانت علاقة سيطرة وخضوع من البشر أو للبشر وخبرتهم الماضية في السيطرة عليها، وما اخترعوه من فنون في الإنتاج والعمل والتفاعل والتنظيم.

المستوي الثالث: الوعي العلمي الذي طورته قوي الإنتاج وتوظفه لخدمة مصالح إنتاجية وأيديولوجية، وهو نتاج لتراكمات الماضي والاتصال العلمي مع مجتمعات أخري.[١٢١]

-وللوعي الاجتماعي ثلاثة أبعاد يمكن التمييز بينها فيما يلي:

أ-الوعي الفردي:

وهو الوعي المتشكل لدي الفرد، والذي يحاول به تنظيم حياته وتحقيق مصالحه، وذلك من خلال علاقة الفرد بعالمه المادي أو علاقته بالطبيعة بما فيها من موارد وخبرات يحاول السيطرة عليها وتملكها من أجل استغلالها في تحقيق مصلحة ما، كما يتحدد أيضًا من خلال الروابط الاجتماعية من أجل تحقيق السيطرة والتملك من جانبه.

---

(١٢١)عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنموي العربي- ممارسة بحثية، دار الموقف العربي للصحافة والنشر، القاهرة ١٩٨٣، ص٢٥-٤٠.

ب-الوعي الطبقي:

يقصد به عملية الإدراك والتصور الطبقي للمجتمع والطبيعة على مستوي الطبقات أو الجماعات الاجتماعية، إذ أن الطبقة الاجتماعية أو الجماعة الاجتماعية لا وجود لها، إلا إذا توافرت لها عملية الوعي بوجودها كمجموعة من الأفراد لهم مصالح وأهداف وظروف وطبيعة خاصة ومحددة، الأمر الذي يمكن هذه الطبقة من مواجهة الطبقات الأخرى.[١٢٢]

ج- الوعي المجتمعي أو الجماهيري:

ويقصد به إدراك الجماهير للواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويتضمن هذا الوعي إدراك الجماهير لقيمهم وعناصر ثقافتهم وتصورهم لوجودهم الاجتماعي، فضلًا عن تصورهم لتغير هذا الواقع الذي يعيشون فيه بشكل يحقق مصالحهم، كما يتضمن هذا الوعي أيضًا دمج إدراك الجماهير وتصوراتهم من خلال عمل جماعي عفوي يتحول بعد ذلك إلي عمل جماعي منظم، وذلك من أجل وضع الخطط لتحقيق الأهداف التي تسعي الجماهير لتحقيقها، بالإضافة إلي تحديد الوسائل التي تحقق هذه الأهداف.[١٢٣]

ويعرف كذلك بأنه أسلوب إدراك أعضاء كل جماعة للواقع الاجتماعي بما يشتمل عليه من علاقات ونظم، وفهمهم لما يدور فيه من أحداث وتقيمهم لهم، وردود أفعالهم تجاهها، أي أن الوعي يتضمن أربعة جوانب وهي، الإدراك أو المعرفة والفهم والتقييم والتصرف.[١٢٤]

كما يعرف الوعي الاجتماعي بأنه إدراك للواقع الاجتماعي بمختلف العادات السياسية والاقتصادية والثقافية من خلال الإحساس بالمشكلة الجوهرية وتفسيرها

---

(١٢٢)عبد الباسط عبد المعطي، أساليب تزييف الوعي المصري المعاصر، مجلة الطليعة، مؤسسة الأهرام المصرية، العدد الرابع، ١٩٧٦، ص٩٣.

(١٢٣)عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنموي العربي- ممارسة بحثية، دار الموقف العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص٢٧.

(١٢٤) محمد عبد النبي، الوعي الاجتماعي لدي مختلف الفئات الاجتماعية بالريف – دراسة ميدانية بقرية مصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٨٥، ص٤٣.

تفسـيرًا حقيقيًّـا، مـع تصـور عـلاج لهـذه المشـكلات، وحلهـا مـن المنظـور الأيديولوجـي والعلمـي في آن واحـد.[١٢٥]

ويعتـبر الوعـي الاجتماعـي عمليـة ديناميـة ومحافظـة في الوقـت ذاتـه، فهـي ديناميـة إذا حـاول الفـرد مـد أفعالـه ونشـاطاته في المجتمـع مـن حولـه، ومحافـظ إذا احتفـظ الفـرد بالأفـكار داخلـه ولم يخرجهـا إلى المجتمـع مـن حولـه، ومعنـي ذلـك أنـه يمكـن تصنيـف الوعـي لنوعـان:

الوعـي السـلبي الـذي يكتفـي فيـه الإنسـان بمجـرد تحصيـل معلومـات وأفـكار ومفاهيـم دون أن يسـتخدمها في المشـاركة في قضايـا المجتمـع مـن أجـل المسـاهمة في تطويـر وتحديـث المجتمـع، وهنـاك الوعـي الايجـابي الـذي يهتـم فيـه الإنسـان بتحصيـل المعلومـات وتكويـن إتجـاه معـين، وعـلى أسـاس ذلـك يقـوم بالمسـاهمة في حـل قضايـا مجتمعـه أو تغييرهـا نحـو الأفضـل، وبنـاء عـلى ذلـك فمـن يريـد المشـاركة في الحيـاة الاجتماعيـة مـن أجـل إحـداث التغـير وتحقيـق التنميـة أن يتوفـر لديـه وعـي يمكنـه مـن اختيـار نـوع المعلومـات التـي ينتـوي نشرهـا وكيفيـة الحصـول عليهـا.[١٢٦]

وينظـر للوعـي الاجتماعـي عـلى أنـه واحـد مـن المكونـات الرئيسـية لرفـع مسـتوى الوعـي بصفـة عامـة في المجتمعـات، حيـث يتـم العمـل الاجتماعـي عمومًـا مـن خـلال الوعـي بالقضايـا التـي توثـر في المجتمـع، لـذا كان رفـع الوعـي الاجتماعـي مقدمـة هامـة للحـركات الاجتماعيـة المؤثـرة.[١٢٧]

٢- الوعي السياسي:

وهــو مــن أهــم أشــكال الوعــي الاجتماعــي أهميــة، لأن الإنســان بطبيعتــه كائــن اجتماعــي ويحتــاج إلى السياســة وإلى التنظيــم والترتيــب في كافــة أمــوره لــكي ينتظــم أمــر العمــران البشري.

---

(١٢٥)عبـد الباسـط عبـد المعطـي، أسـاليب تزييـف الوعـي المـصري المعـاصر، مجلـة الطليعـة، مؤسسـة الأهـرام المصريـة، العـدد الرابـع، ١٩٧٦، ص٩٣.

(١٢٦)بد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة، ١٩٨١، ص ١٤٦-١٤٧.

(127)Shirley R. Greene،Mark Kamimura19)،) Ties that Bind: Enhanced Social Awareness DevelopmentThrough Interactions with Diverse Peers ,University of Michigan ،Paper presented at the Annual Meeting of the Association for the Study of Higher EducationPortland, Oregon, November 12-15, 2003.p2

ويعبر الوعي السياسي عن مجموعة القيم والاتجاهات والأسس السياسية المتشكلة لدي الأفراد، والتي تمكنهم من أن يشاركوا مشاركة فعالة في قضايا مجتمعهم ومشكلاته، ذلك من خلال قيامهم بتحليلها والحكم عليها وتحديد مواقفهم منها، فضلًا عن التحرك من أجل تغييرها وتطويرها.[١٢٨]

ويرتبط الوعي السياسي بمدي إدراك الفرد لواقع مجتمعه ومحيطه الإقليمي والدولي ومعرفة مشكلات العصر المختلفة، والقوي الفاعلة والمؤثرة فيه، ورصد الأحداث وتحليلها واستكشاف خلفياتها وأبعادها وآثارها.[١٢٩]

ويعرف كذلك بأنه: معرفة المواطن لحقوقه وواجباته السياسية، وما يجري حوله من أحداث ووقائع، وكذلك قدرة المواطن على التصور الكلي للواقع المحيط به، وقدرته على تجاوز خبرات الجماعة الصغيرة التي ينتمي إليها إلى خبرات ومشاكل المجتمع السياسي ككل، ولابد أن تتوافر فيه بعض العناصر، كالشعور بالإقتدار السياسي، والتسامح الفكري المتبادل، وتوافر روح المبادرة، والإستعداد للمشاركة السياسية، واللا شخصانية، والثقة السياسية المتبادلة، فهو عملية يتم من خلالها اكتساب الأفراد للمعارف والمهارات والخبرات والقدرات، وإدراك هؤلاء الأفراد للدور المناط بهم والذي يجب عليهم القيام به ليتمكنوا من المشاركة في المجتمع كأعضاء فاعلين [١٣٠].

والوعى السياسى يعبر عن أسلوب الرؤية والإهتمام والفعل في العالم، وهو يسير وفق تعهد بحقوق الإنسان والعدالة وتفهم القوى وعدم المساواة في النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكذلك وفقًا للعلاقات والقيم السائدة، فهو يتعلق برفض الظلم والأنظمة والبناءات التي تمارس هذا الظلم، لكن ليس رفض الأفراد، فهو فن إحترام الآخر والعمل معه والنظر للآخر على أنه إنسان تميزه قوى اجتماعية ويرتبط في صراع مستمر من أجل إحراز مكانه محترمة[١٣١]

---

(١٢٨) علي أسعد وطفة، التحديات السياسية والاجتماعية في الكويت والوطن العربي، بحث في مضامين الوعي السياسي عند طلاب جامعة الكويت، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٣١، العدد الثالث، ٢٠٠٣، ص٧.

(١٢٩) لمزيد من التعريقات عن مفهوم الوعي السياسي أنظر كل من:

- أحمد إبراهيم الجبيد، مبادىء العلوم السياسية، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠.

- عماد حمادة، الوعي والتحليل السياسي، بيروت، الطبعة الأولي، دار الهادي للنشر والطباعة، ٢٠٠٥.

(١٣٠)محمد عبد الله محمد الحورش، الوعي والمشاركة السياسية لدى المواطن اليمني- دارسة ميدانية، دارسة حالة لأمانة العاصمة صنعاء، جامعة الشرق الوسط عمان – الأردن، ٢٠١٢، ص ٢٦.

(١٣١)مهدي محمد القصاص، دور المجتمع المدني في تنمية الوعي السياسي وتحقيق الحكم الراشد، الملتقى الدولي السادس، تحت عنوان « الحكم الراشد ودورة في التنمية المستديمة،»دراسة حالة «، جامعة دالى إبراهيم الشارقة ديسمبر،٢٠٠٦ ص ١٠.

أي أن الوعـي السـياسي يتحـدد عنـد بعـض الباحثـين عـلى أنـه مـدى معرفـة الأفـراد لحقوقهـم وواجباتهـم السياسـية، وقدرتهـم عـلى التصـور الـكلي للواقـع المحيـط بهـم، وفهمهـم لمـا يجـري حولهـم مـن أحـداث ووقائـع، وكذلـك هـو عبـارة عـن مجموعـة مـن القيـم والاتجاهـات والمبـادئ السياسـية التـي تتيـح للفـرد أن يشـارك مشـاركة فعالـة في أوضـاع مجتمعـه ومشـكلاته، ويقـوم بتحليلهـا والحكـم عليهـا، وتحديـد موقفـه منهـا، والتـي تدفعـه إلى التحـرك مـن أجـل تطويرهـا وتغييرهـا، وفهـم البيئـة المحيطـة بـه.

٣- الوعي الديني: **Consciousness of Religion**

هــو أحــد أهــم أشــكال الوعــي الاجتماعــي وأكثرهــا أهميــة، ويعــرف الوعــي الدينــي بأنــه قـدرة الأنسـان عـلى فهـم مختلـف المعـارف الدينيـة وإدراكهـا وفقًـا لرؤيـة كليـة يرتبـط فيهـا الجـزء بالكل.[١٣٢]

فالوعـي الدينـي هـو محصلـة لأفـكار وقيـم وممارسـات البـشر الدينيـة، وهـو بذلـك يحـدد آرائهـم ومواقفهـم وتفضيلاتهـم، ومـن ثـم تصرفاتهـم في الحيـاة، وهـو وعـي يرتبـط بالديـن كـما يفهمـه النـاس وفـق المواقـف والأسـاليب التـي أنتجـت لديهـم هـذا الفهـم مـن الأسرة والمؤسسـات الدينيـة والمؤسسـات التعليميـة، ومؤسسـات الإعـلام والثقافـة، وغيرهـا مـن المؤسسـات، وأيضًـا مـن التفاعـلات اليوميـة مـع آخريـن متنوعـي التعليـم والثقافـة والأفـكار الدينيـة.[١٣٣]

والوعـي الدينـي نسـبي يتبايـن ويتغـير بتغـير المراحـل الاقتصاديـة والاجتماعيـة للمجتمـع، وبأوضـاع النـاس الطبقـة وبثقافـات المجتمـع المحليـة التـي يعيشـون فيهـا ريفيـة كانت أم حضريـة، ولهـذا فهو وعي متغـير يعكـس ويجسـد أسـاليب المجتمع في الإنتـاج والحكم، وأسـاليب فرصهـم في العيش، فالوعـي الديني إنتـاج بـشري اجتماعـي، فهـو يتأثـر بمصالـح البـشر وغاياتهـم ومراميهـم الواضحـة والضمنيـة، ويحـرص في البنيـة عـلى جعـل الآخريـن يقتنعـون بوعيهـم الدينـي لمصالحهـم، كـما لـو كان مصالـح وغايـات عامـة

(١٣٢)عبير أمين، تزييف وعي الشباب بين العولمة والدعاة الجدد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص٣٤.

(١٣٣) عبـد الباسـط عبـد المعطـي، اغـتراب الوعـي الدينـي لـدي المصريـين، مجلـة الديمقراطيـة، موسسـة الأهـداف، مؤسسـة الأهـداف، العـدد٢٦، شـهر ابريـل ٢٠٠٧، ص٩٧.

ومشـتركة، ومـع التسـليم بوجـود تباينـات بـين أنمـاط وأنـواع الوعـي لـدي النـاس في المجتمـع المحـدد، فـإن هـذا لا مـا بينهـم مـن أفـكار وقيـم دينيـة مشـتركة تتقاطـع مـع مواقفهـم الطبقيـة ومجتمعاتهـم المحليـة المتباينـة.(١٣٤)

كـما يعـرف الوعـي الدينـي بأنـه عمليـة تنميـة وإيقـاظ المشـاعر الدينيـة، وتحسـين سـلوك الإنسـان بشـتى جوانبـه الإدراكيـة والعقائديـة والعاطفيـة عـن طريـق تبنـي بعـض القيـم الدينيـة وتعميقهـا وإعـادة صياغتهـا بمـا يتناسـب مـع حيـاة الأفـراد.(١٣٥)

فالوعـي الدينـي هـو حالـة مـن الفهـم الدينـي الواقعـي السـلوكي للفـرد والمجتمـع، فهـو مرحلـة متقدمـة مـن المعرفـة العامـة تتجـاوز الفهـم الشـامل للمعنـي إلي تحـول هـذه الفكـرة وانعكاسـها خـارج مفهـوم العقـل.(١٣٦)

ويعمـل الوعـي الدينـي عـلى تزويـد أفـراد المجتمـع بمبـادئ الدينيـة السـمحة التـي تعمـل عـلى حفـظ الديـن وترجمتـه عمليًّـا في حيـاة الأفـراد، فهـو جهـد منهجـي يسـهم في تعريف الإنسـان بمسـؤولياته وواجباتـه الدينيـة، وتعميـق إلتزاماتـه بتعاليـم الديـن وربطهـا بمختلـف مناشـط الحيـاة.(١٣٧)

*تعقيب على مفهوم الوعي وأنواعه:

مـــن خـــلال العـــرض الســـابق للتعريفـــات المختلفـــة عـــن الوعـــي يتضـــح أن أغلـــب هـــذه التعريفـــات ركـــزت عـــلى إرتبـــاط الوعـــي بـــالإدراك لمجريـــات الواقـــع، ويتنـــوع الوعـــي مـــن كونـــه وعـــي اجتماعـــي أو ســـياسي أو دينـــي عـــلى حســـب مـــدي إدراك المعلومـــات في الاجتـــماع والسياســـة والديـــن وغيرهـــا مـــن المعلومـــات، ويتنـــوع الوعـــي كذلـــك عـــلى حســـب الصـــورة

---

(١٣٤)عبـد الباسـط عبـد المعطـي، اغـتراب الوعـي الدينـي لـدي المصريين،مجلـة الديقراطيـة، موسسـة الأهـداف، مؤسسـة الأهـداف، العـدد٢٦، شـهر ابريـل ٢٠٠٧، ص٩٧.

(١٣٥) نـاصر عـلي مهـدي، دور وسـائل الإعـلام في تشـكيل الوعـي الاجتماعـي لـدي الشـباب الفلسـطيني- دراسـة ميدانيـة عـلي عينـة مـن الطـلاب، كليـة الآداب، مجلـة جامعـة الأزهـر، العـدد الأول، سلسـلة العلـوم الإنسـانية، غـزة، ٢٠١٠، ص١٤٧.

(١٣٦)بوكـدرون إيمـان، وحـاج قويـدر أسـماء، دور مواقـع التواصـل الاجتماعـي في تشـكيل الوعـي الدينـي في الوسـط الطـلابي- الفيـس بـوك نموذجًـا، رسـالة ماجيسـتير، جامعـة الجيـلاني، كليـة العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية، ٢٠١٨.

(١٣٧)نفس المرجع السابق، ص٤٥.

الذهنيــة للقــوة المؤثــرة في المجريــات والأســباب المســتترة ورائهــا، ويتضــح أن معظــم التعريفــات اتفقــت عــلى أن الوعــي هــو الإدراك أو المعرفــة العقليــة، ويتضمــن الوعــي الاجتماعــي العنــاصر التالية:

١. مجموعة المفاهيم والأفكار الراسخة في عقول الأفراد.

٢. تفسـير وتلقـي الأفـراد وتفاعلاتهـم مـع الأحـداث والقضايـا المحيطـة بهـم بنـاء عـلى الصـورة الذهنيـة المتشـكلة لديهـم مـن خـلال المفاهيـم والقيـم والمعلومـات والأفـكار المتأصلـة في عقولهـم وفكرهـم.

٣. ركـزت معظـم هـذه المفاهيـم عـلى أهميـة الوعـي الاجتماعـي في تفعيـل دور الأفـراد في القيـام بدورهـم في تنميـة وتحديـث المجتمعـات.

وإجرائيًا يمكن تعريف الوعي بأنه:

مجموعـة الأفـكار والمفاهيـم والتصـورات التـي تتشـكل لـدي الأفـراد، ومـن خلالهـا يتـم التفاعـل مـع قضايـا المجتمـع المختلفـة، مـع إمكانيـة المسـاهمة في إعطـاء بعـض الحلـول لهـا، فهـو عمليـة إدراكيـة تمثـل المحـددات الأساسـية لسـلوك الفـرد بمـا يتناسـب مـع الموقـف، وغالبًـا مـا يكـون موجهًـا بنسـق مـن المعـارف التـي تكـون موجهـة لسـلوكه في المواقـف المختلفـة التـي يمـر بهـا، ويمكـن تقسـيم هـذه العمليـات كـما يـلي:

١-العمليات المعرفية:

وهــي تتضمــن العمليــات العقليــة المختلفــة كالتذكــر والفهــم والتحليــل والتطبيــق، والتأليــف بــين المعــارف المختلفــة التــي تنشــط اعتــمادًا عــلى مــا يوجــد في العقــل مــن المعــارف والأفــكار التــي تمثــل المــادة الخــام للعمليــات العقليــة.

٢-الممارسات السلوكية:

وهــي تتضمــن مجموعــة النشــاطات والســلوكيات التــي تعكــس تلــك المعــارف والأفــكار بعــد ممارســة عمليــات الفكــر المختلفــة.

٣- محددات الموقف:

وتتضمـن الوعـاء الـذي يحتـوي مجموعـة مـن التفاعـلات التـي تعكـس جدليـة العلاقـة بـين العمليـات العقليـة ودرجـة المعرفـة للمـرء مـن جهـة، وانعـكاس تلـك العمليـات في ممارسـات سـلوكية تتـم في إطـار موقـف تفاعـلي مـا.

ثانيًا: مفهوم الحجاب: **The Viel**

تعتـبر ظاهـرة حجـاب المـرأة مـن أكـثر الظواهـر إنتشـارًا نظـرًا للإهتـمام المتزايـد بالمظهـر في المجتمعـات العربيـة عمومًـا، ويرجـع الإهتـمام بموضـوع الحجـاب نظـرًا لتراجـع القيـم التقليديـة كالقيـم الأخلاقيـة والدينيـة للمحجبـات، وحلـت محلهـا قيـم ومعايـير اجتماعيـة أخـري جـراء التغـير الاجتماعـي والثقـافي.

فوجـود الحجـاب في المجتمعـات العربيـة ارتبـط بظهـور الإسـلام وانتشـاره، فهـو مـن الناحيـة الشرعيـة يخضـع لمجموعـة مـن الضوابـط والـشروط تجعلـه مغايـرًا لمـا تلبسـه المـرأة في بيتهـا، ومخالفًـا أيضًـا لمـا تلبسـه غـير المحجبـات.

والغايـة مـن الحجـاب هـو سـتر جسـم المـرأة، فارتبـط الحجـاب مـن الناحيـة الاجتماعيـة بالعـزل، فبالغـت المجتمعـات العربيـة في حجـب المـرأة بغيـة الحفـاظ عليهـا، فانتـشرت الأميـة في أوسـاط النسـاء مـما أدي إلي ظهـور حـركات تحـرر تنـاصر المـرأة في أوائـل عـصر النهضـة عـلى أيـدي قاسـم أمـين ومحمـد عبـده وغيرهـم، حيـث نـادوا بـضرورة نـزع البرقـع لكونـه رمـزًا للعبوديـة واضطهـاد المـرأة وتخلفهـا وتحجـر فكرهـا، ومـن هنـا ارتبـط مفهـوم الحجـاب بعـدة مفاهيـم كالتغـير والتقـدم والتخلـف وحقـوق المـرأة وحريـة المـرأة.(١٣٨)

وقــد تلجــأ الفتــاة للحجــاب أحيانًــا كإســتراتيجية لإرضــاء الأسرة والمجتمــع مــن جهــة، وكمحاولــة للظهــور بشــكل ملائــم للفــت إعجــاب الآخريــن مــن جهــة أخــري، وفي أحيــان أخــري قــد يصبــح الحجــاب جــزءًا لا يتجــزأ مــن الثــورة ومعــاداة الإســتعمار وإثبــات الهويــة، ويتضــح ذلــك بشــكل أوضــح في حــدوث بعــض الحــركات الثوريــة في الجزائــر في الخمســينيات

---

(١٣٨) طالبـي حفيظـة، تعـدد أشـكال الحجـاب، وعلاقتـه بالتغـير الاجتماعـي في المجتمـع الجزائـري، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشـعبية، ٢٠١٣-٢٠١٤.

وإيـران في السـبعينيات، حيـث يتـم إعتبـار الحجـاب جـزء مـن التعبـير عـن الأصالـة، وقـد يكـون الحجـاب أيضًـا تأكيـد علنـي عـلى الثقـة في النظـام الأمريـكي التـي تتضمـن الحريـة في الديـن والعقيـدة بالنسـبة للعديـد مـن الشـابات المسـلمات اللـواتي لديهـن قـررات ارتـداء الحجـاب عـلى الرغـم مـن حقيقـة أن أمهاتهـم لم يرتـدوا أي ملابـس إسـلامية، فالحجـاب قـد يكـون رمـزًا للهويـة الإسلامية.(١٣٩)

فقضيـة حجـاب المـرأة سـتظل باسـتمرار واحـدة مـن أكـثر القضايـا إثـارة في العـالم كلـه، وليـس في منطقتنـا العربيـة فحسـب، وهـذا الأمـر سـيظل يثـير الجـدل، لمـا يثـار حولـه مـن مفارقـات لـدي الأوسـاط الفكريـة، فـلا يوجـد هنـاك إتفـاق أو رؤيـة واحـدة تجـاه هـذا الموضـوع، لذلـك نسـعى إلي إلقـاء الضـوء عـلى مفهـوم الحجـاب، وحسـم بعـض الجـدل حـول مفهومـي النقـاب والخـمار، واختصـار الديـن في المظهـر دون الجوهـر، وهـل الحجـاب مـوروث ثقـافي أم تقليـد اجتماعـي أم أنـه تعبـير عـن سـلوك سـياسي إسـلامي أم أنـه فـرض بـلا تفكـير.

الحجـاب في المعاجـم والقواميـس يعنـي الحاجـز أو السـاتر، ويوصـف في القـرآن الكريـم بأنـه إذا أراد سـؤال نسـاء النبـي متاعًـا أن يسـألوهن مـن وراء حجـاب، وورد ذلـك في سـورة الأحـزاب آيـة ٥٣، ولا يعقـل أن يضعـن الحاجـز أو السـاتر أو البـاب فـوق رؤوسـهن، وهـذا الأمـر يسـتند إليـه المتشـدقون بعـدم وروده في القـرآن الكريـم.

وتذكـر الكثـير مـن الآراء أن الحجـاب كظاهـرة لا يرتبـط بالإسـلام فقـط، بـل هـو سـلوك إنسـاني قديـم يسـبق الإسـلام، حيـث كانـت المـرأة في الجاهليـة تغطـي رأسـها وتظهـر أجـزاء مـن وجههـا وجسـدها، وبذلـك يكـون الحجـاب تقليـد اجتماعـي أو تعبـير عـن سـلوك سـياسي معـين، وهـو يعـد أحـد لبـاس المـرأة الفقـيرة والريفيـة والمهمشـة عـلى عكـس لبـاس المـرأة الجامعيـة والمـرأة العاملة.(١٤٠)

---

(139)Yvonne Yazbeck Haddad, The Post-9/11 Hijab as Icon ,Sociology of Religion, Georgetown University ,Volume 68, Issue 3, Fall 2007,p 2.

(١٤٠)عبـد الحميـد أحمـد أبـو سـليمان، بـين الحجـاب والنقـاب، المعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي، مكتبـة الأردن،المجلـد ١٩،٢٠١٤، ص١٤٥-١٦٠.

والحجاب هو الستر لجميع بدن المرأة، بحيث لا يشف، ولا يكون ملفت عن طريق الألوان، أي أن تحجب المرأة كل ما هو لافت للنظر في جسدها.(١٤١)

والحجاب بالمعني المتداول هو ستر لرأس المرأة خصوصًا الشعر والعنق من كل ليس بمحرم لها، وهو الستر الذي يستر جميع بدن المرأة عن الرجال.(١٤٢)

فالحجاب بمثابة وسيلة للتفاعل الاجتماعي وله معنى بصري ولفظي، ويري جوفمان (١٩٥٩) أن هناك إنفصالًا في عالم المرأة المسلمة، وأن عالمها مقسم إلى مكانين:- خاصة وعامة، فالمساحة الخاصة موجودة مع عائلتها وزوجها وما إلى ذلك، وهناك يمكن أن تلبس كما تريد، أما الفضاء العام يفرض عليها ارتداء الحجاب لتحقيق تفاعل محافظ مع الآخرين، وعليه فإن إرتداء الحجاب يرمز إلى حدود المسافة بينها وبين الأماكن العامة، وارتداء الحجاب معاني مختلفة في أنحاء مختلفة من العالم، حيث يمثل الحجاب في مناطق معينة الهوية والإنتماء إلى مجموعة عرقية معينة بالإضافة إلى ذلك، قد يعني إرتداء الحجاب شيئًا مختلفًا عن الشخص الذي يرتديه، فالمرأة التي ترتديه يفترض أنها على قدر من التدين والإلتزام، وهناك من يرى الحجاب بأنه يشكل نوعًا من الحماية التي تسمح للنساء بالتنقل في الأماكن العامة دون انتقاد، كما يحسن الحجاب اتصال المرأة في أماكن العمل المختلطة، ويري آخرون أن ارتداء الحجاب بين المسلمين الأكاديميين في الولايات المتحدة الأمريكية يحررهم من «ثقافة الجمال» القمعية في أمريكا، ومن نظرة الذكور غير الضرورية التي تتبعهم، ويدعي البعض أن ارتداء الحجاب يجبر الآخرين على التركيز على شخصية المرأة بدلًا من حياتهن الجنسية ويمكن القول أن الحجاب يخلق نوعًا من السلوك الروحاني في الإسلام.(١٤٣)

---

(١٤١)حسين محمد صديق، الحجاب الإسلامي معركة سياسية ونتائج عكسية، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد١٥٩، ديسمبر٢٠٠٦، ص ٦٩-٧٩.

(١٤٢) أيمن عبد الله الشقاوي، حجاب المرأة المسلمة في بلاد الغربة، ٣٠-٨-٢٠١٥

https //: www.alukah.net

(143Omar Mizel, The Voice of the Hijab: Perspectives towards Wearing the Hijab by a Sample of Palestinian Female University Students in Israel, Ono Academic College, Israel. Athens Journal of Social Sciences 2020,p 4-5.

وهكـذا فـان الحجـاب يحمـل العديـد مـن المعـاني مـن الناحيـة الاجتماعيـة، ومـن الخطـأ أن يجـادل الغـرب بـأن الحجـاب هـو رمـز للهيمنـة للذكوريـة ويجـب عـلى المعلقـين أن يكونـوا حذريـن مـن المحاولـة لفـرض معنـى واحـد عليهـا، وهنـاك مـن يـرى أن الحجـاب رمـز للإكـراه فالحجـاب يعنـي مجموعـة مـن الأشـياء التـي اعتمـدت عـلى السـياق التاريخـي والاجتماعـي، فهنـاك مجموعـة واسـعة مـن المعـاني للحجـاب التـي تنشـأ مـن الحـركات المعـاصرة وهـي حركـة إعـادة الحجـاب للمـرأة المسـلمة، ففـي أثنـاء التدخـل الأوروبي في الـشرق الأوسـط كان ينظـر إلى حجـاب الوجـه عـلى أنـه رمـز ويعـبر عـن الـثروة والمكانـة، وكانـت النسـاء الجزائريـات ترتـدي الحجـاب في المناطـق الحضريـة لإظهـار دعمهـم للحـرب، وكان الحجـاب رمـز مهـم في مقاومـة الحكـم الاسـتعماري الفرنـسي.[١٤٤]

وهنـاك مـن يـرى أن الحجـاب هـو الـزي الإسـلامي الـذي يمكـن إرجـاع جـذوره إلى بـلاد مـا بـين النهريـن القديمـة حيـث كان الحجـاب رمـز لطبقـة النبـلاء، وكان للحجـاب معـاني دينيـة منهـا تعليـم وحفـظ القـرآن، وكان يفـسر الحجـاب عـلى أنـه رمـز للهويـة الإسـلامية، وفي نفـس الوقـت هنـاك مـن ينظـر إليـه عـلى أنـة يشـير إلى عـدم المسـاواة وقمـع المـرأة، كـما أن هنـاك مـن ينظـر إلى الحجـاب مـن خـلال رأيـان متعارضـان: الأول الظلـم والتحريـر ويـرى أن الحجـاب هـو التمثيـل البـصري للهيمنـة والقمـع الأبـوي، وعليـه فـإن ارتـداء الحجـاب يـؤدي إلى إيـذاء النسـاء المسـلمات، أمّـا المنظـور الآخـر فـيرى أن ارتـداء الحجـاب كمظهـر مـن مظاهـر الإسـتقلال والتمكـين للمـرأة المسـلمة، بشـكل خـاص أولئـك الذيـن يعيشـون في المجتمعـات الغربيـة العلمانيـة فينظـر إلى الحجـاب في الغـرب كرمـز دينـي، وبالتـالي يشـكل خطـر عـلى العلمانيـة [١٤٥]

ويمكـن أن يشـير الحجـاب أيضًـا إلى الأسـلوب العـام وأسـلوب اللبـاس الـذي يسـتخدمه المسـلمون للتوافـق مـع معيـار التواضـع الـذي يعتبرونـه أساسـيًا لممارسـتهم الدينيـة، بالإضافـة إلى ذلـك يمكـن تعريـف الحجـاب كمفهـوم تجريـدي، كـما هـو موضـح

(144) Dr. Katherine Bullock ,Hijab &Contemporary Muslim Women “Rethinking Muslim Women and the Veil”(London: IIIT, 2002).p 8-10.

(145)Laura NISTOR,Hijab(istas)—as Fashion Phenomenon)37)()

A Review,ACTA UNIV. SAPIENTIAE, SOCIAL ANALYSIS, 7 (2017) ,p 62.

في مقتطفـات مـن القـرآن، تتطلـب التواضـع في اللبـاس والسـلوك والفكـر مـن أجـل تحقيـق التقـوى الحقيقيـة، «فالحجـاب» في الخطـاب النسـوي الغـربي مشـحون سياسـيًا بمفاهيـم «الآخـر» الأدنى، مـما يعنـي ويفـترض تبعيـة ودونيـة للمـرأة المسـلمة. (١٤٦)

ونسـتخلص مـن ذلـك أن الحجـاب كمفهـوم ارتبـط بالمرحلـة الزمنيـة والثقافـة السـائدة مـن عـصر لعـصر، فقـد تعمـل المـرأة عـلى خلـق مكانـة معينـة لهـا داخـل الوسـط أو المجتمـع التـي تعيـش فيـه، مـن خـلال إرتكازهـا عـلى الحجـاب واسـتغلاله كأداه مـن أجـل الغايـة الحقيقيـة أو الرمزيـة لـه، فأصبـح الحجـاب في الآونـة الأخـيرة الـزي الرسـمي لشريحـة واسـعة مـن النسـاء، وهـو لا يأخـذ شـكلًا واحـدًا، بـل أشـكالًا وألوانًـا وأهدافًـا متعـددة ومنهـا الحجـاب البسـيط (الـذي يقتـصر عـلى مجـرد تغطيـة الـرأس وإظهـار الوجـه واليـدان واسـتخدام الأزيـاء والملابـس الحديثـة) والخـمار والنقـاب.

ثالثًا: مفهوم الخمار: **Hijap - Viel**

الخـمار في المعاجـم والقواميـس يعنـي غطـاء الشـعر والـرأس والعنـق والصـدر، وهـو مفـرد كلمـة خمـر بضـم الخـاء والميـم، وهـي كلمـة وردت في سـورة النـور في قولـه تعـالي (وليضربـن بخمرهـن عـلى جيوبهـن) في معنـي غطـاء الشـعر، مـع وجـوب أن تغطـي فتحـة الصـدر عنـد المرأة.

وهـذا يعنـي عنـد بعـض الفقهـاء فـرض أنزالـه، وهـذا يطابـق المعنـي اللغـوي لما ألـزم بـه الرسـول النسـاء المؤمنـات، مـع عـدم الإلتـزام بغطـاء الوجـه والكفـين. (١٤٧) والسـنة النبويـة كانـت واضحـة في ذلـك، فقـد كان الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم يسـتقبل نسـاء الصحابـة وهـن كاشـفات الوجـوه، وكان يتحـدث إليهـن في الديـن وفي أمـور الحيـاة، وكـن يحـضرن صـلاة الجماعـة خلفـه في المسـجد مبـاشرة، ولم يحـدث أن نهـي أيًـا منهـن عـن كشـف الوجـه ولبـس النقـاب مثـلًا. (١٤٨)

---

(١٤٦) نفس المرجع السابق ص٢.

(١٤٧)حسـن محمـد صديـق محمـد، الحجـاب الإسـلامي معركـة سياسـية ونتائـج عكسـية، مجلـة التربيـة اللجنـة الوطنيـة القطريـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، العـدد ١٥٩، ديسـمبر، ٢٠٠٦، ص ٦٦-٧٩.

(١٤٨)أحمد شوقي الفنجري، مفاهيم خاطئة تؤخر المسلمين، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص ٣٣٥.

* شروط الحجاب بصفة عامة، والخمار بصفة خاصة:

* هناك مجموعة من الشروط الواجب توفرها في الحجاب بصفة عامة والخمار بصفة خاصة حتى يكون صحيحًا وهي:

- يجب أن يكون الحجاب ساترًا ويغطّي عورة المرأة، أمّا فيما يتعلق بالوجه والكفين فهو جائز على جميع الحالات، ويعود ذلك إلى رغبة المرأة نفسها.
- يجب أن يخلو الحجاب الشرعي من أي نوع من أنواع الزينة، التي تؤدّي إلى لفت الأنظار إلى المرأة التي ترتديه، فالهدف منه ستر العورة وعدم إظهار المفاتن، وتعد الزينة من مظاهر إظهار المفاتن والعورات.
- يجب ألّا يكون الحجاب شفافًا وكاشفًا لما تحته، لذلك يجب أن يكون الحجاب الشرعي ذا نوعية ثقيلة وغير واصفة لمعالم الجسم.
- أن يكون الحجاب فضفاضًا واسعًا وغير ضيق وواصف للجسم.
- عدم وضع أي نوع من العطور والبخور على هذا الحجاب.
- عدم تشبه حجاب المرأة بالرجال.
- تجنّب مشابهة حجاب الكفار والخارجين عن الملة.
- ألا يكون الهدف منه تحقيق الشهرة بين الناس.[١٤٩]

وإجرائيًا يقصد بالخمار على مستوي الممارسة في المجتمع المصري بأنه قطعة كبيرة من القماش تغطي بها الرأس والعنق والصدر بالأساس ولكنه يسمح بالكشف عن الوجه والكفين، وفي أحيان أخري تلجأ المرأة التي ترتديه إلى اليدين والقدمين.

رابعًا: مفهوم النقاب:-_**Burqa - Face cover**

النقاب في اللغة هو الوصواص- أو البرقع الصغير، ويعني الغطاء الصغير الذي يغطي الوجه بالكامل [١٥٠]، والنقاب هو عباءة من قطعة واحدة لكامل الجسم يتدلى

---

(١٤٩)الشروط اللازمة لحجاب المرأة المسلمة، موقع إسلام ويب http//www.islamweb.net/ar/

(١٥٠) أنظر كل من:- محمد ناصر الدين الأباني، حجاب المرأة المسلمة في الحجاب والسنة،المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٧.

- عبد الحميد علي عوض، شبهات حول قضايا المرأة المسلمة والرد عليها، شبكة الألوكة

http//:www.muslim library.com

- فؤاد بن يوسف أبو سعيد، حجاب المرأة بين الحشمة والسفور٦-٤-١٩٨٧

http://www.alukah.net

فــوق رأس المــرأة ويغطــي الجســم بالكامــل، مصنــوع مــن الحريــر أو القطــن الثقيــل مــع لوحــة كروشــيه صغــيرة أو مفتوحــة عــلى العينــين لتمكــين مرتديهــا مــن الرؤيــة، وكان يرتــدي الــزي الإلزامــي لجميــع النســاء عندمــا كانــت أفغانســتان تحــت ســيطرة طالبــان مــن منتصــف التسعينيات.(١٥١)

ويهـدف النقـاب إلى حمايـة الوجـوه الأنثويـة مـن القلـق بشـأن مظهرهـا، فالنقـاب هـو وشـاح يغطــي معظــم الوجــه باســتثناء العينــين أمّــا البرقــع يتكــون مــن قطعــة ملابــس كاملــة تغطــي كامــل الجســم الأنثــوي، ويتــم توفــير الرؤيــة مــع شــبكة صغــيرة أو شــق ضيــق في مســتوى العــين، ويســتخدم هــذا النــوع مــن الحجــاب في المناطــق التــي يســكنها بعــض المســلمين المتشــددين، وهــو كذلــك مطلــوب مــن قبــل الحركــة الإســلامية الســلفية التــي تحظــر أي تعــرض للأنثــى في الأماكــن العامة.(١٥٢)

النقـاب هـو مظهـر واضـح للغايـة لكونـه يميـز المـرأة المسـلمة في الغـرب، عـلى وجـه التحديـد يُنظـر إليـه عـلى أنـه الرمـز الأكـثر وضوحًـا للإسـلام في الغـرب، خاصـة في منـاخ مـا بعـد أحـداث الحـادي عـشر مـن سـبتمبر، حيـث أصبـح يُنظـر إلى ارتـداء النقـاب بشـكل نمطـي عـلى أنـه «تهديـد» لمفاهيـم الإندمـاج والتماسـك الوطنـي، وتجسـيد مـرئي للقمـع بـين الجنسـين وعـدم المسـاواة بـين الجنسـين، عـلاوة عـلى ذلـك غالبًـا مـا يُفهـم ارتـداء النقـاب عـلى أنـه ممارسـة مرادفـة للأصوليـة الدينيـة، وعـلى هـذا النحـو يمكـن إعتبـاره ممارسـة تعـزز التطـرف السـياسي. (١٥٣)

ويــرى في هــذا الســياق أن النقــاب مرتبــط بــ «الحــرب العالميــة عــلى الإرهــاب» وفي الآونــة الأخــيرة، بظهــور الجماعــة الإرهابيــة والدولــة الإســلامية في العــراق وســوريا (داعــش) مــن خــلال قدرتهــا عــلى اســتخدام التمويــه الإرهــابي باســم الديــن، وبالمثــل فــإن إرتــداء الحجــاب

(151) Louise Rhodes,Prohibiting the niqa , A critical examination of Western attitudes towards the Islamic veil and its relationship with law in the United Kingdom and France,Moores University for the degree of Master of Philosophy,2016 , p7-10.

(152) DANIEL BACHO*,REGULATION OF FACE-VEILING AS RELIGIOUS SYMBOL IN EUROPE, AND COHERENT CASE-LAW OF EUROPEAN COURT OF HUMAN RIGHTS,PhD. Student at the Faculty of Law. Masaryk University in Brno, Czech republic,2011, p3-4.

(١٥٢) نفس المرجع السابق ص ٤.

للنساء وإطلاق اللحية أو الشارب للرجال يرتبط أيضًا بالحرب العالمية على الإرهاب، ويُنظر إليه على أنه العدو الأول في «الحرب على الإرهاب». كمظهر واضح للإسلام في الغرب، فإن ارتداء النقاب للمرأة المسلمة واللحية للرجال المسلمين هو جزء من قضية أكبر هي الحرب على الإسلام نفسه.(١٥٤)

وأخيرًا فإن اختيار نوع الحجاب وشكله يعتمد على ثقافة المجتمع الذي يوجد فيه، على سبيل المثال، في أفغانستان البرقع يعتبر لباس شبه رسمي للمرأة، بينما في تركيا يعتبر الحجاب العادي (مجرد غطاء الرأس) هو أكثر الأنواع شيوعًا (١٥٥)

ومن خلال مناقشة التعريفات المختلفة السابق ذكرها عن النقاب يمكننا تعريف النقاب إجرائيًا وكما ستستخدمه الدراسة الراهنة بأنه:

ارتداء المرأة لزي عبارة عن جلباب واسع فضفاض أو ما يطلق عليه (ملحفة)، فلا يشف ولا يصف، وكذلك فهو غطاء كامل للوجه والرأس باستثناء العينين، وفي بعض الأحيان توضع قطعة قماش شفافة فوق العينين، هذا إلي جانب حجب اليدين، وفي بعض الأحيان يتم تغطيتهم بقفازات، وكذلك يتم تغطية القدمين بواسطة جوارب سميكة وداكنة اللون، وغالبًا يكون اللون الأسود هو اللون المفضل لدي غالبية المنتقبات، وهذا هو ما يفرق النقاب عن الحجاب الذي يقتصر على مجرد غطاء للشعر أو للرأس، ويكشف فيه الوجه واليدين، والخمار الذي يغطي الرأس والصدر.

وسوف نرتكز في دراستنا هذه على النقاب الذي يتجسد في الزي الذي يخفي الوجه كاملًا باستثناء العينين، باعتباره الشكل الأكثر شيوعًا وانتشارًا للنقاب في المجتمع المصري.

وعلى الرغم من أن قضية الحجاب لها سند شرعي في الدين، إلا أن هذا الأمر سيظل يثير الجدل مادام هناك خلاف ومفارقات لدى الأوساط الدينية، ولدي

(154) Dr Irene Zempi,"It's a part of me, I feel naked without it": Choice, agency and identity for Muslim women who wear the niqab,Division of Sociology, School of Social Sciences, Nottingham Trent University, Nottignham, UK,2016,p 1-2.

(155) Marie Haspeslagh,[THE BELGIAN BURQA-BAN] Unveiled from a human rights perspective,Master Thesis,2012,p5.

المسلمين أنفسهم تجاه التعامل مع هذه القضية، فلا يوجد رؤية واحدة تجاه هذه القضية إبتداء من أقصي الذين يعتبرون النقاب هو المفروض شرعًا وليس مجرد الحجاب الذي يسمح بكشف الوجه والكفين.

فالإسلام والتدين لا يختصر في مجرد قضية الحجاب، فحرية الرأي والفكر مكفولة للجميع، فهناك فكر وتيار معين يتبني فرض الحجاب بالترويع والتخويف واختصار الدين في الشكل الخارجي والحجاب والنقاب بصرف النظر عن السلوكيات التي يجب أن يتحلي بها المرء، فالدين لا يقتصر على فكرة الملبس والشكل الخارجي فقط، وإنما يكمن جوهر الدين في المطابقة بين المظهر والجوهر، فالحجاب أو النقاب ليس مجرد غطاء للرأس أو للجسم، فالحجاب سلوك قبل أن يكون ملبس.

إستخلاصات أساسية

١. يشير مفهوم الوعي بشكل عام إلى: إدراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم من خلال امتلاكهم لمجموعة من الأفكار والنظريات والآراء التي تكتسب عبر عمليات التعلم التي يحصل عليها المرء من مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة (كالأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية ومؤسسات الإعلام والثقافة وغيرها)، ويبرز هذا الإدراك والتصور من خلال النشاطات والسلوكيات التي يمارسها الأشخاص خلال ممارساتهم اليومية تجاه قضايا مجتمعهم، ويتم ذلك من خلال المواقف التفاعلية المختلفة.

٢. يشير مفهوم الوعي الديني بشكل عام إلى: إدراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم من خلال إمتلاكهم لمجموعة المعارف والأفكار والآراء الدينية التي يكتسبونها عبر عمليات التعلم من خلال (الأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية ومؤسسات الإعلام والثقافة وغيرها)، ويبرز هذا الإدراك والتصور من خلال تصرفاتهم وسلوكياتهم وتفاعلاتهم في الحياة اليومية من خلال المواقف التفاعلية المختلفة.

٣. يتضح من خلال الإستخدامات المختلفة لمفاهيم (الحجاب والخمار والنقاب) تداخلًا وخلطًا كبيرًا بينهم يختلف من بيئة اجتماعية وثقافية إلى أخري، لذلك تأتي التعريفات الإجرائية لتحسم هذا الخلاف والتداخل والخلط بين المفاهيم الثلاثة.

فالحجاب إجرائيًا، وكما هو منتشر ومستخدم في المجتمع المصري يشير إلى:

زي ترتديه المرأة ليغطي رأسها وجسدها دون التقيد بشكل محدد لهذا الزي، فقد يكون واسعًا فضفاض لا يشف ولا يصف، وقد يكون غير ذلك ضيق ويصف كل تفاصيل الجسد.

أمّا الخمار: فهو زي ترتديه المرأة ليغطي رأسها وجسدها، وهو غالبًا لا يبرز أي معلم من معالم جسدها، لأنه فضفاض لا يشف ولا يصف، ولا يظهر من الخمار إلا الوجه والكفين.

أمّا النقاب: فهو زي ترتديه المرأة ليغطي رأسها ووجهها وكامل جسدها وحتى الكفين والقدمين، وهو غالبًا يخفي كل معالم جسد المرأة لأنه فضفاض لا يشف ولا يصف، وغالبًا ما يكون لونه أسود.

***

الفصل الرابع

التطور التاريخي لظاهرة النقاب

مقدمة:-

إن قضية لباس المرأة المسلمة (الحجاب والنقاب) كانت ولا تزال واحدة من أكثر قضايا المثارة في العالم كله وليس في المنطقة العربية والإسلامية فقط، وكلما يبدو ظاهريًا أنها هدأت إذا بها تثار من جديد، ذلك أن القضية لا توضع فقط في إطار القضايا الدينية ولكنها مجالًا حتى للمزايدات السياسية بين مختلف الأطراف والتيارات، طالما أنه قد تم اختصار الإسلام في المظهر دون الجوهر وفي السلوك الظاهري والرمز الديني دون أن يكون هذا السلوك إنعكاسًا لوعي ديني حقيقي.

لقد أصبح النقاب في مصر أكثر انتشارًا للحد الذي أثار معه قلق السلطة السياسية؛ لأنها ترى في هذا الزي تهديدًا لأمن المجتمع، لما يتم في إطاره من ارتكاب بعض الجرائم الاجتماعية التى حتمًا تضر بالمجتمع، فمعارضة السلطات للنقاب إنما جاء لدرء المفاسد الاجتماعية التي ترتكب تحت مظلته والتي تهدد سلامة وأمن المجتمع، وليس باعتباره شكلًا دينيًا، لأن المتحدثين باسم المؤسسة الدينية قد أجزموا بفرضية الحجاب وليس النقاب، وليس هناك خلاف على هذا والحجاب بالفعل منتشر وليس هناك أي معارضة لإنتشاره، إنما تأتي المعارضة لإنتشار النقاب نظرًا لما فيه من طمس هوية من يرتديه، وبالتالي إستخدامه في ارتكاب الكثير من الجرائم الاجتماعية، من ناحية أخرى ترى جماعات الإسلام السياسي أن النقاب مرادف للحجاب، وهو مظهر دينى ومحاربته تحت أي ظرف هي محاربة للدين من وجهة نظرهم، وهذا ما جعل من النقاب مجالًا لصراع وجدل سياسي وثقافي بين القوى السياسية المختلفة سواء حول التقدم والتخلف، والتطرف والإعتدال، والعزلة والإندماج، والتسامح والعنف.

والحقيقـة أن إقحـام المـرأة بقضاياهـا المختلفـة مـن حجـاب إلى نقـاب إلى تعـدد الزوجـات إلى حقهـا في التعليـم والعمـل في القضايـا السياسـية ليـس حديثًـا البتـه، ولكنـه مـر بمراحـل تطـور عـلى مـدار التاريـخ مـن وقـت سـقوط الدولـة العثمانيـة إلى يومنـا هـذا، مـا بـين فـترات انتشـار الحجـاب والنقـاب إثنـاء الخلافـة العثمانيـة، ثـم فـترات نشـأة مـصر الحديثـة عـلى يـد أسرة محمـد عـلى وإرسـال البعثـات العسـكرية والعلميـة إلى الـدول الغربيـة ومـا ترتـب عليـه مـن احتـكاك بالثقافـة الغربيـة وإنعـكاس ذلـك عـلى الثقافـة العربيـة والمصريـة وعـلى المـرأة فبـدأت دعـوات التحـرر مـن الحجـاب (متمثـلًا في البرقـع الـذى كان سـائدًا وقتهـا) عـلى يـد مـن خالطـوا الثقافـة الغربيـة رجـالًا ونسـاء ونالـت تلـك الدعـوات قبـولًا كبـيرًا خاصـة بـين الأوسـاط المثقفـة وبـين نسـاء الطبقـة العليـا، وبالفعـل خلعـت المـرأة الحجـاب وبـدأت تدريجيًّـا الحصـول عـلى قـدر مـن التعليـم ثـم المشـاركة في الحيـاة العامـة واسـتمر ذلـك التطـور في تحـرر المـرأة مـن حجابهـا منـذ نهايـة القـرن التاسـع عـشر، وخـلال عقـود متتاليـة لم ترتـدِ المـرأة المصريـة الحجـاب، حتـى أن معظـم نسـاء مـصر خـلال فـترة الخمسـينيات والسـتينيات كـن غـير محجبـات، ومـع ظهـور عـدد مـن الحـركات الإسـلامية ذات التوجـه السـياسى بـدأت الدعـوة للعـودة الى حجـاب المـرأة واشـتدت تلـك الدعـوات مـع مطلـع السـبعينيات وتغـير تحالفـات الدولـة مـع جماعـات الإسـلام السـياسي، مـا سـاعد عـلى إعطـاء مسـاحة لجماعـات الإسـلام السـياسي مـن الإنتشـار متخـذه مـن الدعـوة للعـودة للحجـاب والنقـاب سـبيلها لتعزيـز دورهـا والتمكـين لأصحابهـا، ثـم ازدادت تلـك الدعـوات عـلى أثـر الإحتـكاك بثقافـة المجتمعـات الخليجيـة عـلى أثـر سياسـة الإنفتـاح الاقتصـادى (التـى أنتهجهـا الرئيـس أنـور السـادات) والهجـرة إلى الـدول الخليجيـة وخاصـة المملكـة العربيـة السـعودية في النصـف الثـاني مـن السـبعينات، وخـلال ثمانينيـات القـرن العشريـن عـاد الحجـاب مـرة أخـرى إلى الشـارع المـصرى، وتواجـد كذلـك النقـاب عـلى الطـراز الخليجـى الـذي انتـشر بشـكل تدريجـي في المجتمـع المـصرى، ونحـن إذ نـرى تزايـد ظاهـرة ارتـداء النقـاب في السـنوات الأخـيرة وفي الوقـت نفسـه تزايـد معـدل الإنحـراف، وصـار النقيضـان يسـيران معًـا دون تصـادم تحـت مظلـة التعايـش السـلمي، مـا يؤكـد وجـود تياريـن سياسـيين متعارضـين في المجتمـع اسـتخدم كل منهـما لبـاس المـرأة سـتارًا لأيديولوجيـة وتوجـه فكـري أراد لـه الانتشـار في المجتمـع.

وإذ نحـن بصـدد مناقشـة هـذه القضيـة المتعلقـة بالوعـى الدينـى للمنتقبـات واختصـار الإسـلام في الشـكل والنقـاب أو الحجـاب بـصرف النظـر عـن السـلوكيات التـى يجـب أن تتحـلى بهـا المـرأة، فالأهـم هـو المطابقـة بـين الجوهـر والمظهـر، بـين الوعـى والسـلوك، فالذيـن يفهمـون النقـاب عـلى أنـه مجـرد غطـاء للـرأس أو للوجـه لديهـم فهـم خاطـئ للنقـاب، فالنقـاب سـلوك ووعـي إلى جانـب كونـه ملبـس. وفي محاولـة لفهـم القضيـة فسـوف نتنـاول هـذه المراحـل بقـدر مـن التفصيـل فيـما يـلي.

أولًا:- حجاب المرأة حتى نهاية القرن التاسع عشر:

لقـد طـرأ عـلى حجـاب المـرأة العديـد مـن مظاهـر التغـير ولا تـزال تتغـير صـوره وأشـكاله دومًـا، والسـبب الأسـاسي لهـذا التغـير هـو تـوالي أسر الحكـم عـلى البـلاد، كالحكـم الفاطمـي والعبـاسي والمملـوكي والعثـماني، وكانـت المـرأة في فـترات الحكـم السـابقة عـلى الحكـم العثـماني خاصـة في فـترة الحكـم المملوكي تميـل إلى الملبـس غـير المحتشـم إلى جانـب الزينـة بالحـلى والوشـم والحنـاء وظـل هـذا الوضـع ساريًـا إلى أن أصبحـت مـصر ولايـة تابعـة للدولـة العثمانيـة، فعـادت المـرأة المصريـة مـرة أخـرى إلى الإحتشـام، فارتـدت البرقـع الـذي يغطـى معظـم أجـزاء الوجـه.[١٥٦]

ولم يختلـف وضـع المـرأة المسـلمة والعربيـة طـوال فـترة الحكـم العثـماني وحتـى القـرن التاسـع عشر - حيـث بـدأ مـا عـرف بعـصر النهضـة العربيـة- فقـد سـادت النظـرة الدونيـة للمـرأة واسـتمر إقصائهـا عـن الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية عصـورًا طويلـة، وعزلهـا وارتدائهـا النقـاب وحجبهـا في الحرملـك، وكان ذلـك التقليـد ساريًـا عـلى نسـاء الطبقـات العليـا مسـلمات ومسـيحيات مـا يؤكـد أن النقـاب ممثـلًا في البرقـع وقـت ظهـوره لم يكـن مرتبـط بديـن، وإنمـا هـو مظهـر اجتماعـي ارتبـط بطبقـة معينـة.

وقـد نشـأت هـذه الظاهـرة في اسـطنبول، وكانـت جـزءًا مـن تقليـد الحرملـك، حيـث كانـت نسـاء النخبـة العثمانيـة المصريـة ينعزلـن في الحرملـك، واسـتمر النقـاب أو البرقـع

(١٥٦) أمـاني عبـد الغنـي: حجـاب المـرأة: مـن البرقـع إلى «التوربـان»: عبـد النـاصر لقـن الإخـوان درسًـا حـين طلبـوا منـه فرضـه عـلى جميـع المصريـات ٢٠١٩

https//:www.almasryalyoum.com

حتـى أوائـل القـرن العشريـن، ولم تشـكل هـذه الفئـة مـن النسـاء سـوى نسـبة قليلـة مقارنـة بباقـي نسـاء المجتمـع ذلـك لأن العـزل والتبرقـع كان ترفًـا لا تسـتطيع الأسر الفقـيرة تحملـه؛ لذلـك لم تسـتطع نسـاء الطبقـة الدنيـا في القاهـرة تغطيـة وجوههـن بالبرقـع مـع حاجتهـم للذهـاب إلي عملهـم، فـكان مـن المسـتحيل منـع حركتهـم بالحجـاب وتغطيـة وجوههـن مثـل نسـاء الطبقـة العليـا.

واسـتمر الوضـع عـلى هـذه النحـو حتـى جـاءت الحملـة الفرنسـية عـلى مـصر وبـلاد الشـام وكانـت مـؤشرًا عـلى بدايـة قـرن جديـد يمهـد لإنتهـاء الخلافـة الإسـلامية ممثلـة في الدولـة العثمانيـة والتـى عجـزت عـن مواجهـة الغـرب، مـما دفـع محمـد عـلى وأسرتـه إلى إطـلاق عمليـة التحديـث، فـكان احتـكاك المثقفـين بالغـرب مـن خـلال البعثـات التـى سـعت للتعليـم ونقـل المعرفـة، ليعـود المثقـف العـربي مـن تلـك البعثـات رافضًـا لمعظـم مـا يعـج بـه العـالم العـربي مـن قناعـات باليـة؛ تلـك القناعـات التـى تصـف الغـرب بانحطـاط الأخـلاق والإنحـلال، وذلـك تبريـرًا سـهلًا لرفـض التحديـث، والمحافظـة عـلى الوضـع السـائد، وكانـت المـرأة في مركـز هـذا الرفـض، فانطلقـت الدعـوات لتعليـم المـرأة ومشـاركتها في الحيـاة العامـة، وبالطبـع ولـن يكـون ذلـك إلا بتحررهـا مـن البرقـع.

ومـع إنهيـار الإمبراطوريـة العثمانيـة وخضـوع معظـم العـالم العـربي والإسـلامي للإسـتعمار الغـربي، ظهـرت في المنطقـة العربيـة الدعـوات القوميـة واليسـارية التـي ركـزت عـلى ضرورة تحريـر المـرأة ومشـاركتها في بنـاء مجتمـع معـاصر قـادر عـلى مواجهـة الإسـتعمار، وفي الوقـت نفسـه ظهـرت الدعـوات إلى إنشـاء خلافـة إسـلامية عربيـة بديلـة عـن الإمبراطوريـة العثمانيـة المنهـارة، للمحافظـة عـلى الهويـة الإسـلامية وحمايـة المجتمعـات مـن الإنحـلال الـذي تتميـز بـه الثقافـة الغربيـة. وقـد تصارعـت هـذه الحـركات فيـما بينهـا، وتمثلـت هـذه الحـركات في فريقـين يمثـلان نقيضـين فكريـين، الأول يدعـوا إلى إحيـاء الديـن والعـودة إلى المنبـع الأصـلى الـذي يشـكل فيـه السـلف الصالـح أنموذجًـا يحتـذى. والثـانى، يدعـو إلى بنـاء دولـة قوميـة تسـود فيهـا قيـم العدالـة الاجتماعيـة والتقـدم. وكانـت المـرأة في مركـز هـذا الـصراع، فسـاد الـصراع بـين مـن يدعـو إلى ضرورة احتجـاب المـرأة، ومحافظتهـا عـلى عفتهـا، وعـدم الإختـلاط، والتركيـز عـلى تعليـم المـرأة

في مـا ينفـع دورهـا في العائلـة. وبـين مـن يدعـو إلى تحريـر المـرأة وإنطلاقهـا في مختلـف المجـالات، وإتخـاذ المـرأة في الغـرب مثـالًا ونموذجًـا يُحتـذى.[١٥٧]

وإضافـة إلى تأثـير الحملـة الفرنسـية عـلى مـصر، سـاهم المبعوثـون الذيـن تعرفـوا عـلى الحيـاة في الغـرب في ظهـور مـا عـرف بعـصر النهضـة العربيـة، وظهـرت عديـد مـن المحـاولات للدعـوة لتحريـر المـرأة؛ فنجـد في دعـوة رفاعـة الطهطـاوى رجـل الديـن الـذي رافـق بعثـة عسـكرية، بعثهـا محمـد عـلى إلى فرنسـا- كإمـام ومفتـي- بدايـة الدعـوة إلى تغيـير حـال المـرأة العربيـة مـن خـلال تعليمهـا، فقـد اصطـدم بالواقـع عندمـا سـافر إلى فرنسـا، حيـث رأى المـرأة لهـا دور كبـير في المجتمـع، فالمجتمـع الفرنـسى يعطـى المـرأة مزيـدًا مـن الحريـات وقـد تنـاول ذلـك في معـرض كتابه(تخليـص الإبريـز في تلخيـص باريـز: المرشـد الأمـين في تربيـة البنـات والبنـين) حيـث عـرض القضايـا الخاصـة بالمـرأة فنـادى بتعليـم المـرأة، عـلى اعتبـار أنهـا اللبنـة الأولى في بنـاء المجتمـع فالمـرأة كانـت طاقـة معطلـة وبالتـالي لابـد أن يكـون لهـا نصيـب مـن التعليـم لتقـوم بدورهـا في تربيـة النشأ.

إلى جانـب محـاولات أخـرى مثـل محاولـة الشـيخ حمـزة فتـح اللـه الكاتـب المعـروف وقتهـا وهـو أحـد أدبـاء عـصره وتنـاول قضيـة تحريـر المـرأة في كتابـه (باكـورة الـكلام عـلى حقـوق النسـاء في الإسـلام) وكان بحثًـا تقـدم بـه في المؤتمـر العلمـي الشرقـى بمدينـة اسـتكهولم المنعقـد بهـا للمـرة الثامنـة في أوائـل شـهر سـبتمبر ١٨٨٩م حـين وفادتـه عليـه في جملـة الوفـد المـصرى، وتنـاول فيـه موقـف الإسـلام مـن العلـم والعقـل والمجتمـع الانسـانى، ثـم انتقـل إلى حقـوق المـرأة، وأوضـح سـبق الإسـلام لتكريمهـا، والحـث عـلى تعليمهـا وعـدم ممانعتـه لاندماجهـا في المجتمـع، فتعمـل بجانـب الرجـل غـير منفصلـة عنـه في مبـاشرة الحيـاة وشـئونها، بـل كان لهـا الحـق في المشـاركة في أمـور الحكـم والمعارضـة السياسـية، والإشـتراك في الأمـور الحياتيـة، لقـد كان هـذا العـالم مجـددًا فقـد طـرق العديـد مـن الأبـواب التـى لم يسـبقه إليهـا أحـد، حتـى أن كتـاب قاسـم أمـين نفسـه عـن تحريـر المـرأة جـاء بعـد كتابـه هـذا بعـشر سـنين أي عـام ١٨٩٩.[١٥٨]

(١٥٧)بكـر يوسـف زعـرور وآخريـن، الحجـاب في التاريـخ الإسـلامى المبكـر وعلاقتـه بالصـورة النمطيـة المعـاصرة للمـرأة المسـلمة, , ٢٠١٧, رسـالة جامعيـة, جامعـة بيرزيـت, كليـة الدراسـات العليـا, فلسـطين, ص ٥٠- ٥٣.

(١٥٨) عصمت نصار: الشيخ حمزة فتح الله وحقوق المرأة في الإسلام«١٠», البوابة نيوز, ٢١يوليو, ٢٠١٨.

www.albawabhnews.com.

وتعـد تجربـة الشـيخ حمـزة فتـح اللـه هـي التجربـة الأنضـج فيـما يتعلـق بقضيـة تحريـر المـرأة، ولـولا مواقفـه السياسـية حيـث كان مـن المناهضـين للثـورة العرابيـة، فانحـاز للقـصر ضـد عـرابي، مـما جعلـه لا يتمتـع بالمصداقيـة الكافيـة لـكان لـه شـأن آخـر. وقـد جـاء كتـاب قاسـم أمـين تحريـر المـرأة كتتويـج لهـذه الدعـوات التـى ربطـت تخلـف المسـلمين بحـال المـرأة، وفـرض العزلـة عليهـا، وحرمانهـا مـن التعليـم والعمـل، وتنقسـم حيـاة قاسـم أمـين إلى مرحلتـين لابـد مـن التفريـق بينهـما:

المرحلـة الأولى التـي سـبقت ذهابـه إلى فرنسـا ثـم مرحلـة ذهابـة لفرنسـا حتـى عودتـه، في المرحلـة الأولى كتـب في صحيفـة المؤيـد لصاحبهـا الشـيخ عـلى يوسـف عـدة مقـالات بأسـماء مسـتعارة مقـالات أسـماها (أسـباب ونتائـج) تكلـم فيهـا عـن المجتمـع المـصري ودافـع فيهـا عـن كثـير مـن العـادات في عـام ١٨٩٤؛ وكان ذلـك ردًا عـلى أحـد الفرنسـيين (الكونـت داركـور) الـذي كتـب كتـاب إسـمه (مـصر والمصريـون) أسـاء فيـه للمصريـين كثـيرًا وتحـدث عـن عـادات كثـيرة لاسـيما العـادات الخاصـة بالنسـاء وانتقـد فيهـا وضـع المـرأة وانتقـد وضـع (التبرقـع) في ذلـك الوقـت فـما كان مـن قاسـم أمـين إلا أن أصـدر عـام ١٨٩٤ كتابًـا سـماه (المصريـون) تنـاول فيـه قضايـا المـرأة ودافـع عــن المــرأة وخصوصيتهـا في المجتمـع وأن ديننـا قـد ضبـط مسـألة الإختـلاط بـين الرجـال والنسـاء، وذلـك حمايـة لهـما ودرءًا للفـتن التـي قـد يسـببها الإختـلاط، وتـدور أفـكار الكتـاب عـن لبـاس المـرأة الشرقيـة، والفصـل بـين الجنسـين، وهـو حمايـة لهـا عـن أعـين الرجـال، وهاجـم الإختـلاط الغـربى وأرجـع كل المشـاكل في أوروبـا إلى الابتـذال في الإختـلاط، ولكـن بنـشر قاسـم أمـين لكتابـه (تحريـر المـرأة) عـام ١٨٩٩، فقـد انتهـت هـذه المـرأة التـي تحـدث عنهـا في كتابـه المصريـون، وبنـشره لكتـاب تحريـر المـرأة أثـار ضجـة كبـيرة غـير مسـبوقة حتـى أن الكتـب التـي صـدرت بعـد ذلـك لتنـاول ذات القضيـة مثـل كتـاب (معركـة حـول الشـعر الجاهـلي)، وكتـاب (القصـص القـرآني) لمحمـد خلـف اللـه، رغـم تأثيرهـا الكبـير إلا أنهـا لم تكـن بنفـس تأثـير كتـاب قاسـم أمـين حتـى أن قاسـم أمـين نفسـه تنبـأ أن سـيكون لكتابـه هـذا التأثـير الأكـبر في هـذا الشـأن.

وبصـدور الكتـاب إنقسـم المجتمـع إلى فريقـين يختصـمان، فريـق يـري أن قاسـم أمـين يحمـل فكـرًا تنويريًـا صحيحًـا، وأن المجتمـع بحاجـة لهـذا الفكـر عـلى رأس هـذا الفريـق (الشـيخ محمـد عبـده، سـعد زغلـول، أحمـد لطفـى السـيد، حافـظ إبراهيـم) قـد تبنـوا هـذه الأفـكار، ولكـن مـا أضر بالقضيـة وأثـار حـول قاسـم أمـين الشـبهات هـو تبنـي الإنجليـز لهـذا الإتجـاه فقـد رأوا الفرصـة سـانحة لإقتناصهـا لصالحهـم لإلهـاء الشـعب في قضايـا بعيـده عـن سياسـة الإحتـلال ومناهضتـه، ورغـم مـا كان لقاسـم أمـين مـن مواقـف مشـهودة في مواجهـة الإحتـلال إلا أن بعـض النـاس رأوا أنـه باصـداره لهـذا الكتـاب فـإن الإنجليـز هـم مـن أوعـزوا لـه بهـذا الأمـر، مـما أضر بقضيـة تحريـر المـرأة التـي تبناهـا ودافـع عنهـا في كتابـه.

وفي كتابـه تحريـر المـرأة فقـد تبـادل الأدوار عـن رأيـه ودوره في كتابـه المصريـون فقـد أخـذ موقـف المعـارض لـه، وبـدأ يتبنـى أفـكار المعارضـين لـه وقـال في هـذا الشـأن «هـذه الحقيقـة التـي أنشرهـا اليـوم شـغلت فكـرى مـدة كبـيرة كنـت أقلبهـا، امتحنهـا، وأحللهـا، وحتـى إذا تجـردت عـن كل مـا كان يختلـط بهـا مـن الخطـأ اسـتولت عـلى مـكان عظيـم مـن موضـع الفكـر وزاحمـت غيرهـا، وتغلبـت عليه».[١٥٩]

وتــدور أفــكار الكتــاب عــن أربــع قضايــا رئيســة هــي (الحجــاب- الــزواج- الطــلاق- تعــدد الزوجـات)؛ أول هـذه القضايـا هـي الحجـاب الـذي كان يدافـع عنـه في كتابـه المصريـون وأنـه يصـون المـرأة مـن أعـين الرجـال لكنـه في كتابـه تحريـر المـرأة قـد عـارض الحجـاب ونـادى بتحريـر المـرأة منـه. ولكنـه كان يقصـد بالحجـاب هنـا البرقـع كـما كان موجـودًا حينهـا أو النقـاب كـم، يسـمى فهـو يذهـب إلى أن القضيـة خلافيـة وأن الأمـر فيـه مرونـة وسـعة حيـث يقـول «اختلـف الفقهـاء حـول مـا يجـب كشـفه ومـا لا يجـب كشـفه، فالأمـر فيـه مرونـة وسـعة»، كـما قـال في مقدمـة فصـل حجـاب النسـاء في كتابـه تحريـر المـرأة «ربمـا يتوهـم ناظـر أننـي أرى رفـع الحجـاب بالمـرة، ولكـن الحقيقـة غـير ذلـك فإننـي لا أذال أدافـع عـن الحجـاب واعتـبره أصـلًا مـن أصـول الآداب التـي يلـزم التمسـك بهـا غـير أني أطلـب أن يكـون منطبقًـا عـلى مـا جـاء في الشريعـة الإسـلامية، وهـو عـلى مـا في

(١٥٩) قاسم أمين: تحرير المرأة, مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة, (بدون تاريخ طباعة),١٨٩٩, ص٩.

تلـك الشريعـة يخالـف مـا تعارفـه النـاس عندنـا، لمـا عـرض عليهـم مـن حـب المغـالاة في الإحتيـاط والمبالغـة فيـما يظنـون عمـلًا بالأحـكام حتـى تجـاوزوا حـدود الشريعـة، وأضروا بمنافـع الأمة ».[١٦٠]

إذن هـو يقـر أن القضيـة خلافيـة، وأنـه يأخذهـا مـن جانـب الإعاقـة عـن مسـاهمة المـرأة في الأنشـطة الاجتماعيـة وتنميـة المجتمـع فيقـارن بـين البرقـع (النقـاب) والحجـاب، حيـث يـرى في النقـاب إعاقـة للمـرأة عـن الخـروج فلـم تكـن مشـكلته مـع النقـاب ولكـن مـع مـا يترتـب عليـه مـن وجهـة نظـره مـن تأخـر المـرأة، فالأهـم مـن قضيـة النقـاب هـو إخـراج المـرأة لتكـون عضـوًا فاعـلًا في المجتمـع، وهـذا مـا يؤكـد لنـا أن معارضـة النقـاب إنمـا هـي معارضـة اجتماعيـة وليسـت دينيـة، لمـا يترتـب عـلى إرتدائـه مـن تعطيـل حقيقـي لمـا يمكـن أن تقـوم بـه المـرأة مـن دور بـارز في بنـاء الأمـم ونهضتهـا.

ويتابـع قاسـم أمـين فكرتـه بـأن المـرأة تحتـاج إلى تربيـة وفكـر، لأنهـا يُعهـد إليهـا تربيـة النشـأ وكان يـرى أن تقـدم المجتمـع يبـدأ مـن المـرأة أولًا، وتابـع في كتابـه أن الـذي يـراه في هـذا الموضـوع هـو «أن الغربيـين قـد غلـوا في إباحـة التكشـف للنسـاء إلى درجـة يصعـب معهـا أن تتصوَن المـرأة مـن التعـرض لمثـارات الشـهوة، ولا ترضـاه عاطفـة الحيـاة، وقـد تغالينـا نحـن في طلـب التحجَـب والتحـرَج مـن ظهـور النسـاء لأعـين الرجـال حتـى صيَرنـا المـرأة أداة مـن الأدوات، أو متاعًـا مـن المقتنيـات وحرمانهـا مـن كل المزايـا العقليـة والأدبيـة التـي أُعِـدت لهـا بمقتـضى الفطـرة الإنسـانية، وبـين هذيـن الطرفـين وسـط سـنبينه- هـو الحجـاب الشرعـي- وهـو الـذي أدعـو إليـه».[١٦١]

واسـتطرد قاسـم أمـين قائـلًا أن الحجـاب الموجـود عندنـا ليس خاصًـا بنا، ولا أن المسـلمين هـم الذين اسـتحدثوه، لكنـه كان عـادة معروفـة عنـد كل الأمـم تقريبًـا ثـم تلاشـت طوعًـا لمقتضيـات الاجتـماع، وجريًـا عـلى سُـنة التقـدم والترقـي؛ فكانـت نسـاء اليونـان يسـتعملن الخـمار إذا خرجـن، ويخفـين وجههن بطـرف منـه، كـما هـو الآن عنـد الأمـم الشرقيـة للنسـاء خمارهـن، وكانـت النسـاء تسـتعملن الخـمار في القـرون الوسـطى خصوصًـا في القـرن التاسـع، فـكان الخـمار يحيـط بأكتـاف المـرأة ويجـر عـلى الأرض،

(١٦٠) قاسم أمين: تحرير المرأة, مرجع سابق, ص٣٧.

(١٦١) قاسم أمين: المرجع نفسه, ص٣٧.

واسـتمر كذلـك إلى القـرن الثالـث عـشر، حيـث صـارت النسـاء تخفـف منـه إلى أن صـار كـما هـو الآن نسـيجًا خفيفًـا يُسـتعمل للحمايـة مـن الـتراب والـبرد، ولكـن بقـي بعـد ذلـك بزمـن في إسـبانيا وفي بـلاد أمريـكا التـي كانـت تابعـة لهـا.[١٦٢]

واختلفـت ردود الفعـل عـلى هـذا الكتـاب بـين مؤيـد ومعـارض والقـصر كان عـلى رأس المعارضـين لدرجـة أن صـدر قـرار مـن الخديـوى عبـاس حلمـي الثـاني الـذي أصـدر قـرارًا بعـدم دخـول قاسـم أمـين القـصر، ولم يكـن الدافـع لذلـك دافـع دينـى أن القـصر يدافـع عـن الحجـاب ولكنهـا اعتبـارات سياسـية فالقـصر كان يتوهـم أن هـذه الدعـوة إلى تحريـر المـرأة مدعومـة مـن نـازلي فاضـل أو هـي وجهـة نظـر نـازلي فاضـل، حيـث كانـت نـازلي في ذلـك الوقـت لهـا خلافـات مـع الأسرة الحاكمـة.

وممـن انحـاز لدعـوة قاسـم كان (سـعد زغلـول وأخيـه فتحـى زغلـول، وأحمـد لطفـي السـيد) لكـن مـن أبـرز المعارضـات لقاسـم أمـين في ذلـك الوقـت كانـت معارضـة الزعيـم (مصطفـى كامـل) الـذي كتـب عـدة مقـالات صحفيـة في صحيفـة اللـواء ومجلـة اللـواء؛ وكان يـرى أن أفـكار قاسـم أمـين لا تتسـق مـع المجتمـع ولا تتسـق مـع تعاليـم الديـن الحنيـف ولذلـك كانـت لـه مقـالات هاجـم فيهـا فكـر قاسـم أمـين.

وموقــف رجــال الديــن مــن أمثــال الشــيخ عــلى يوســف (أحــد رواد الصحافــة الإســلامية)، والشـيخ محمـد عبـده مـن حيـث تقبلهـم لقضيـة تحريـر المـرأة ودعمهـم لقاسـم أمـين لدرجـة أن الشـيخ عـلى يوسـف يـرى أن هـذا الكتـاب سـيكون مصـدر تغـير كبـير نأمـل أن يترتـب عليـه تغـير أعظـم في أخلاقهـم؛ ويؤكـد أن القضيـة اجتماعيـة بالدرجـة الأولى تتعلـق بالسـماح للمـرأة بالتعليـم والعمـل والمشـاركة في الحيـاة العامـة، ومـا يتطلبـه ذلـك مـن التخـلي عـن التبرقـع طالمـا أنـه عـادة ارتبطـت بفئـات معينـة وليـس أمـرًا دينيًـا، فهـو قـد أوضـح مـا يقصـده في كتابـه وغـير مسـؤول عـن الفهـم الخاطـئ لمـا أراده، كـما أن اسـتغلال القضيـة وتوظيفهـا دينيًـا لدعـم مواقـف سياسـية معينـة ليسـت مسـؤلية الرجـل أيضًـا.

وســاندت مجلــة المنــار قاســم أمــين في دعوتــه في عــدد (١٥ مايــو ١٨٩٩) حيــث جــاء فيهــا والــكلام هنــا للشــيخ رشــيد رضــا «إن أكــثر المنتقديــن يســيرون في انتقادهــم عــلى غــير

(١٦٢) قاسم أمين: المرجع نفسه، ص٣٨.

هـدى ويثرثـرون بمـا تمليـه عليهـم خيالاتهـم التـي أثارتهـا عليهـم أهوائهـم وعاداتهـم». ومـن الكتـب التـي تصـدت للـرد عـلى قاسـم أمـين كان كتـاب الاقتصـادي البـارز طلعـت حـرب في كتابـه (فصـل الخطـاب في المـرأة والحجـاب) فقـد كان منصفًـا في رده حيـث تحـدث عـن نقـاط الإتفـاق مـع قاسـم أمـين، وقـال بـضرورة تربيـة المـرأة وأنهـا فعـلًا تحتـاج إلى التعليـم والتربيـة، ولا يمكـن لهـا أن تبقـى بهـذا الشـكل معزولـة عـلى هـذا النحـو لكنـه انتقـد اتجـاه قاسـم أمـين نحـو أوربـا والغـرب، كـما كانـت للأسـتاذ محمـد فريـد وجـدي سلسـلة مقـالات في صحيفـة اللـواء ناطقـة بلسـان الحـزب الوطنـى القديـم، وصحيفـة المؤيـد للشـيخ عـلى يوسـف، أمـا الأزهـر فقـد غـاب دوره ولم يكـن لـه موقـف محـدد مـن كتـاب قاسـم أمـين عـن تحريـر المـرأة وكانـت الـردود عـلى الكتـاب تتـم بشـكل فـردي مـن قبـل بعـض الشـيوخ، وليـس ببيـان باسـم الأزهـر، فقـد لـزم الأزهـر الصمـت قـد تكـون رغبـة في تهدئـة الموقـف بتجاهـل الحديـث فيـه، أيًّـا مـا كان الأمـر فقـد كانـت هنـاك نقـاط التقـاء بـين قاسـم أمـين وبـين معارضيـه، وهـي الإتفـاق عـلى أن المـرأة لابـد أن يتـاح لهـا حـق التعليـم حيـث كان التعليـم قـاصرًا عـلى الأغنيـاء فقـط ولم يكـن للمـرأة الحـق الكامـل في التعليـم والتفكـير وغـيره، فالرجـل نـادى بأفـكار إتفـق في بعضهـا المعارضـين والمؤيديـن.

في هـذه الفـترة التـي انطلقـت فيهـا دعـوات تعليـم المـرأة كانـت المـرأة تعـاني وضعًـا متدنيًـا مقارنـة بالرجـل. ولاقـت هـذه الدعـوات قبـولًا لـدى أبنـاء الطبقـات العليـا وهـذه الطبقـات هـي مـن فتحـت البـاب لتعليـم بناتهـا، ومنهـا انطلقـت الحـركات النسـوية الأولى، إضافـة إلى نسـاء الطبقـة الوسـطى التـي ظهـرت مـع تقـدم عمليـة التحديـث في مـصر.(١٦٣)

لقـد كانـت سـمة تلـك النسـاء، تعرفهن على ثقافة الغـرب، واتقانهن للغة الفرنسـية على وجـه الخصوص، واحتـك معظمهـن بنسـاء أوربيـات، وشـاركت النسـاء في هـذه المرحلة في الحـراك الفكري والسـياسي الـذي يدور مـن خـلال الصحـف والنـدوات والدعـوات، والتـي تناقـش مسـألة الهويـة، والقوميـة والتقـدم، وبـرزت نسـاء مصريـات في هـذا الشـأن ومنهـم (هـدى شـعراوي، ونبوية مـوسى)، وغيرهـم، الذين شـاركوا في الحياة السياسـية

(١٦٣)مارجـو بـدران, رائـدات الحركـة النسـوية المصريـة والاسـلام والوطـن, ترجمـة عـلى بـدران، القاهـرة المجلـس الأعـلى للثقافـة, ٢٠٠١, ص٤٠.

وأسسـوا الإتحـادات النسـائية، وشـاركوا في الحـراك الوطنـى ضـد الإحتـلال البريطـاني. وكانـت حركة النسـاء هـذه غـير بعيـدة عـن الحـراك الاجتماعـي والثقـافي الـذي يدعـو إلى تحريـر المـرأة مـن القيـود والعـادات التـي تبقيهـا أسـيرة التخلـف والبيـت.[١٦٤]

وفي هـذه الفـترة وكـرد فعـل لتلـك الدعـوات لتحـرر المـرأة وحقهـا في التعليـم والعمـل والمشـاركة في الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية، اسـتجابت كثـير مـن النسـاء وخاصـة نسـاء الطبقـة العليـا والوسـطى وبـدأن في عقـد مناقشـات في الصالونـات الأدبيـة النسـائية الناشـئة حـول الممارسـات التـي تمثـل قهـرًا للمـرأة ومنهـا تعـدد الزوجـات والطـلاق والتبرقـع، وقـد هاجمـت نسـاء الطبقـة العليـا الـلاتي حصلـن عـلى قسـط مـن التعليـم الغـربي "النقـاب" معلـلات هجومهـن بـأن "المـرأة المنتقبـة يمكنهـا ممارسـة الأفعـال غـير المقبولـة متخفيـة في النقـاب، بينـما أعـمال المـرأة الأوروبيـة كانـت مرئيـة، لذلـك فـإن سـلوكهن كان أفضـل، وعـلى أثـر تلـك الدعـوات والمناقشـات حـول تحـرر المـرأة مـن النقـاب بـدأت بالفعـل كثـير مـن نسـاء الطبقـة العليـا التخـلي عـن التبرقـع.

ثانيًا:-وضع النقاب في القرن العشرين:-

لقـد اسـتمرت الدعـوات لتحريـر المـرأة مـن الجهـل وخروجهـا مـن عزلتهـا ومشـاركتها في الحيـاة العامـة وضرورة حصولهـا عـلى حقوقهـا ومسـاواتها بالرجـل في التعليـم والعمـل والنضـال ضـد الإحتـلال والمسـاهمة في بنـاء الأمـم وصناعـة نهضتهـا، وتبنـى هـذه الدعـوات المثقفـين مـن الرجـال والنسـاء الذيـن احتكـوا بالثقافـة الغربيـة ورأوا عـن قـرب الأدوار التـي يمكـن أن تقـوم بهـا المـرأة في المجتمـع، وتنوعـت هـذه الدعـوات مـا بـين المقـالات الصحفيـة والكتـب والحـوارات والمناقشـات في الصالونـات الثقافيـة، وكانـت أهـم هـذه القضايـا موضـع النقـاش هـي تحريـر المـرأة مـن التبرقـع لأنـه يعوقهـا عـن ممارسـة باقـي حقوقهـا مـن التعليـم والعمـل، واسـتمر الوضـع في مناقشـة هـذه القضيـة حتـى تراجـع إرتـداء النقـاب في مـصر، ويـكاد يكـون إختفـى تمامًـا بحلـول أواخـر الثلاثينات.

---

(١٦٤) بثينة شعبان, المرأة العربية في القرن العشرين: دمشق، دار مدى للثقافة والنشر, ٢٠٠٠, ص٧٤,٧٥.

وخـلال النصـف الأول مـن القـرن العشريـن كانـت هنـاك العديـد مـن التحـولات والأفـكار العالميـة المتناقضـة، خاصـة مـا بـين الحربـين العالميتـين فـكان لتلـك التحـولات إنعكاسـاتها عـلى المجتمعـات العربيـة التـي تعرضـت لسلسـة مـن الإعتـداءات الإسـتعمارية، فظهـرت حـركات يسـارية تصـارع مـن أجـل نـشر أفـكار تدعـو إلى محاربـة الإسـتعمار، وبنـاء أنظمـة إشـتراكية تتوفـر فيهـا العدالـة الإجتماعيـة، إلا أن هـذه الدعـوات لم تلـق قبـولًا في مجتمعـات تقليديـة لا زالـت تتمسـك بعـادات تتناقـض مـع المفاهيـم الإشـتراكية، خصوصًـا مـا يتعلـق بالنظـرة إلى الديـن والمـرأة، فـرأت في تلـك الدعـوات دعـوة إلى الإنحـلال الأخلاقـي، وفي المقابـل فـإن الحـركات الإسـلامية لم تسـتطع هـي أيضًـا أن تقـدم مـا يقنـع الشـعوب بقدرتهـا عـلى بنـاء خلافـة إسـلامية تعيـد للأمـة نهضتهـا وحريتهـا، بـل جعلـت محاربـة دعـوات تحـرر المـرأة التـي يطلقهـا نخبـة مـن المتغربـين عنوانًـا لصراعهـا ضـد الغـرب، وقيمـه وإنحلالـه، الأمـر الـذي أثـر سـلبًا عـلى المـرأة فقـد ترافقـت دعـوات التخلـص مـن الإسـتعمار مـع دعـوات حجـب المـرأة والتزامهـا بيتهـا.[١٦٥]

وشـهدت خمسـينات القـرن العشريـن حـركات سياسـية صاعـدة تدعـو إلى مشـاركة المـرأة وتفعيـل دورهـا، وقـد جـاء صعـود هـذه الحـركات والقـوى والأحـزاب، بعـد هزيمـة العـرب في عـام ١٩٤٨، وتأسـيس كيـان الإحتـلال الصهيـونى في فلسـطين، بحيـث كانـت هـذه الهزيمـة دليـلًا عـلى فشـل الأنظمـة العربيـة، مـما دفـع الأحـزاب القوميـة واليسـارية إلى بنـاء تحالـف مـع دول المنظومـة الإشـتراكية الأمـر الـذي جعـل الـصراع مـع الغـرب الرأسـمالى ومـع الصهيونيـة، يصبـح عنوانًـا لمرحلـة تاريخيـة كاملـة امتـدت طويلًا.[١٦٦]

في الوقـــت ذاتـــه عملـــت الجماعـــات الإســـلامية السياســـية التـــي تســـعى إلى الوصـــول إلى الحكـــم طـــوال عقـــود عـــلى تعزيـــز صـــورة المـــرأة المســـلمة الملتزمـــة، وذلـــك مـــن خـــلال وســـائل تمكنـــت منهـــا، مثـــل المســـاجد والكتـــب التعليميـــة، والأنديـــة والجمعيـــات الخيريـــة، الأمـــر الـــذى مهـــد لإعـــادة انتشـــار الحجـــاب مـــرة أخـــرى، وقـــد تـــم الاســـتفادة مـــن الأفـــكار

(١٦٥)فـرج ريتـا, المـرأة في الإسـلام الحـركي. النسـوية الإسـلامية مجموعـة باحثـين. دبي مركـز المسـبار للدراسـات والبحـوث, ٢٠١٢, ص٦٩.

(١٦٦)الحجـاب في التاريـخ الإسـلامى المبكـر وعلاقتـه بالصـورة النمطيـة المعـاصرة للمـرأة المسـلمة, بكـر يوسـف زعـرور وآخريـن, مرجـع سـابق, ص٦٧.

السائدة حول المرأة، ووضعت القوى السياسية الإسلامية الثقافة الغربية في مقدمة استهدافها، فاتخذت من الحجاب رمزًا وعلامة سياسية وثقافية في مواجهة الغرب المستعمر الذى يسعى إلى تدمير القيم الإسلامية، وأصبح الحجاب رمزًا مقدسًا بصفته حامي عفة المرأة والحائط الصد أمام الإنحلال، في نفس الوقت صارت المرأة غير المحجبة رمزًا لنجاح المستعمر في إفساد الهوية، فصعدت عدد من الحركات الإسلامية التي تشكلت من المصريين الذين أصبحوا غير راضين عن النظام العلماني للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وحركته القومية العربية وكرد فعل على خسارة مصر الكارثية ضد إسرائيل في حرب ١٩٦٧، وفشل العلمانية التي سادت النصف الأول من القرن العشرين فكانت هناك دعوة للعودة إلى الهوية الإسلامية في مصر.

وحيث أن فترة حكم الرئيس جمال عبدالناصر كان هناك تضييق للخناق على جماعات الإسلام السياسي، ومنعهم من الظهور واعتقال النشطين منهم فقد تنفست هذه الجماعات الصعداء بعد وفاة ناصر في عام ١٩٧٠، وتولى الرئيس أنور السادات دفة الحكم حيث واجه تحديًا سياسيًا كبيرًا لمشروعية نظامه من المعارضة الناصرية واليسارية، فكان ملجأه الرئيس هو الدين، من خلال توظيف جماعات الاسلام السياسي في مواجهة هذه المعارضة.[(١٦٧)]

واتجه الرئيس السادات إلى التصالح مع جماعات الإسلام السياسي، والإفراج تدريجيًا عن المعتقلين منهم، ولم يعيق إستيلاء ممثلى الإسلام السياسي على اتحادات طلاب الجامعات، حيث زادت شعبيتهم في بعض الجامعات مثل جامعة القاهرة، وبدأت الجماعة الإسلامية في ممارسة نشاطها في الحرم الجامعي من حيث عمل نوادي مخصصة للأنشطة الدينية لمواجهة النوادي الترفيهية والاجتماعية، والمساعدة العملية في المشاكل التي قد تواجه الطلاب، كما قاموا بفصل الذكور عن الإناث في قاعات المحاضرات عن طريق وضع مقاعد منفصلة في الصف.

---

(١٦٧)بهي الدين حسن: خلف الحجاب دولة دينية على جثة الإخوان المسلمين, الناشر حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, مجلد ٢٣, عدد ٢٥٧, غير محكمة, ٢٠٠٧ ص٢١.

http:// search Mandumah.com/Record/357068.

ولم يقتصر دور المؤسسة الدينية على الجامعات، وإنما شمل كل أشكال التعبير السياسي والتنظيمي المستقل من أحزاب سياسية ونقابات مهنية وعمالية وجمعيات أهلية ومنابر إعلام، لتصير تدريجيًّا المؤسسة الدينية (إسلامية، ومسيحية) بداية بخليتها الأولى المسجد والكنيسة، المنبر الوحيد للتعبير عن الهموم السياسية وأكبر معمل لخلق توليفة الدين والسياسة.(١٦٨)

وقد أطلق على أولئك الذين انضموا إلى الحركة السياسية الإسلامية اسم "متدينين"، والذي استخدم للإشارة إلى النساء والرجال الذين تبنوا مظهرًا جديدًا مختلفًا عن القاعدة العظمي للمصريين في المناطق الحضرية، وتصرفوا بشكل متحفظ في الأماكن العامة وبينما كان الجلباب واللحى الطويلة رمزًا لمُمثلى الإسلام السياسي الذكور الحازمين في الحرم الجامعي، كان لباس المرأة ممثلًا في الحجاب والخمار والنقاب الرمز الأكثر وضوحًا للحركة السياسية الإسلامية.

وكان لكل ذلك تأثيره فبدأت النساء اللواتي لم تتحجب أمهاتهن في خمسينات وستينات القرن العشرين بارتداء أشكال مختلفة من غطاء الرأس مثل الحجاب والخمار، وهو غطاء الرأس الذي يغطي الشعر ويسقط على الصدر والظهر وأضاف البعض النقاب، واستزادت بعضهن ارتداء قفازات وجوارب سوداء لتغطية اليدين والقدمين وذلك منذ منتصف السبعينات، وساعد على تفاقم الظاهرة وانتشارها سياسة الإنفتاح الاقتصادي التى اتبعها الرئيس السادات والتي كما ساعدت على فتح أبواب السوق المصرية على مصراعيها أمام الإستثمارات الأجنبية ساعدت كذلك على زيادة تيارات الهجرة من مصر إلى الدول النفطية دول الخليج العربي وخاصة المملكة العربية السعودية، وما ترتب على هذه الهجرة من تأثير ثقافي واجتماعي عاد به المهاجرون إلى مجتمعاتهم حتى أننا يمكننا أن نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور أيمن زهري من القول بأن تأثيرات الهجرة الثقافية والاجتماعية والتي نراها واضحة في شكل اللباس سواء لباس الرجال أو النساء أدت إلى خلجنة المجتمع المصرى،

---

(١٦٨) بهي الدين حسن: المرجع نفسه ص ٢١.

فحتى منتصف القرن العشرين كانت علاقة المصريين بالخليج العربي علاقة روحية تقتصر في غالبها على زيارة الأماكن المقدسة وكانت زيارتهم لا تتخطى حدود مكة والمدينة، وإلى جانب الآثار الإقتصادية لهذه الهجرة حيث أنها مصدر رئيسي للعملة الصعبة من خلال تحويلات العاملين في الخليج، فإن لها آثارها الاجتماعية والثقافية التي أدت إلى الإختراق الثقافي، ذلك الإختراق الثقافي والإجتماعي الذي أحدثته هجرة المصريين لدول الخليج لا يمكن اختزاله في ارتداء الجلاليب البيضاء ذات الياقات المنتشاة أو إصطحاب الخادمات السريلانكيات والفلبينيات عند عودة الأسر المصرية لقضاء إجازة الصيف في مصر ولا انتشار قيم المجتمع الاستهلاكي، فهذه التغيرات قد تكون إنعكاسًا غير مباشر للتحولات العالمية حولنا، ولكن اللافت للانتباه هو إلاهتمام بالمظهر دون الجوهر، فتكثر لافتات (مغلق للصلاة) على أبواب المحال التجارية ويكثر معها الغش التجاري، وينتشر الزي الخليجي بين النساء والفتيات، ويكثر معها المخالفات التى تتنافى مع هذا، ويكثر خطباء القنوات الفضائية ومن يتجرؤون على الفتوى، ويقل الإلتزام الأخلاقي، ويكثر الحديث عن العبادات، وتهبط الهمم ولا يُتقن العمل، فالإهتمام بالمظهر دون الجوهر ينحسر معه قيم التسامح والمودة والرحمة والبساطة.(١٦٩)

أي أن المهاجرون لم يحولون فقط الأموال والسلع، وإنما حولوا الأفكار والسلوكيات التي أثرت على مجتمعاتهم، سواء بشكل إيجابي أو سلبي، وتسمى هذه التحويلات (بالتحويلات الاجتماعية) التي «تمثلت في الأفكار والقيم والمعتقدات والسلوكيات والهويات ورأس المال الاجتماعي التي تتدفق من المجتمعات المستقبلة إلى المجتمعات المرسلة.(١٧٠)

وأكثر هذه التأثيرات للهجرة تمثلت في الزي المصري، والممارسات الدينية، فبعد أن كان الثوب النموذجي للذكور المصريين في المناطق الريفية هو الجلابية ذات الأكمام الواسعة والطويلة، بلا ياقة، وألوانها داكنة ومصنوعة من القطن أو الكتان المناسب

(١٦٩)أيمن زهري: دفتر أحوال المجتمع المصري, مطابع الولاء الحديثة, ٢٠٠٦, ص٦٠,٦٢.

(170) Zohry,A. (2020)Round the world in 50 Years: The International Migration of Egyptians 1970-2020. Kindle Edition, Amazon, ASIN: B083RYGP25.p. 92,93.

للطقس الحار والرطب في مصر، بدأ المصريون في استقدام الجلابية الخليجية معهم، الجزء العلوي منها هو تقريبًا نفس القمصان الكلاسيكية الغربية بأكمام ضيقة وياقة، وعادة ما تأتي الجلابية بلون واحد هو اللون الأبيض، وأصبحت الجلابية الخليجية عنصرًا بارزًا في أمتعة المهاجرين العائدين من الخليج لاستخدامهم الخاص وأيضًا كهدية لأفراد العائلة والأقارب والأصدقاء[١٧١]

وكان الدافع الأكثر أهمية للذكور للتحول من الجلابية المصرية التقليدية إلى الجلابية الخليجية هو العلاقة المزعومة بين هذه الجلابية والإسلام، ولأن العديد من المسلمين يرتدون اللون الأبيض عند حضورهم صلاة الجمعة، وبالنظر إلى حقيقة أن هذا الزي يأتي من المملكة العربية السعودية، البلد الذي تقع فيه الأرض المقدسة الإسلامية، اكتسب هذا الثوب المستورد إرثًا دينيًا ليحل محل الجلابية الوطنية[١٧١].

عندما هاجر الذكور المصريون إلى دول الخليج وارتبطوا بالزي الأبيض للذكور الذين رأوه هناك، وجدوا أن النساء في هذه المناطق يرتدين الأسود ومغطين بالكامل، ولأنهم ليس لديهم اتصال قوي بالمجتمع، اعتبر المهاجرون المصريون هذا الزى هو المعيار، وقد ساعد هذا الإتجاه على تخفيف الضغط على الحركات الإسلامية في زمن السادات بعد حظر طويل في عهد ناصر. استبدل رداء البدو الأسود لباس المرأة الريفية التقليدية وامتد ليشمل جميع شرائح المجتمع، ليس فقط لأسباب دينية ولكن في بعض الأحيان لأسباب اقتصادية لأن أردية البدو متشابهة تقريبًا ويمكن ارتداؤها عدة مرات دون الحاجة إلى وجود العديد منها مقارنة إلى الزي الغربي الذي يفترض الحفاظ على مجموعة من الأنماط والألوان المختلفة للمناسبات المختلفة وإظهار مكانة اجتماعية عالية[١٧٢].

هذا وقد جلبت الهجرة العائدة للذكور الذين أمضوا سنوات في المملكة العربية السعودية معهم مدونة صارمة لممارسة الإسلام ممزوجة بالثقافة البدوية القاسية إلى مجتمع زراعي متسامح والنتيجة هي زيادة الممارسة الدينية وقلة التسامح، مبالغة في

(171)Ibid.p,95.

(172(Ibidp. 96.18

التحلي بالمظهر الإسلامي دون أن يُصاحب هذا المظهر ممارسة ووعي حقيقي لروح الإسلام وعقائده، هذه الجرعة المفرطة من السلوك الديني أدت إلى الفتنة الطائفية، ليس فقط بين المسلمين والمسيحيين الذين عاشوا معًا لمئات السنين ولكن أيضًا بين المسلمين أنفسهم، حيث تم تقسيم المسلمين إلى طوائف حسب ممارستهم، وليس معتقداتهم.

الآن، ينقسم المسلمون المصريون إلى السلفي، والصوفي، والسني، والليبراليون والعديد من الطوائف الأخرى. بعد مائتى عام من تأسيس مصر الحديثة كدولة قومية، يبدو أن الخطاب السياسي قد تحول الآن من حقوق المواطنة المتساوية إلى تأسيس دولة دينية[١٧٣].

ومع انتشار هذا النمط من اللباس الخليجى للنساء المتمثل في العباءة السوداء والنقاب الأسود في مصر تعددت دوافع النساء المصريات في ارتدائه؛ فلم تكن دوافعهن جميعًا دينية فبعضهن وجدت فيه سبيلًا لاستكمال تعليمهن في الجامعات خاصة النساء من الطبقة الوسطى والدنيا الذين كانوا جديدين في القاهرة، وشعروا بعدم الإرتياح مع الموضات الغربية، وبعضهن وجدت فيه الراحة والتحلي بالتقوى والنقاء، والتأكيد على القيم الأصلية، ورفض القيم الغربية، والتمرد على إرادة الوالدين الذين يعارضون ارتداء بناتهن للحجاب فضلًا عن النقاب (خاصة النساء من الطبقة العليا اللاتى عاصرن فترات التحرر التي دعا اليها المثقفين من المصريين)، أو لتجنب التحرش من قبل الذكور، بينما اتخذته آخريات وسيلة يتوارين بها أثناء قيامهن بأفعالهن الإنحرافية التي لا توافق دين ولا عرف ما يدل على أن كثيرات منهن لا ترتدينه بوعى حقيقي بما يقتضيه ارتدائه من أن يعكس فهم حقيقى لصحيح الدين والعمل به.

وعلى الرغم من تصالح السادات مع جماعات الإسلام السياسي، والسماح لهم بممارسة أنشطتهم على مستوى الجامعات من خلال الإتحادات الطلابية وعلى

(173) Zohry,A. (2020)Round the world in 50 Years: The International Migration of Egyptians 1970-2020. (op.cit).p.97,98.

المستوى المؤسسى من خلال ممارسة العمل السياسي والجمعيات الأهلية، إلا أن رد فعله ازاء انتشار النقاب بعد زيادة أعداد المهاجرين إلى الدول الخليجية أثارت حفيظة ممثلى الإسلام السياسي، خاصة بعد سخريته في خطابه الأخير عام ١٩٧٩ من العباءة الإسلامية التي ترتديها بعض النساء، والتي وصفها بأنها (خيمة)، كما حظر السادات المنظمات الطلابية الإسلامية وحظر على النساء ارتداء (النقاب) في حرم الجامعات المصرية كرد فعل لسلسة من المظاهرات التى نظمها ممثلي الإسلام السياسي بسبب توقيع السادات معاهدة السلام.

ومع تزايد تيار الإسلام السياسي في الثمانينات والتسعينيات انتهج مبارك، سياسة اللعب مع هذا التيار تحت شعار الديمقراطية والحرية، وفي نفس الوقت دعم مجددين دينيين جدد لخلق حوار مجتمعي يصرف الضغط الديني، ولكن تيار الإسلام السياسي المصري كان أقوى وأكثر تصميمًا على فرض مشروعه، فازدادت القطيعة بين الدولة ذات القانون المدني والجماهير التي اتخذت المظهر الإسلامي بشكل شبه هستيري، فمن حجاب السبعينات إلى نقاب الألفية الثالثة وحدثت تغيرات عميقة للشعب المصري على المستوى العقائدي والطائفي.(١٧٤)

ومع إزدياد أعداد المحجبات في مصر ظهرت الحاجة إلى ملابس محتشمة تتناسب مع الراغبات في إرتداء هذه الازياء في بداية الإتجاه إلى إرتداء الحجاب في أوائل الثمانينات من القرن العشرين واجهت النساء الراغبات في إرتداء هذه الازياء مشكلة كبيرة في الحصول على الملابس التي تتناسب مع قناعاتهن الدينية حيث كانت غالبية المحال تعرض الملابس العصرية ذات الذوق الغربي وكانت النساء الراغبات في إرتداء الحجاب يلجأن في معظم الأحوال إلى تفصيل الملابس عند محال الحياكة حتى اتجه البعض إلى الدخول في هذه التجارة الرائجة بوازع ديني أو تجاري أو ربما الإثنين معًا، وتم إفتتاح أول مركز تجاري متخصص في بيع ملابس المحجبات بالقاهرة في ضاحية مصر الجديدة، أما في الإسكندرية فقد تم إفتتاح محل شهير لبيع ملابس

---

(١٧٤) هيثم عبد المولى طالب: السلطة,الجيش والدين ثالوث مصر الخالد. ٢٠١٤.

https//:arabic.cnn.com

المحجبات في منطقة محطة الرمل، ولما زاد الطلب على الملابس المحتشمة قام صاحب هذه الشركة بإفتتاح فرع آخر لشركته بالقاهرة الكبرى بمنطقة الهرم، وقد ظلت هذه المحال مقصدًا للعديد من النساء والفتيات الراغبات في إرتداء هذا النوع من الملابس حتى منتصف التسعينات من القرن العشرين عندما اشتد الطلب على هذا النوع من الملابس فتنبهت مصانع الملابس الجاهزة لهذا الطلب وأغرقت السوق بكميات هائلة من الملابس النسائية التى تتناسب مع الطلب على ملابس المحجبات مما أفقد المحال التقليدية الرائدة التى تخصصت في بيع هذا النوع من الملابس مكانتها، وفقدت عبارة (محلات لملابس المجبات) معناها بعد أن أصبحت هذه الملابس معروضة في غالبية المحال التي تبيع الملابس الجاهزة لدرجة أن غير المحجبات ربما يواجهن مشكلة في البحث عن ملابس مناسبة لأذواقهن[١٧٥].

وعلى الرغم من أن السروال كان مرفوضًا لدى المحجبات بإعتبار أنه لا يليق بالمحجبة أن ترتدي السروال، إلا أن بعض رجال الدين قد أجازوا إرتداء السروال على أن يكون فضفاضًا لا يصف ولا يشف فتحولت غالبية النساء إلى إرتداء السروال الفضفاض بديلًا عن التنورة، حتى أن بعض المنتقبات أصبحن يرتدينه، ثم شيئًا فشيئًا بدأ السروال يضيق حتى انتهي في كثير من الأحيان إلى سروال ضيق من القطن الخشن (بنطلون جينز) لا يشف ولكن يصف! ثم شيئًا فشيئًا تحول القميص الفضفاض إلى (فانلة تي شيرت) ثم إلى (بودي) يصف وفي بعض الأحيان يصف ويشف! ولكن يبقى غطاء الشعر، وغطاء الشعر أو الطرحة هو الرمز وهو ما تبقى من الحجاب في أيامنا. [١٧٦]

فأصبحت المحجبة ترتدي ما يروق لها من الثياب وتضع ما تريد من المساحيق المهم أن تحافظ على غطاء رأسها، فخرج الحجاب عن مضمونه وأصبح مجرد سلوك تمارسه المرأة دون فهم لما ينبغي أن تكون عليه من وعي يتناسب مع ما تقوم به من سلوك، ونظرًا لغياب ذلك الوعي أصبحت الممارسة في جانب والفهم والوعي في جانب

---

(١٧٥) أيمن زهري: دفتر أحوال المجتمع المصري, مرجع سابق, ص٨٠,٨١.

(١٧٦) أيمن زهري: دفتر احوال المجتمع المصري, مرجع سابق, ص٨١.

آخر، فبعد أن كانت لا ترتدي الحجاب وتحديدًا النقاب إلا المتدينة الورعة النقية التي ترتديه تقربًا إلى الله، أصبح يتم ارتداء لأغراض أخرى فأصبحنا نرى المنتقبة التي تسرق، والمنتقبة التي تغش في الإمتحان، والمنتقبة التي ترتكب الفواحش، والمنتقبة التي ترتديه إتباعًا لصيحات الموضة ما يؤكد على غياب الوعي لدى فئة كبيرة منهن لما ينبغي أن يكون عليه المنتقبات من وعي بأصول الدين وتعليماته والعمل به وليس فقط الإكتفاء بالمظهر الخارجي دون أن يصاحب هذا المظهر وعي يوافقه.

ثالثًا:-وضع النقاب في الآلفية الثالثة:-

مع دخول الألفية الثالثة ظهرت في مصر طفرة في تنوع أشكال الحجاب، وأصبح هناك المنتقبات، ومرتديات الخمار، ومُفضِّلات الحجاب العادي، إلى جانب الحجاب الجديد المستطيل الذي صارت له أشكال لف متعددة ومتنوعة، وتعددت أيضًا طرق لف الطرحة لدى المرأة المصرية، وكثُر استيراد طرق أخرى من الدول العربية، خاصة الخليج، وتبارى مصممو الأزياء في ابتكار طرق جديدة للف الطرحة، حتى إنه لم تعد هناك سمة محددة لشكل الحجاب تتميز بها المرأة المصرية.(١٧٧)

واستمر النقاب في الإنتشار وكلما انتشر النقاب زادت الصدامات بين الدولة وبين المنتقبات ما بين المنع من دخول الحرم الجامعي، إلى المنع من دخول الإمتحانات بالنقاب، إلى المنع من دخول النوادي والفنادق خاصة التابعة للقوات المسلحة، حتى أن المؤسسة الدينية الرسمية الأزهر الشريف اصطدمت بالمنتقبات في عهد فضيلة الإمام الأكبر (محمد سيد طنطاوى) شيخ الأزهر عندما كان في زيارة لأحد المعاهد الأزهرية،ووجد طالبة في عمر الإثنى عشر عامًا مرتدية للنقاب فما كان منه بعد نقاشه معها إلا أن أصدر قرارًا بمنع ارتداء النقاب في المعاهد الأزهرية سواء للطالبات او المعلمات، واستند بعض رؤساء الجامعات لهذا القرار وأصدروا قرارات ممثالة بمنع دخول المنتقبات الإمتحانات بالنقاب بحجة أن النقاب يُخفى هوية من ترتديه، ويساعد

---

(١٧٧) أماني عبد الغني: حجاب المرأة: من البرقع إلى «التوربان»: عبدالناصر لقن الإخوان درسًا حين طلبوا منه فرضه على جميع المصريات السبت ٢٣-٠٢-٢٠١٩

https//:www.almasryalyoum.com

على الغش وظلت العلاقات بين شد وجذب بين الدولة وبين المنتقبات باعتبارهن يمثلن تيار الإسلام السياسي داخل المجتمع، إلى أن قامت أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١ وإنحاز الجيش للشعب وقام بالإطاحة بمبارك وتولى المجلس العسكري حكم البلاد في الفترة الإنتقالية.

وشهدت الفترة الانتقالية صراعات عديدة حول مدنية الدولة ودينيتها ونقاشات ومصادمات طائفية عديدة، وأفضت الإنتخابات إلى فوز تيار الإسلام السياسي للانتخابات التشريعية ووصول الرئيس الممثل لهذا التيار إلى السلطة لأول مرة، فانعكس ذلك في زيادة عدد المنتقبات وانتشار النقاب بكثرة من جديد بشكل يفوق كل أشكال الحجاب الأخرى على الرغم من أن الفصيل الذي صعد لسدة الحكم (الإخوان المسلمين) لا يلتزمون بالنقاب، ولم يدم حكم هذا التيار الممثل للإسلام السياسي أكثر من عام، حيث ساءت أحوال الحكم وتدهور الوضع الاقتصادي وتزايدت الاحتجاجات، لتنتهي الحالة بعزله من قبل الشعب والجيش، وعاد الوضع للصدام من جديد بالمنتقبات وانطلقت الدعوات التى تنادي بمنع النقاب وحظر ارتدائه في كافة المؤسسات التعليمية ومؤسسات العمل وبالفعل تم إستصدار عدة قرارات بمنع عضوات هيئة التدريس والموظفات بارتدائه داخل الحرم الجامعي وتم تنفيذ هذه القرارات بالفعل.

وهكذا الأمور تسير في طريقها الذي بدأت به ما بين شد وجذب طالما أن كل فريق من الفرق السياسية المتناحرة يتخذ من أتباعه وسيلته للوجود؛ أولئك الأتباع الذين يسيرون في ركاب أتباعهم بلا وعي ولا فهم، فيلبسون ويخلعون وربما يأكلون ويشربون ويتكلمون ويسكتون وفقًا لآرائهم ويطيعونهم في كل الأمر، ويمارسون كل ما يأمرونهم به ربما بلا براهين ولا أدلة، فبدأت تستشري في المجتمع سلوكيات منحرفة فساد من كل لون لا يشير إلى تدين حقيقي، وإنما يشير إلى ثقافة القطيع الذي يسلك ويمارس ويتبع بلا أدنى محاولة لتقصي الحق والصواب من مصادره الصحيحة والمعلومة للجميع، مما يؤدي إلى نشر الفوضى والدمار الأخلاقي والقيمي تحت ستار من مظهر ديني لا يصاحبه عمل بما يقتضيه ارتدائه، فتحول الشارع المصري إلى

فـوضى وعشـوائية لا يتوافـق فيهـا مظهـر مـع جوهـر ولا وعـي مـع سـلوك، فلبـس الفسـاد زي التقـوى ولبسـت التقـوى زي الفسـاد، فنجـد الشـارع المـصرى يمتلـئ بـكل ألـوان الحجـاب والنقـاب وكل ألـوان الفسـاد وغيـاب الضمائـر أيضًـا، مـما يؤكـد أن الـزي وحـده لا يصنـع أخلاقًـا ولا سـترًا ولا عفـة، إنمـا لابـد أن يسـبقه وعـي وعمـل وضمـير أخلاقـي مجتمعـي وإلتـزام دينـي حقيقـي حتـى يتوافـق ظاهـر الأمـر وباطنـه.

استخلاصات

١. تعـد قضيـة لبـاس المـرأة قضيـة اجتماعيـة بالأسـاس ترتبـط بالعـادات والتقاليـد والأعـراف أكـثر مـن ارتباطهـا بالديـن، فخـلال فـترات الحكـم السـابقة عـلى الحكـم العثـماني كانـت تميـل المـرأة إلى الملبـس غـير المحتشـم، ومـع دخـول الحكـم العثـماني عـادت المـرأة للاحتشـام وارتـدت البرقـع الـذي يغطـي معظـم الوجـه.

٢. لقـد ظلـت هـذه النظـرة الدونيـة للمـرأة وإقصائهـا مـن الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية حتـى مطلـع القـرن العشريـن، وكان لبسـها للبرقـع وحجبهـا في الحرملـك تقليـدًا سـائدًا بـين نسـاء الطبقـات العليـا مسـلمات ومسـيحيات، في الوقـت الـذي كانـت باقـي نسـاء وطبقـات المجتمـع الوسـطى والفقـيرة لا تلتـزم بهـذا التقليـد، وكانـوا يسـيرون في الشـوارع سـافرات الوجـه.

٣. مـع دخـول مـصر عـصر النهضـة عـلى يـد محمـد عـليّ وإرسـاله للبعثـات للخـارج والحديـث عـن ضرورة التنميـة والنهضـة كان لابـد مـن تحريـر المـرأة مـن قيودهـا الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسـية، فظهـرت الدعـوة إلى تعليمهـا وخروجهـا للعمـل وتركهـا للبيـت مـن أجـل المشـاركة في عمليـة التنميـة، ومـن هنـا بـدأت هـذه الدعـوات في الإنتشـار عـلى يـد بعـض رجـال الديـن مثـل رفاعـة الطهطـاوي.

٤. مـــع ظهـــور الدعـــوات بـــضرورة تحريـــر المـــرأة مـــن القيـــود الاجتماعيـــة المفروضـــة عليهـــا حـــاول المتشـــددون ودعـــاة الجمـــود تحويـــل القضيـــة مـــن قضيـــة اجتماعيـــة خالصـــة إلى قضيـــة دينيـــة، وأن دعـــاة تحريـــر المـــرأة يرغبـــون في الإنحـــلال وتقليـــد الـــدول الغربيـــة، وهنـــا كان القـــول الفصـــل لقاســـم أمـــين أنـــه ليـــس ضـــد الحجـــاب

لكنـه ضـد البرقـع (النقـاب) لأنـه يقيـد حركـة المـرأة، وهنـا اضطـر أن يؤكـد أن هنـاك اختـلاف بـين الفقهـاء حـول مـا يجـب كشـفه، وأكـد عـلى أن الأمـر فيـه مرونـة وسـعة، لذلـك هـو مـع اللبـاس المحتشـم الـذي لا يقيـد المـرأة عـن الخـروج والمشـاركة في تنميـة المجتمـع.

٥. هنـاك إلتبـاس كبـير في إسـتخدام المفاهيـم، حيـث يتـم الخلـط في معظـم الكتابات بـين مفهومي الحجـاب والنقـاب، ويحـاول الكثـير مـن أصحـاب فكـرة تأييـد النقـاب أن يطبقـوا نفـس الـكلام عـلى الحجـاب ليظهـروا معارضـوا النقـاب أنهـم معارضـون للحجـاب، وهـذا ليـس صحيـح، فالحديـث عـن البرقـع كـما جـاء في كتابـات قاسـم أمـين هـو حديـث عـن النقـاب وليـس الحجـاب، لذلـك كان في مقدمـة مؤيديـة الإمـام محمـد عبـده.

٦. ومـع أن القضيـة اجتماعيـة بالأسـاس إلا أن الجـدل حـول كتـاب قاسـم أمـين دخـل فيـه بعـض رجـال الديـن وبعـض السياسـيين، وهـو مـا أدخـل عـلى القضيـة أبعـادًا أخـرى دينيـة وسياسـية إلى جانـب البعـد الاجتماعـي، وخـلال هـذه الأثنـاء لم يتدخـل الأزهـر، وهـو مـا يؤكـد أن القضيـة ليسـت دينيـة بـأي حـال مـن الأحـوال.

٧. مـع اسـتمرار الدعـوات لتحريـر المـرأة مـن الجهـل وخروجهـا مـن عزلتهـا والنـداء بمشـاركتها في الحيـاة العامـة تراجـع ارتـداء النقـاب والبرقـع في مـصر، وكاد يختفـي تمامًـا بحلـول أواخـر الثلاثينيـات مـن القـرن العشريـن.

٨. قامـت جماعـات الإسـلام السـياسي باسـتهداف النظـام السـياسي ومحاولـة إتهامـه بمعـاداة الديـن، وفي سـبيل تحقيـق أهدافهـم الخبيثـة لتشـويه صـورة النظـام السـياسي اسـتخدموا ورقـة الحجـاب والتـي لم يعـترض عليهـا النظـام السـياسي يومًـا، لكـن الإعـتراض جـاء لاحقًـا عـلى النقاب الـذي يخفـي معـالم المـرأة، وكان الإعـتراض عليـه بسـبب انتشـار الكثـير مـن الجرائـم تخفيًـا وراءه، لكـن جماعـات الإسـلام السـياسي اسـتغلت الموقـف وصـدرت للـرأى العـام أن النظـام السـياسي يحـارب الديـن عـبر منـع النقـاب في المـدارس والجامعـات والمصالـح والمؤسسـات

الحكومية، وبذلك قامت هذه الجماعات بتوظيف القضية سياسيًّا ودينيًّا رغم أنها قضية اجتماعية بالأساس.

٩. ظل الجدل دائر بين النظام السياسي والجماعات الإسلامية السياسية حول قضية النقاب إلى أن وصلت هذه الجماعات لشدة الحكم بعد ٢٥ يناير، وهو ما أدى إلى تفشي وانتشار ملحوظ لمرتدي النقاب في المجتمع المصري، وبعد ٣٠ يونيو عاد الجدل من جديد والإتهامات من قبل الجماعات السياسية الإسلامية للنظام السياسي بمعاداة الدين على خلفية محاولة منع النقاب في مؤسسات الدولة.

١٠. وعبر هذا الجدل الدائر جاءت الدراسة الراهنة حيث يرى فريق البحث أن: جماعات الإسلام السياسي تقدم قضية النقاب على أنها قضية دينية، وهذا من حيث الشكل صحيح، لكنه يتبعه فرض يقول أن المنتقبة يجب أن تكون أكثر وعيًّا دينيًّا من غير المنتقبة، لذلك جاءت هذه الدراسة للتحقق من هذا الفرض العلمي، فإذا ثبت صحة الفرض وكانت المنتقبات أكثر وعيًّا دينيًّا فهذا يعني أن القضية دينية، أما إذا ثبت أن المنتقبات أقل وعيًّا أو وعيهم الديني زائف وليس حقيقي، فهذا يعني أن هذه الجماعات تستخدم هذه القضية وتوظفها بشكل سياسي للنيل من النظام السياسي واتهامه زورًا وبهتانًا بأنه يحارب الدين.

***

الفصل الخامس
التأثيرات المجتمعية للنقاب

مقدمة:

نحاول من خلال هذا الفصل طرح عدد من التأثيرات المجتمعية للنقاب ليتجلى أمام القارئ المشهد بشكل أكثر وضوحًا، فكما اتضح من خلال التطور التاريخي للظاهرة أنها قد بدأت اجتماعية وليست دينية، وعبر مسار تطورها استطاعت الجماعات السياسية الإسلامية تحويل حركتها من ظاهرة اجتماعية إلى ظاهرة دينية، لكن هذا التحول ظل وهميًا يعتمد على تزييف وعي الرأي العام بحقيقة ظاهرة، وهذا الوعي لا يمكن كشفه إلا من خلال دراسة متعمقة للوعي الديني للمنتقبات، لكي نتأكد أن الظاهرة مازالت اجتماعية، وأن الاستخدام الديني لها هو توظيف سياسي في الصراع على السلطة من قبل الجماعات السياسية الإسلامية، وتعد دراسة ورصد التأثيرات السياسية والدينية والأمنية وسيلة لكشف بعض المسكوت عنه أثناء معالجة الظاهرة، وهو ما سيتم مناقشته بشكل تفصيلي من خلال الصفحات التالية.

أولًا: التأثيرات السياسية: [١٧٨]-

بعد انقضاء العصور المظلمة في أوروبا وانتهاء سيطرة الكنيسة على نظم المجتمعات وبداية عصر النهضة والتخلص من الأفكار الكهنوتية التي تسببت في تخلف البشرية وحتى بداية القرن العشرين كانت السياسة بعيدة عن الدين بشكل واضح في الدول الغربية التي تقدمت كثيرًا، بينما ظلت الدول الإسلامية العربية تعيش تحت سيطرة الحكم الديني بشكل مباشر أو غير مباشر في ظل الخلافة العثمانية، آخر دول الخلافة الإسلامية، والتي تسببت في إنحدار الحضارة الإسلامية التي أنارت العالم

---

(١٧٨) تم الإعتماد في كتابة هذا الجزء على:

- محمد عبد المنعم كامل، أميرة العربي، جذور الإرهاب وآليات المواجهة، أطلس للنشر، القاهرة، ٢٠١٨.
- علي عشماوي، التاريخ السري للإخوان المسلمين، مركز إبن خلدون، المقطم، القاهرة، ٢٠٠٦.
- محمود محمد عبد الحليم: الإخوان المسلمين: أحداث صنعت التاريخ, الإسكندرية, ١٩٧٨.

كلـه وأخـذ منهـا الغـرب كل مبـادئ العلـم الحديـث في الطـب والفلـك والرياضيـات وكافـة العلـوم ثـم عانـت مـن الخلافـات والحـروب الداخليـة، وتشرذمـت إلى جماعـات وطوائـف تتقاتـل مـن أجـل زعامـة زائفـة أدت إلى تأخرهـا، بينـما انطلـق الغـرب إلى آفـاق التقـدم العلمـي والصناعـي، واسـتغلت عوامـل الإختـلاف بـين دويـلات الخلافـة ليفتتهـا، ويسـاعد بعضهـا ضـد البعـض الآخـر، ولم تعـد للخلافـة الإسـلامية قيـادة ذات تأثـير عـلى دويلاتهـا وتفككـت وتكالبـت عليهـا دول أوروبـا بجيوشـها، وقسـمتها إلى دويـلات جديـدة.

وبـدأ الإسـلام في هـذه الـدول يتخـذ شـكلًا جديـدًا، وأصبـح التديـن مجـرد مظاهـر فقـط، فلـم يعـد المسـلم هـو المثـل المحتـذى بـه في الأخـلاق والمعامـلات، بـل أصبـح هـو مـن يطلـق لحيتـه، ويقـصر جلبابـه، ويقيـم حلقـات الذكـر، ولكنـه لا يتعامـل بمـا أمـره بـه الديـن، لذلـك تدنـت الأخـلاق، فأصبـح الديـن ظاهريًّـا وشـكليًّا فقـط، وللأسـف كان ذلـك هـو الخيـط الـذي فطنـت لـه الـدول الأوروبيـة لتسـيطر عـلى الـدول العربيـة الإسـلامية، فشـجعت هـذا التوجـه ووفـرت سـبل أداء الشـعائر، واسـتغلت ذلـك في توجيـه سياسـات هـذه الـدول نحـو مـا يحقـق مصالحهـا وأهدافهـا المسـتترة والتـي تتمثـل في الإسـتيلاء عـلى مواردهـا الطبيعيـة وخيراتهـا لتدعيـم اقتصـاد الغـرب المسـتعمر، لـكي تسـتولى عـلى المـواد الخـام، وتغـذى صناعاتهـا، ثـم تصدرهـا مـرة أخـرى إلى هـذه الـدول، وبالفعـل حولتهـا إلى مسـتهلك ينتظـر مـا تجـود بـه الـدول الغربيـة عليـه.

وبالفعـل بـدأت أوروبـا وفى مقدمتهـا بريطانيـا تسـتغل هـذا التخبـط الدينـي بـين الطوائـف والجماعـات التـي تدعـى أنهـا ترعـى الديـن الإسـلامي وتطبقـه، ولكنهـا تخـرج رويـدًا رويـدًا مـن تحـت عبـاءة الأزهـر الشريـف وهـو المرجعيـة الأساسـية والوحيـدة للمسـلمين وكان شـيخ الأزهـر هـو الإمـام الأكـبر الـذي يتبـوأ الموقـع الأعـلى بـين علـماء المسـلمين، وفى هـذه المحنـة ظهـرت جماعـة دعويـة تدعـى (الأخـوان المسـلمون) تحـت قيـادة رجـل ليـس مـن علـماء الديـن ولا يعلـم أحـد عـلى وجـه اليقـين مـن أيـن أتى هـذا الرجـل؟، ولا كيـف أتى؟، ولكنـه يملـك مـن حسـن البيـان مـا جعـل البسـطاء مـن الشـعب المـصري يلتفـون حولـه، ويسـتمعون إلى تعاليمـه، وكـثر عـدد مريديـه وكـبرت الجماعـة، وسـاعدها في ذلـك التديـن الفطـري عنـد المصريـين، فهـم أول مـن بحـث عـن الإلـه منـذ

عصور قديمة، وانتشرت الجماعة في ربوع مصر، بل امتدت إلى دول خارج مصر وكأنها جاءت لتدعوا إلى دين جديد، لأنها كانت تغلف دعوتها الدينية في إطار تعاليم رئيس هذه الجماعة، والذي أطلق على نفسه (المرشد العام) حتى لا يصطدم برجال الأزهر إذا لقب نفسه بالإمام، و الغريب أن أعضاء الجماعة يتبعون تعاليم (المرشد العام) ربما أكثر مما يتبعون ما أنزله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الشريفة !!! ولا أدل على ذلك أكثر من أن أحد أعضائها كان يردد « اللهم أمتني على دين الإخوان !!» وكأن الله سبحانه وتعالى قد اختصهم وحدهم بالإسلام.

وبعد سنوات عديدة حافلة بأحداث جسام في تاريخ هذه الجماعة تتكشف الحقائق بأن بريطانيا هي من خلقت هذه الجماعة عن طريق أجهزتها المخابراتية، وأمدتها بالمال، واستغلت أعضاءها في أعمال التجسس والتخابر والتآمر والإرهاب، كما تردد أيضًا أن هذا الرجل الذي ينسب إليه تأسيس الجماعة (حسن البنا) ترجع أصوله إلى أسرة مغربية يهودية الديانة !

وتؤكد الوثائق المفرج عنها أن الحكومات البريطانية، من العمال والمحافظين على حد سواء في سعيها لتحقيق ما يسمى (المصلحة الوطنية) في الخارج، تواطأت عقودًا طويلة مع القوى الإسلامية المتطرفة، بما في ذلك التنظيمات الإرهابية التي تسترت عليها، وعملت إلى جانبها وأحيانًا دربتها ومولتها، بغية الترويج لأهداف محددة للسياسة الخارجية، وغالبًا ما فعلت الحكومات ذلك في محاولات يائسة للحفاظ على قوة بريطانيا العالمية التي عانت من أوجه ضعف متزايدة في مناطق أساسية من العالم؛ نظرًا لعجزها عن أن تفرض إرادتها من جانب واحد وافتقارها لحلفاء آخرين، ومن ثم فالقصة ترتبط في الصميم بقصة انهيار الإمبراطورية البريطانية ومحاولة الإبقاء على نفوذها في العالم.

وقد أقامت بريطانيا مع بعض القوى الإسلامية المتطرفة تحالفًا استراتيجيًا دائمًا لضمان تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأساسية طويلة الأجل، ودخلت في

زواج مصلحة واتحاد وثيق العرى بصورة مؤقتة مع قوى أخرى منها لتحقيق نتائج محددة قصيرة الأجل، فقد توارد أن بعضًا من أعضاء المنظمات الإرهابية كانوا يعملون عملاء أو مخبرين لبريطانيا أبان انخراطهم في أعمال الإرهاب في الخارج، ومن الجلي أن البعض منهم كانت تحميه أجهزة الأمن البريطانية عندما كان مطلوبًا من قبل حكومات أجنبية، ذلك جزء مهم لكنه صغير فحسب من صورة أكبر كثيرًا تتعلق أساسًا بسياسة بريطانيا الخارجية.

ولا غرو في أن الزعماء البريطانيين لم يدعوا إلى قصف إسلام أباد والرياض بالقنابل أسوة بكابول وبغداد؛ حيث إنه من الواضح أن الحرب على الإرهاب لا تتم بهذا القصد، وإنماهي نزاع مع أعداء حددتهم واشنطن ولندن بصفة خاصة، وقد ترك هذا قدرًا كبيرًا من البنية الأساسية العالمية للإرهاب سليمًا لم يمس؛ مما يثير مزيدًا من الأخطار بالنسبة للعامة في بريطانيا والعالم.

ومن القوى الفاعلة المتأسلمة التي تواطأت معها بريطانيا هي الحركات والمنظمات المتطرفة، ومن بين أكثر هذه الحركات نفوذًا التي تظهر بوضوح هي (جماعة الإخوان المسلمون) التي تأسست في مصر في ١٩٢٨م، وتطورت لشبكة لها تأثيرها على النطاق العالمي، والجماعة الإسلامية التي تأسست في الهند البريطانية في ١٩٤١م، وأصبحت قوة سياسية وأيديولوجية كبرى في باكستان، كما عملت بريطانيا سرًا إلى جانب حركة دار السلام في إندونيسيا، والتي وفرت مرتكزات أيديولوجية مهمة لتطور الإرهاب في هذا البلد، ورغم أن بريطانيًا تعاونت أساسًا مع الحركات السنية في الترويج لسياستها الخارجية، فإنها لم تنفر في بعض أوقات من الحركات الشيعية.

وترجع جذور تعاون بريطانيا مع الإسلام المتطرف إلى سياسة (فرق تسد) التي اتبعت في عهد الإمبراطورية البريطانية، عندما كان المسئولون البريطانيون يسعون بانتظام إلى تعهد مجموعات إسلامية أو أفراد مسلمين للتصدي للقوى الوطنية الناهضة التي كانت تتحدى الهيمنة البريطانية، فمن المعروف أن المخططين البريطانيين ساعدوا في خلق الشرق الأوسط الحديث أبان الحرب العالمية الأولى، وبعدها تنصيب

حـكام في أراضي وبلـدان حددهـا المخططـون البريطانيـون، لكـن السياسـة البريطانيـة إنطـوت أيضًـا عــلى السـعي إلى إعادة الخلافــة في قيادة العــالم الإســلامي إلى الســعودية الخاضعــة للســيطرة البريطانيـة، وهـي اسـتراتيجية كان لهـا أهميـة هائلـة بالنسـبة لمسـتقبل المملكـة السـعودية وباقـي العـالم.

وبعد الحـرب العالميــة الثانيــة، واجــه المخططــون البريطانيــون خســارة وشــيكة للإمبراطوريــة وصعـود قوتـين عظميـين جديدتـين، لكنهـم كانـوا قـد عقـدوا العـزم عـلى الحفـاظ عـلى أقـصى مـا يمكـن مـن النفـوذ السـياسي والتجـاري في العـالم، ورغـم أن جنـوب شرق آسـيا وإفريقيا كانا مهمـين بالنسـبة للمخططـين البريطانيـين، بسـبب مواردهـما مـن المـواد الخـام، فقـد كان الـشرق الأوسـط هو الــذي تريد لندن ممارســة نفوذهــا عليــه، بســبب احتياطياتــه الهائلــة من النفــط، ومــع ذلــك فقــد ظهــر فيــه عــدو رئيــسي اتخــذ شــكل القوميــة العربية الرائجــة بقيــادة الزعيم (جــمال عبــد الناصر) في مــصر، تلــك القيــادة التــي ســعت للنهــوض بسياســة خارجيــة مســتقلة وإنهــاء اعتــماد دول الــشرق الأوســط عــلى الغــرب لإحتــواء هــذا التهديــد، ولم تســاند بريطانيا والولايــات المتحدة ملكيـات وقيـادات إقطاعيـة محافظـة مواليـة للغـرب فحسـب، وإنمـا أقامتـا علاقـات سريـة مـع قـوى متأسـلمة، خاصـة الإخـوان المسـلمين، لزعزعـة اسـتقرار الحكومـات ذات النزعـة القوميـة والإطاحـة بهـا، وذلـك بحجـة مناهضـة الشـيوعية، وإظهـار الإتحـاد السـوفييتي كقـوة ملحـدة تحـارب الإسـلام وتشـكل الخطـر الأكـبر عـلى الـدول العربيـة الإسـلامية، خاصـة بعـد أن تنامـت العلاقـات المصريــة الســوفييتية، عندمــا رفضــت الولايــات المتحــدة مســاعدة مــصر في بنــاء الســد العــالي، فاضطـرت مـصر إلى اللجـوء إلى الإتحـاد السـوفييتي الـذي قـدم عرضًـا يتناسـب مـع إمكانيـات مـصر، وتنوعــت أوجــه التعــاون في شــتى المجــالات وكان التعــاون العســكري هــو أشــد أوجــه التعــاون إيلامًــا لأمريــكا وبريطانيــا، فقررتــا إســتخدام الورقــة الدينيــة الإســلامية للقضــاء عــلى جــمال عبــد الناصر.

ومــع ســحب بريطانيــا لقواتهــا العســكرية مــن الــشرق الأوســط في أواخــر الســتينيات، أعتــبرت قــوى متأســلمة مثــل النظــام الســعودي، ومــرة أخــرى الإخــوان المســلمون قائمــة مقامهــا في الحفــاظ عــلى مصالــح بريطانيــا في المنطقــة، لمواصلــة زعزعــة النظم الشــيوعية

والقوميـة، أو كقـوة عضليـة تدعـم حكومـات الجنـاح اليمينـي المواليـة للبريطانيـين، وبحلـول سـبعينيات القـرن المـاضي كانـت القوميـة العربيـة قـد هزمـت فعليًـا باعتبارهـا قـوة سياسـية، جزئيًـا بفضـل المعارضة الأنجلـو أمريكية لهـا، وحلـت محلهـا لحـد كبـير قـوة الإسـلام المتطـرف الصاعـدة، والتـي اعتبرتها لندن ثانيـة سـاحًا تحـت الطلـب لدحـر بقايـا القومية العلمانيـة والشـيوعية في دول رئيـسية مثل مـصر والأردن.

وطـوال هـذه الفـترة، وجـدت جماعـات جهاديـة ومجاهـدون أفـراد مـلاذًا آمنًـا في بريطانيـا، وحصـل البعـض منهـم على حـق اللجـوء السـياسي، مـع مواصلـة الانخـراط في أعمال الإرهـاب في الخـارج، ولم تتسـامح هوايتـه ول فحسـب مـع تطـور (لندنسـتان) – العاصمـة التـي تعمـل قاعـدة ومركـز تنظيـم لجماعـات جهاديـة كثـيرة، بـل وشـجعت ذلـك – حتـى وإن وفـر هـذا (ضـوء أخـضر) بحكـم الأمـر الواقـع لذلـك الإرهـاب، وأظن أن بعـض العنـاصر _عـلى الأقـل في المؤسسـة البريطانيـة_ سـمحت للجماعـات المتأسـلمة بـأن تعمـل انطلاقًـا مـن لنـدن ليـس فقـط لأنها كانـت تقـدم معلومـات لأجهـزة الأمـن، ولكـن أيضًـا لأنهـا كانـت تعـد مفيـدة بالنسـبة للسياسـة الخارجيـة البريطانيـة، خاصـة في الحفـاظ عـلى شرق أوسـط منقسـم سياسـيًا – وهـو هـدف قديـم العهـد للمخططـين في عـصر الإمبراطوريـة وفيـما بعـد الحـرب – وكرافعـة للتأثـير عـلى سياسـات الحكومـات الخارجيـة.

- وقد اعتبرت القوة الإسلامية المتطرفة مفيدة بالنسبة للبيت الأبيض بخمس طرق:

١. بصفتها قـوة عالميـة مضـادة تتصـدى للأيديولوجيـات القوميـة العلمانية والشـيوعية السـوفيتية في حالتي السعودية وباكســتان.

٢. وبصفتهـا قـوة عضليـة محافظـة داخـل البلـدان لدحـر القوميـين العلمانيـين ومسـاندة النظـم المواليـة للغـرب.

٣. وبصفتها قوة صدام تزعزع استقرار الحكومات وتطيح بها

٤. وبوصفها قائم مقام قوة عسكرية لخوض الحروب.

٥. وبوصفها أدوات سياسية لدفع الحكومات للتغيير.

والأمـر الحاسـم، هـو أن التواطـؤ البريطـاني مـع الإسـلام المتطـرف سـاعد أيضًـا في الترويـج لهدفـين اسـتراتيجيين جغرافيـين كبيريـن للسياسـة الخارجيـة:

الأول هـو ضـمان النفـوذ والسـيطرة عـلى مـوارد رئيسـية للطاقة، والتـي تعتـبر دائمًـا في وثائـق التخطيـط البريطانيـة وسـيلة لدعـم القـوى المتأسـلمة والإنحيـاز لهـا بصفـة عامـة للإبقـاء عـلى حكومـات في السـلطة أو تنصيـب حكومـات تتبـع سياسـات نفطيـة وديـة تجـاه الغـرب.

وكان الهـدف الثـاني هـو الحفـاظ عـلى مكانـة بريطانيـا في نظـام مـالي دولي مـوال للغـرب، فقـد اسـتثمر السـعوديون مليـارات الـدولارات في اقتصاديات الولايـات المتحدة وبريطانيا ونظمهـا المصرفيـة، وفي الترويـج لهـذه الاسـتراتيجية، تعاونـت بريطانيـا بصـورة روتينيـة مـع الولايـات المتحـدة، التـي لهـا تاريـخ مماثـل مـن التواطـؤ مـع الإسـلام المتطـرف.

وفي ضـوء انهيـار القـوة البريطانيـة، تحولـت العمليات الأنجلـو أمريكية مـن أن تكـون مشروعـات مشـتركة حقًـا في السـنوات الأولى التـي أعقبـت الحـرب إلى مشروعـات يشـغل فيهـا البيـت الأبيـض مـكان الشريـك الأدنى منزلـة، الـذي يقـدم عـادة القـوات المتخصصـة السريـة في عمليـات تديرها واشـنطن، وفي بعـض الأوقـات حلـت بريطانيـا باعتبارهـا الـذراع السريـة في واقـع الأمـر للحكومـة الأمريكيـة، وقامـت بالأعـمال القـذرة التـي لم تكـن تسـتطيع واشـنطن القيـام بهـا، أو لا تريـد القيـام بذلـك، كـما تؤكـد الوثائـق عـلى أن اسـتخدام بريطانيـا للقـوى الإسـلامية لتحقيـق أهـداف سياسـية يسـبق في تاريخـه اسـتخدام الولايـات المتحـدة لهـا، وأن ذلـك يرجـع لعـصر الإمبراطوريـة. وبالمثـل، فقـد عمـل البيـت الأبيـض في عـالم مـا بعـد الحـرب بصـورة مسـتقلة أحيانًـا عـن واشـنطن وذلـك لتحقيـق مصالـح بريطانيـة عـلى نحـو مسـتقل، وإذ نمعـن الفحـص والتحليـل لـكل مـا سـبق يمكـن أن نتوصـل إلى نتيجـة مؤداهـا:

أن الجماعـات الدينيـة التـي ظهـرت في العـالم الإسـلامي تظهـر غـير مـا تبطـن، متبعـة في ذلـك المبـدأ الشـيعي المعـروف باسـم (التقيـة) أي يمكـن القيـام بـأي عمـل أو قـول في سـبيل تحقيـق هـدف الجماعـة، مهـما كان العمـل أو القـول مخالفًـا للأخـلاق أو الشرائـع، فالمهـم هنـا تحقيـق غايـة وأهـداف الجماعـة،

وأن هـذه الجماعـات المتأسـلمة لا تسـعى إلى نـشر صحيـح الديـن كـما تدعـى، بـل تسـتهدف تنفيـذ أجنـدات سياسـية غربيـة وفرضهـا عـلى المجتمعـات الإسـلامية، وفي سـبيل ذلـك تسـتتر وراء عبـاءة الديـن فتقـوم بالترويـج لنفسـها كجماعـة دينيـة دعويـة بمـا تقـوم بـه مـن أعـمال خيريـة وثقافيـة ومشـاركات اجتماعيـة بغيـة إيهـام المجتمـع بتدينهـا العميـق، رغـم أن مـا تقـوم بـه ليـس إلا وسـيلة لترغيـب المواطنـين المحبـين لفعـل الخـير، بالفطـرة للإنضـمام إلى هـذه الجماعـات والإنخـراط في نشـاطها والمسـاعدة في نـشر وتقويـة هـذا النشـاط في ربـوع البـلاد، ثـم تبـدأ في اختيـار مـن يصلـح منهـم لتنفيـذ أهدافهـم السياسـية، سـواء بالدعـوة أو الفكـر إلى اسـتخدام القـوة للإرهـاب وترويـع الآمنـين.

ولأن جماعـة (الأخـوان المسـلمون) هـي الوعـاء الـذي انبثقـت منـه كل الجماعـات المتأسـلمة والمتطرفـة بمـا تشـمله بمسـميات مختلفـة يحددهـا الهـدف المرغـوب تحقيقـه فتكـون سـلفية أو تكفيريـة أو دعويـة أو تتخـذ صـورة رافعـة لـواء المقاومـة كذبًـا وافـتراءًا، فـكل هـذه الجماعـات عـلى اختـلاف مسـمياتها وأشـكالها وتوجهاتهـا المعلنـة التـي تتخفـى وراءهـا بأهدافهـا السريـة، كلهـا تسـعى وراء هـدف واحـد وهـو تقويـض المجتمعـات الإسـلامية، وضرب اسـتقرارها، وتسـخيرها لتحقيـق أهـداف الـدول الغربيـة والإقتصاديـة الكـبرى، لتظـل هـي السـوق المسـتهلك لإقتصاديـات الغـرب، والمنجـم الوفـير للمـواد الخـام، وقـد اسـتطاع الغـرب ترويـض هـذه الجماعـات للسـيطرة عليهـا بالمـال والعتـاد والفكـر المتطـرف والتدريـب عـلى القتـل وكيفيـة إحـداث الفـوضى داخـل المجتمعـات، وبـدأت هـذه الجماعـات في الإعـلان عـن أهدافهـا السريـة، حيـث قامـت ببعـض الإغتيـالات ثـم التفجـيرات ثـم تطـور العمـل السري إلى عمـل علنـي إرهـابي لترويـع المجتمعات.

ولقـد تـم الإعـداد لذلـك بمنتهـي الدقـة والحرفيـة، بمعرفـة أجهـزة مخابـرات الـدول الغربيـة، فلقـد رأى الغـرب أن الحـروب التقليديـة والتـي تتـم باسـتخدام الجيـوش والقـوات النظاميـة أصبحـت مكلفـة جـدًا، مـن حيـث التكلفـة الماليـة للحـرب والمعـدات والعتـاد وعمليـات نقـل القـوات وكذلـك بمـا تسـببه مـن خسـائر جسـيمة في الأفـراد، فـأراد أن يسـتخدم الجماعـات الإسـلامية المتطرفـة في القيـام بأعـمال القـوات النظاميـة، وهـي لا تحتـاج في ذلـك إلا إلى التدريـب والأمـوال ووسـائل اتصـال لنقـل التكليفـات، وهكـذا أسـفرت الجماعـات المتطرفـة عـن وجههـا القبيـح.

(إذا كانت أمريكا قد أقترفت أخطاء في التعامل مع الإسلام خلال النصف الثاني من القرن العشرين فإن هذا يعود _ من بين أسباب أخرى _ إلى أنها كانت جاهلة تمامًا بالإسلام، فمثلا أدى سوء تقديرها لشخصية (آية الله الخميني) إلى وقوع المأساة المتمثلة في عدم تقديرها لما يمكن أن تؤول إليه الحركة الإسلامية الخمينية في إيران حق تقديرها.

ولابد أن الخسائر الفادحة التي تكبدتها أمريكا في حروبها في الشرق الأوسط، أدت إلى أن تغير استراتيجيتها في المنطقة، وتحذو حذو بريطانيا، بل تم التنسيق بينهما على درجة عالية سياسيًا وعسكريًا للسيطرة على موارد المنطقة، فاختارت أن تحارب دول المنطقة من داخلها بتقوية المعارضة ودعمها بكل الوسائل، لزعزعة نظم الحكم وبطرق ملتوية بما سمى (منظمات المجتمع المدني).

ووجدت في الجماعات والمنظمات الدينية المتطرفة ضالتها، فساعدتها وأغدقت عليها المال والسلاح لنشر الفوضى والإضطرابات داخل الدول المستقرة.

ولا عجب أن نرى جحافل (داعش) الإرهابية وهي تجتاح العراق وتستولى على ثلاثة أرباع مساحتها، وعلى منابع البترول بصفة خاصة، وتبيع النفط بثمن بخس لتركيا وإسرائيل!!

وكذلك تحتل مناطق شاسعة في سوريا وأيضًا مناطق البترول !! وتعلن دولة إسلامية في العراق والشام لعدة سنوات، ولا يعرف أحد من أين أتت هذه الجحافل، وكيف حصلت على كل هذا السلاح والعتاد والأموال؟؟

ونود الإشارة هنا إلى عدد من الهجمات الإرهابية التي حدثت في مصر على مدنيين وسياسيين، وكانت هجمات شديدة خصوصًا في تسعينيات القرن العشرين، وقامت بها حركة الجماعة الإسلامية التي استهدفت (القيادات العليا السياسية)، و قتلت مئات الناس في سعيها للحصول على تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر كما يدعون، ويعتقد أن (أيمن الظواهري)، وهو طبيب مصري وزعيم جماعة الجهاد الإسلامي المصرية هو من مدبرين عمليات القاعدة وهي منظمة غير مصرية ولا تعمل من داخل مصر، وتشمل سبع مصريين من أصل ٢٢ شخص مسجلين بقائمة

أخطـر المطلوبـين لمكتـب التحقيقـات الفيـدرالي الأمريـكي. وفي سـنة ١٩٤٣ شـكلت الجماعـة الإسـلامية التـي أسسـها (حسـن البنـا) عـام ١٩٢٨ تحـت اسـم (الإخـوان المسـلمون)، وشـكلت (جهـاز سرى) عـلى شـكل منظمـة مسـتقلة للنشـاط شـبه العسـكري تحـت السـلطة المبـاشرة لرئيـس الإخـوان المسـلمين الشـيخ)حسـن البنـا).

وفي مـارس ١٩٤٨ قتـل فريـق مـن الجهـاز السـري قـاضي الاسـتئناف (أحمـد الخازنـدار) إنتقامًـا منـه عندمـا أصـدر (حكـمًا قاسـيًا) – عـلى حـد إدعائهـم - ضـد عضـو مـن أعضـاء جماعـة الإخـوان المسـلمين إعتقـادًا مـن الجماعـة أن (أحمـد الخازنـدار) أصـدر حكمـه بالإتفـاق مـع الحكومـات التـي كانـت مواليـة للملـك، والـذي كان في مواجهـة مـع الأخـوان ونشـاطاتهم. بعـد حـرب فلسـطين في مايـو سـنة ١٩٤٨ وهزيمـة الجيـوش العربيـة قـام الجهـاز السـري للإخـوان بإشـعال الحرائـق في بيـوت اليهـود في القاهـرة في يونيـه ١٩٤٨، وفي مخـازن مملوكـة لليهـود في القاهـرة، وإن ذهـب البعـض إلى أن اسرائيـل هـي التـي دبـرت هـذه الإعتـداءات لإجبـار اليهـود المصريـين عـلى تـرك مـصر والهـرب لإسرائيـل. وفي ديسـمبر ١٩٤٨ قـام الجهـاز السـري بإغتيـال رئيـس الـوزراء(محمـود فهمـي النقـراشي) فـرد الملـك فـاروق باغتيـال (حسـن البنـا) في فبرايـر ١٩٤٩. وبعـد ثـورة ٢٣ يوليـه ١٩٥٢ بقيـادة جـمال عبـد النـاصر وإلغـاء النظـام الملـكي المـصري وإعـلان الجمهوريـة، وفي يـوم ٢٦ اكتوبـر ١٩٥٤ وأثنـاء إلقـاء جـمال عبـد النـاصر خطابًـا في ميـدان المنشـية بالإسـكندرية قـام أحـد أعضـاء التنظيـم السـري للإخـوان بإطـلاق الرصـاص عـلى جـمال عبـد النـاصر محـاولًا قتلـه وبـاءت المحاولـة بالفشـل وتـم القبـض عليـه وبـدأت حملـة اعتقـالات واسـعة ضـد الإخـوان المسـلمون وهـرب كثـير منهـم إلى خـارج البـلاد، وحكـم بإعـدام سـتة مـن أبـرز قـادة الجماعـة، وإن كان هـذا لا يخلـو مـن إتفـاق بريطـاني إخـواني منـذ نهايـة عـام ١٩٥٣ للإطاحـة بعبـد النـاصر، قائـد ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢.

بعـد الإفـراج عـن (سـيد قطـب) بعفـو صحـي عـام ١٩٦٤ قـام خـلال عـام ١٩٦٥ بإنشـاء تنظيـمًا بعيـدًا عـن سـلطة المرشـد يهـدف إلى اغتيـال (جـمال عبـد النـاصر) رئيـس الجمهوريـة وتصفيتـه وقلـب نظـام الحكـم عـن طريـق نسـف القناطـر الخيريـة وبعـض المنشـئات والمرافـق الحكوميـة وإثـارة الذعـر بـين المواطنـين، وعاينـوا فعـلًا محطـات توليـد الكهربـاء والمنشـئات التـي سـيخربونها ورسـموا خطـط تنفيـذ ذلـك.

ومن أقوال سيد قطب وهو في طريقه إلى غرفة الإعدام في أغسطس ١٩٦٦:

- للأسف الشديد لم ينجحوا في تنفيذ عملية نسف القناطر الخيرية التي لو تمت لانتهي النظام.
- إن مشكلتي في عقلي _ أنا مفكر وكاتب إسلامي كبير، والحكومة تريد القضاء على الإسلام عبر قتلى.
- تدمير القناطر ومحطات الكهرباء والمياه كان سيكون بداية الثورة الإسلامية وإنذار شديد للناس لينتبهوا من غفلتهم وسكرتهم بنظام حكم عبد الناصر.

وكثير من الكتاب وفقهاء الدين الإسلامي ينتقدون سيد قطب وأفكاره حيث استخدم لفظ الجاهلية في وصفه للمجتمعات الإسلامية، وبدا أنه يرسم طريقًا آخر للمسلمين بعيدًا عن صحيح الدين وينصب نفسه ونفر من أتباعه للهيمنة على نظام الحكم، وتجاهل أنه لكي تستقر الحياة فلا بد من وجود حكام يتولون أمور الناس بالدين وبالقوانين العادلة التي تقتضيها الحياة، كما ورد في القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يستقيم في عقل إنسان أن تقوم طليعة مزعومة لتجريد الحكام جميعًا من سلطانهم ولتفتح الطريق أمام طغمة من الخبثاء يوهمون الناس أنهم طليعة الإيمان.

وفي كتاب (التاريخ السري للإخوان المسلمين) يقول الأستاذ (على عشماوي) القيادي المنشق عن الجماعة « كان المرحوم سيد قطب لا يصلي الجمعة، وقد علمنا حينها وقابلته دون موعد، ودارت بيننا مناقشة ومشادة حادة، وأردت أن أهدئ الموقف وقلت له هيا إلى صلاة الجمعة، ولكن فوجئت حين قال أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة وأنه لا جمعة إلا بخلافة، وكان هذا الرأى غريبًا علي، ولكن قبلت على إعتبار أنه أعلم مني».

تلك هي أقوالهم وأفعالهم على مدى تاريخهم البغيض فعندما أصدر القضاء حكمه العادل ضد عضو من الجماعة، قاموا بإغتيال القاضى (أحمد الخازندار) واعتبروا حكم القضاء حكمًا قاسيًا !!

وادعـوا أنهـم حاربـوا في فلسـطين ١٩٤٨ _ رغـم أنهـم بإعترافـات قادتهـم ذهبـوا وعـادوا ولم يحاربـوا وأيـدوا ثـورة يوليـو ضـد الحكـم الملـكي ١٩٥٢، ثـم حاولـوا الإنقضـاض عليهـا ليتسـني لهـم حكـم مـصر وتنفيـذ هـدف بريطانيـا والولايـات المتحـدة في القضـاء عـلى الثـورة، وفطـن قـادة الثـورة لذلك،وقبلـوا مشـاركتهم بصـورة رمزيـة، ولكـن جماعـة الأخـوان وعـن طريـق نظامهـا الخـاص (التنظيـم الـسري) حاولـت اغتيـال (جـمال عبـد النـاصر) قائـد الثـورة في ميـدان المنشـية في أكتوبـر ١٩٥٤.

هكـذا هـم وجميـع التنظيـمات التـي إنبثقـت عنهم بمسـمياتها المختلفـة، إذا لم يتمكنوا مـن الحصول عـلى مـا يريـدون بالإتفـاق، حاولـوا الحصـول عليـه بالقـوة والإرهـاب، غـير عابئـين بالضحايـا، وهـذا مـا قالـه (سـيد قطـب) الـذي أعتـبر كل مـن لم يتبعـه ويؤمـن بفكـره المتطـرف كافـرًا !! بـل يسـتحق المـوت، ولا زالـت كلماتـه التـي لفـظ بهـا قبـل إعدامـه تلخـص أهـداف الجماعـة ومآربهـا السياسـية، عندمـا قـال « للأسـف الشـديد لم ينجحـوا في تنفيـذ عمليـة نسـف القناطـر الخيريـة التـي لـو تمـت لانتهـي النظـام »، «وأن تدمـير القناطـر ومحطـات الكهربـاء والميـاه سـيكون بدايـة الثـورة الإسـلامية» !

هـذا الرجـل الـذي لم يكـن يذهـب لصـلاة الجمعـة بإعتبارهـا سـقطت بسـقوط الخلافـة! ومضـت سـنوات وسـنوات ولكنهـم لم يسـتطيعوا إخفـاء وجههـم القبيـح، فـكل الأقنعـة سـقطت، ولم يتعلمـوا الـدرس، فبعـد أحـداث ينايـر ٢٠١١ وفي حديـث بـين نائـب المرشـد العـام للأخـوان المسـلمين، ووزيـر الدفـاع المـصري، عندمـا قـال نائـب المرشـد صراحـةً «إذا لم نحكـم مـصر فسـنحرقها!!»

هـؤلاء هـم مـن يدعـون أنهـم يرفعـون لـواء الإسـلام ووحدهـم هـم أصحـاب الديـن الصحيـح، فيتبجحـون بالقتـل والحـرق والدمـار لبلادهـم، هـذه رسـالتهم وهـذا إسـلامهم، وهـذه أهدافهـم الحقيقيـة التـي حددتهـا لهـم القـوى الغربيـة للسـيطرة عـلى شـعوب الـدول العربيـة الإسـلامية ونهـب ثرواتهـم.

ثانيًا: التأثيرات الدينية:_[١٧٩]

هـل الحجـاب والنقـاب عـادة أم فريضـة ؟.. سـؤال أجـاب عنـه الدكتـور (عمـرو الـورداني)، أمـين الفتـوى بـدار الإفتـاء المصريـة، وذلـك خـلال البـث المبـاشر لصفحـة دار الإفتـاء المصريـة المـذاع عـبر موقـع التواصـل الاجتماعـي فيسـبوك، وأوضح الـورداني، قائـلًا: « إن الحجـاب يقصـد بـه سـتر عـورة المـرأة، وهـو فـرض عـلى كل نسـاء المؤمنـين، مسـتدلًا عـلى ذلـك بقـول اللـه سـبحانه وتعـالى: { يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ قُـلْ لأَزْوَاجِـكَ وَبَنَاتِـكَ وَنِسَـاءِ الْمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَيْهِـنَّ مِـنْ جَلابِيبِهِـنَّ ذَلِـكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْـنَ فَـلا يُؤْذَيْـنَ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُـورًا رَحِيـمًا }، وقولـه أيضًـا:

{ وَقُـل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْـنَ مِـنْ أَبْصَارِهِـنَّ وَيَحْفَظْـنَ فُرُوجَهُـنَّ وَلَا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَلْيَضْرِبْـنَ بِخُمُرِهِـنَّ عَـلَىٰ جُيُوبِهِـنَّ وَلَا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِـنَّ }، موضحًـا أن الحجـاب الواجـب هـو مـا يسـتر جميـع جسـد المـرأة باسـتثناء الوجـه والكفـين، بـشرط ألا يشـف ولا يصـف، مؤكـدًا أنـه لا خـلاف بـين جميـع العلـماء عـلى فرضيـة الحجـاب، وأوضـح أن النقـاب عـلى مـا اتفـق عـلى تعريفـه هـو غطـاء الوجـه، وغطـاء الوجـه لم يـرد بـه دليـل عـلى وجوبـه، وإنمـا ورد أنـه كان عـادة، وكان مـن بـاب الحيـاء.

أمّـا عـن حكـم لبـس المـرأة النقـاب مـع ظهـور الحواجـب فـكان سـؤال أجـاب عنـه الشـيخ (أحمـد ممـدوح)، أمـين الفتـوى بـدار الإفتـاء المصريـة، إنـه يجـوز للمـرأة ارتـداء النقـاب وظهـور الحواجـب منـه لأن النقـاب في الأصـل ليـس فرضًـا ولكـن هـو مـن بـاب الفضـل.

أمّـا عـن حكـم لبـس النقـاب فالرسـول عليـه الصـلاة والسـلام وصـف الحجـاب الواجـب عـلى المـرأة المسـلمة فقـال: «يـا أسـماء إذا بلغـت المـرأة المحيـض فإنـه لا يجـوز أن يُـرى منهـا إلا هـذا وهـذان، وأشـار للوجــه والكفين".

معنــى مــا قالــه الرســول عليــه الصــلاة والســلام، أن النقــاب الــذي يغطــي الوجــه ليــس بواجــب وليــس مــن الحجــاب، وأنــه مــن العــادات الاجتماعيــة والأعــراف لــدى بعــض الشــعوب والمجتمعات، وليس معنى ذلك فرضيته ووجوبه.

---

(١٧٩) تـم الاعتـماد في كتابـة هـذا الجـزء عـلى بعـض الفتـاوى الصـادرة عـن دار الإفتـاء المصريـة مـن خـلال صفحتهـا الرسـمية عـلى موقـع التواصـل الاجتماعـي فيسـبوك.

حكم خلع النقاب:

النقاب عادة وليس واجبًا وليس فرضًا، وهذه العادة لا ينبغي أن تتعب المرأة وتضيق على نفسها، ويجوز لها خلع النقاب، فإن المرأة يجوز لها كشف الوجه والكفين، ولا شيء عليها في ذلك.

حكم لبس النقاب في الصلاة:

المـرأة المنتقبـة إذا أرادت أن تغطـي وجهها أثنـاء الصـلاة فإنـه لا يجـوز لهـا ذلـك وصلاتهـا غـير صحيحـة، كذلـك في تأديـة مناسـك الحـج والعمـرة.

حكم خلع النقاب لأجل العمل:

قـال الشـيخ (محمـود شـلبي) أمـين الفتـوى بـدار الإفتـاء المصريـة، إن النقـاب ليـس واجبًـا مثـل الحجـاب وعليـه فمـن خلعـت النقـاب لابـد أن تلتـزم بهيئـة الحجـاب.

وأضـاف (شـلبي) في إجابتـه عـن سـؤال (مـا حكـم خلـع النقـاب لأسـباب تتعلـق بالعمـل؟)، أنـه يجـوز للسـائلة أن تخلـع النقـاب لأن النقـاب ليـس واجبًـا، والمطلـوب في المـرأة المسـلمة أن تسـتر جسـدها مـا عـدا الوجـه والكفـين والقدمـين خاصـةً إذا كان العُـرف الـذي يسـود في المجتمـع هـو عـدم النقـاب، فالأفضـل لهـا ألا تلبسـه وألا تشـدد عـلى نفسـها، وأوضـح أن خلـع الحجـاب فهـذا الـذي لا يجـوز، فالحجـاب بإجـماع المسـلمين والأئمـة والمذاهـب سـلفًا وخلفًـا لم يختلـف أحـد مـن علـماء الأئمـة عليـه.

حكم خلع النقاب أمام الأقارب الرجال:

قـال الشـيخ (محمـد وسـام) أمـين الفتـوى بـدار الإفتـاء المصريـة، إن النقـاب ليـس واجبًـا مثـل الحجـاب، وعليـه فمـن خلعـت النقـاب لابـد أن تلتـزم بهيئـة الحجـاب.

ثالثًا:التأثيرات ألأمنية [١٨٠]

تـداول نشـطاء مواقـع التواصـل الاجتماعـي مقطـع فيديـو يرصـد حيلـة ماكـرة نفذتهـا أمـرأة ترتـدي نقـاب داخـل أحـد المـولات لسرقـة حقيبـة سـيدة كانـت تتسـوق في المـول،

(١٨٠)تـم الإعتـماد في كتابـة هـذا الجـزء عـلى بعـض الجرائـم المنشـورة عـلى في الصحـف القوميـة عـن الجرائـم المسـتترة بالنقـاب، وكذلـك مواقـع التواصـل الاجتماعـي.

الفيديـو الـذي رصدتـه كامـيرات المراقبـة أظهـر ثلاثـة سـيدات يعتقـد أن اثنتـين منهـن قامـا بجـذب انتبـاه الضحيـة في حـين قامـت الثالثـة بسـحب حقيبتهـا - الملقـاة أرضًـا بجوارهـا - باسـتخدام قدمهـا وإحـدى قطـع الملابـس التـي وضعتهـا كسـتار عـلى جريمتهـا.

ثم نتحول لجريمة ثانية:

في المـرور لاحـظ الضابـط أن السـيدة المنتقبـة التـي تـؤدى اختبـار القيـادة مرتبكـة بعـض الـشيء طلـب منهـا أن تخلـع النقـاب، وتبـين أنـه شـاب إسـمه (محمـد)، جـاء يـؤدي اختبـار القيـادة بـدلا مـن (عـزة) والمقابـل ٧٠٠ جنيـه.

ثم نتحول لجريمة ثالثة:

حيـث قـام أحـد الأشـخاص بالتنكـر في زي سـيدة منتقبـة حتـى لا يتعـرف عليـه أحـد وهـو لـص محـترف واعتمـد عـلى شريـك لـه لسرقـة الشركـة التـي يعمـل بهـا.

ثم نتحول لجريمة رابعة:

حيـث شـهدت منطقـة الزيتـون جريمـة بشـعة ارتكبتهـا ربـة منـزل تخفـت في النقـاب، وتربصـت لزوجـة شـقيق زوجهـا التـي تعمـل مدرسـة أثنـاء خروجهـا وطفلهـا مـن عملهـا، وألقـت عليهـما كميـة مـن مـاء النـار لتشـوههما بالكامـل انتقامًـا لوجـود خلافـات أسريـة.

ثم نتحول لجريمة خامسة:

سـيدة منتقبـة تـسرق سـائقي السـيارات بالإكـراه بمنطقـة مـصر القديمـة بعـد تهديدهـم بالمطـواة، حيـث كانـت تتحصـل عـلى بعـض المبالـغ التـي تعينهـا عـلى توفـير مبالـغ ماليـة لـشراء مأكـولات وسـجائر في زيارتهـا لزوجهـا المسـجون.

ثم نتحول لجريمة سادسة:

اعتـدت سـيدة منقبـة عـلى ربـة منـزل وقامـت بطعنهـا في بطنهـا بآلـة حـادة مـما أدى إلى إصابتهـا وخطـف طفلتهـا التـى تبلـغ ٨ أشـهر.

ثم نتحول لجريمة سابعة:

شاب يلجأ إلى النقاب ليتمكن من زيارة صديقته بالمنزل، ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فقد دخل أحد الأشقاء وتوجه للسلام على صديقة شقيقته، وقام الشاب المتنكر أو الصديقة المزيفة ليسلم عليه، ولكن طرف النقاب تعلق في رجل الكرسي فسقط على وجهه فجأة وفوجئ شقيق الفتاة بأنه رجل وصرخ من الصدمة فهرع الشاب يجرى وجرى وراء شقيق عشيقته وهو يصرخ مستنجدًا بشقيقيه الآخرين فأسرعا بدورهما بالجري وراءه ولم يجد الشاب مكانًا غير قسم الشرطة يستنجد به.

ثم نتحول لجريمة ثامنة:

شاب يرتدى النقاب ويذهب إلى المراحيض العامة وقد تلاحظ عليه الإرتباك الشديد وهو يحملق في كل سيدة تدخل فإرتاب الجميع في أمره، وعندما تحدثت معه إحداهن لاحظت خشونة صوته فصرخت وتجمعن السيدات حولها ليكتشفن أنه رجل.

ثم نتحول لجريمة تاسعة:

عجز عن تسديد ديونه التي تراكمت عليه، وفوجئ بعدد من الرجال يتجمعون أمام باب منزله وأدرك أنهم من الدائنين فراودته فكرة ارتداء نقاب زوجته ويغادر الشقة وبالفعل استطاع أن يشق طريقة وسط طابور الدائنين لكنه لم يبتعد سوى قليل حتى كشفه أحدهم ونادى عليه، وعندما التفت جرى وراءه واستطاعوا جميعًا اللحاق به.

ويتضح من ذلك أن للنقاب قدسيته في أذهان العديد من المصريين، ولكن في الآونة الأخيرة استغله البعض، ومن بينهم رجال للتخفى به، وارتكاب العديد من جرائم كخطف الأطفال والقتل، بل امتد الأمر لاستخدامه في جرائم إرهابية، وقد ظهرت دعاوي كثيرة لحظر النقاب، كما جري في طب قصر العيني وجامعة القاهرة والأزهر، بعضها تم التراجع عنها، والبعض الآخر مازال أمام ساحات المحاكم.

وقد أصدر القضاء الإداري في يناير الماضي حكمًا يؤيد قرار رئيس جامعة القاهرة بحظر ارتداء النقاب للعاملين، وجاءت أسباب الحكم تفصيلية شارحة لمنع ارتداء النقاب أثناء العمل بالجامعات مؤكدة أن القرار لا يشوبه إساءة استعمال السلطة.

وردت المحكمة على الدفع بأن قرار جامعة القاهرة مخالف للشريعة الإسلامية وحرية العقيدة، مؤكدة أن هذا غير صحيح، لأن المحكمة الدستورية العليا انتهت في قضائها أن زي المرأة يخرج على الأمور التعبدية، وأن لولي الأمر السلطة الكاملة في تحديد رداء المرأة، وأن تنظيم جهة الإدارة للزي لا يخالف حرية العقيدة، وإنما يدخل في دائرة التنظيم المباح.

أمّا الحكم الثاني فصدر عن القضاء الإداري بكفر الشيخ، والذي حظر ارتداء النقاب في الأماكن العسكرية، وجاء في نص الحكم «اعتبارات أمن وسلامة القوات المسلحة تقتضي تحديد شخصية من يدخلون وحدتها، حيث لا يسمح لأي شخص بالتجول فيها إلا بعد تحديد شخصيته، لذلك لا يسمح بدخول أي من النساء اللاتي ترتدين النقاب إلا بعد التعرف عليها بالكشف عن وجهها عن طريق المكلفات من الإناث».

لكنها قالت إن هذا يقتصر على الأماكن العسكرية فقط ولا يجوز حظر ارتداء النقاب حظرًا مطلقًا لتعارض هذا مع الحرية الشخصية التي كفلها الدستور ويجوز متى اقتضت الضرورة والصالح العام.

*وقد رصدت العديد من الصحف اليومية بعض الجرائم التي ارتكبت من وراء نقاب، وأوضحت كيف تم استخدامه كساتر لتنفيذ مخطط إجرامي، ومن هذه الجرائم ما يلي:

١-خطف الأطفال:

منذ شهر كشفت (شهد محمد)، الطالبة بجامعة ٦ أكتوبر، سر عصابة المنتقبات التي تقوم بخطف الأطفال بحي مصر الجديدة باستخدام حيلة جديدة، حيث تقوم سيدتان منتقبات باستخدام طفل صغير «١٢ سنة» يقف أمام الأم «الضحية» والتي يكون بصحبتها ابنها ويستعطفها ويصر على الأم أن تعطيه أموالًا، وأثناء انشغال الضحية بفتح حقيبتها لإعطائه رزقه، تقوم العصابة في هذه اللحظة بخطف الطفل بسرعة ورشه بمادة مخدرة.

ومـن بـين الوقائـع التـي تداولتهـا الصحـف والقنـوات التليفزيونيـة في أغسـطس ٢٠١٥، جريمـة خطـف طفـل في مستشـفى الشـاطبي بالإسـكندرية، وتـم تحريـر محـضر بالواقعـة، بينـما عجـزت الأم عـن وصـف هويـة السـيدة المنتقبـة التـي وجـدت في غرفـة التحاليـل في المستشـفى، حيـث اختفـت في ثـوانٍ حاملـة الطفـل الـذي لم يتجـاوز عمـره شـهرًا.

وذلـك تكـرار لواقعـة منتقبـة قامـت بخطـف طفـل حديـث الـولادة مـن مستشـفى الفيـوم العـام، في فبرايـر ٢٠١٥، بعـد اسـتغلالها وجـود الأم في حالـة إعيـاء بعـد الـولادة.

٢- السرقة:

فيـما تمكنـت المباحـث الجنائيـة بالغربيـة، في سـبتمبر المـاضى، مـن إلقـاء القبـض عـلى سـيدة منتقبـة أثنـاء تجولهـا داخـل مستشـفى المحلـة، وقيامهـا بسرقـة مواطنـين ومـرضى بالإكـراه، وبحوزتهـا «مـوس» ومبالـغ ماليـة.

٣- التعذيب:

فيـما قامـت منتقبـة في «الدقهليـة» باسـتدراج طفلـين للمقابـر، وقامـت بإشـعال النـيران بهـما، ليتعـرض الطفـلان اللـذان لم يتجـاوز عمرهـما ٦ سـنوات، للتعذيـب وحـروق خطـيرة مـن الدرجـة الأولى والثانيـة، ولم يتمكنـا مـن وصـف معـالم مرتكبـة تلـك الجريمـة، لأنهـا كانـت مغطـاة الوجـه.

٤-عمليات إرهابية:

وفي الدقهليـة نجحـت قـوات خدمـة تأمـين بنـك قطـر الوطنـي فـرع ميـت غمـر، في إحبـاط محاولـة لتفجـير البنـك مـن قبـل سـيدة ترتـدي نقابًـا تـم الاشـتباه فيهـا بسـبب هيئتهـا البدنيـة الأكـثر طـولًا والأعـرض مـن هيئـة النسـاء لتكـون المفاجـأة صوتًـا ذكوريًـا خلـف النقـاب ويهـدد بتفجـير المبنـى وتكتمـل تفاصيـل جريمـة السـطو.

ولم تكـن تلـك الواقعـة الوحيـدة التـي تنكـر فيهـا رجـل في زى منتقبـة، حيـث تولـت النيابـة العسـكرية التحقيـق مـع رجـل تـم القبـض عليـه في أكتوبـر ٢٠١٣ مرتديًـا زي منتقبـة أثنـاء مراقبتـه الكمائـن الأمنيـة بمدينـة رفـح، وبعـد إلقـاء القبـض عليـه واسـتجوابه تبـين تورطـه مـع عنـاصر إرهابيـة، واعـترف بإمـداد تلـك العنـاصر بالمعلومـات.

٥- خيانة وقتل:

وفي قضيـة غريبـة، اعترفـت سـيدة أمـام النيابـة العامـة بوقائـع مخزيـة، حيـث اسـتغلت طيبـة زوجهـا، واحترامـه للمنتقبـات وإيمانـه بأخلاقهـن، فأوهمتـه بـأن صديقـة لهـا عـلى خـلاف مـع زوجهـا وسـتقيم بضعـة أسـابيع في غرفـة الضيـوف فقبـل الـزوج وكانـت هـذه الصديقـة مجـرد عشـيق زوجتـه، اسـتغل غيـاب الـزوج في عملـه ليرتكـب الفاحشـة عـلى سريـره.

وقـضى العشـيق عـدة أيـام في بيـت الرجـل يتنقـل بـين الغـرف منتقبًـا ويـترك الـزوج بيتـه لتأخـذ السـيدة المنتقبـة راحتهـا وفى المسـاء يختـلي بزوجتـه الخائنـة، إلى أن جـاء يـوم الجريمـة التـي اسـتيقظ العشـيق في الليـل وارتـدى النقـاب ذاهبًـا لقضـاء حاجتـه فسـمع الزوجـة في أحضـان زوجهـا فأصابـه الجنـون وفتـح الغرفـة وطعـن الـزوج عـدة طعنـات واتهـم الزوجـة بأنهـا تخونـه لأنهـا أوهمتـه أن علاقتهـا بزوجهـا في الفـراش غـير قائمـة منـذ أن تعرفـت عليـه.

هـذه الواقعـة بـكل تفاصيلهـا، أكـدت واقعًـا مخزيًـا مـن الـتردي الإخلاقـي والقيمـي الـذي اتخـذ مـن النقـاب سـتارًا وذريعـة للتخفـي ورائـه.

وفيـما يتعلـق بتنكـر الرجـال في زي منتقبـة شـهدت محطـة رمسـيس في أكتوبـر ٢٠١٤ واقعـة القبـض عـلى طالـب عمـره ٢٤ عامًـا، أثنـاء تخفيـه في زي النقـاب، وبتفتيشـه عـثر بحوزتـه عـلى سـلاح أبيـض، وباسـتجوابه اعـترف أنـه تخفـى لقتـل عامـل محـارة انتقامًـا منـه لعـدم دفـع أجرتـه نتيجـة عملـه معـه لشـهرين.

٦-التحـرش الجنـسي:

ومـــن أكـــثر الجرائـــم التـــي تعـــددت وارتكبـــت باســـم النقـــاب، اســـتغلال الرجـــال النقـــاب للتحـــرش بالنســـاء في عربـــات الســـيدات بمـــترو الإنفـــاق، حيـــث ألقـــت قـــوات الأمـــن مؤخـــرًا القبـــض عـــلى شـــاب يرتـــدي نقابًـــا يقـــوم بالتحـــرش بالنســـاء في المـــترو، ولم تكـــن هـــذه هـــي الواقعـــة الأولى مـــن نوعهـــا، حيـــث كان النقـــاب في كل مـــرة وســـيلة يتخفـــى بهـــا الشـــاب لـــكي يســـتطيع الوصـــول إلى عربـــة الســـيدات ويبـــدأ في التحـــرش، كـــما تـــم ضبـــط شـــخص يرتـــدي

نقابًا أثناء خروجه من جامعة كفر الشيخ، واضطر الأمن لتفتيش الجامعة بأكملها، لمعرفة غرض دخوله إلى الجامعة.

يتضح من خلال عرض الوقائع السابقة أنه قد ظهرت استخدامات أخري عديدة للنقاب لا تتعلق أبدًا بالمظاهر الدينية، فهناك من يستخدمه بسبب سوء الوضع الاقتصادي، فبعض من السيدات لا يملكن أموالًا لشراء ملابس واكسسوارات متنوعة ومكياج فيفضلون التخفي والثبات على مظهر واحد من الملبس، والبعض الآخر قد يستخدمه للتخفي مثل استخدامه في الأرياف والقرى، وهناك من يستخدم النقاب لإخفاء أمراض جلدية أو حروق أو تشوهات فيكون بالنسبة لهم الحماية النفسية لمواجهة المجتمع دون خجل، ويتضح من ذلك أن النقاب منتشر أكثر في الأماكن الريفية مقارنة بالمدن، لأنه يتوافق ويعالج كثيرًا من القضايا الموجودة في هذه المناطق مثل قضية الفقر، والبعد عن الاحتكاك المباشر والاختلاط بالآخرين.

ويتضح من ذلك أن النقاب في العقيدة الإسلامية زى له قدسية، بينما استغله البعض سواء كانوا رجالًا أو نساءً، كفرصة للتخفي وتنفيذ جرائم مروّعة، وهو ما دفع الجهات الأمنية لإبداء قلقها ومخاوفها من دخول أشخاص بوجه مغطى وهوياتهم غير معروفة، وتعجز كاميرات المراقبة عن رصد وجوههم، مع عدم توافر شرطة نسائية بصفة مستمرة في جميع المناطق الحيوية ليقمن بتفتيش المنتقبات، ناهيك عن الجرائم الأخلاقية التي أتهمت فيها بعض المنتقبات، والتي لا داعي للخوض فيها.

تلك هي حقيقة الكثير منهم، فهم يحاولون التستر وراء الدين من أجل إخفاء أهدافهم الشيطانية، فلقد ضلوا السبيل وأضلوا البسطاء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، حقًا إنهم الأخسرين أعمالًا، بعد أن ضل سعيهم في الدنيا.

الاستخلاصات

١. إن جماعات الإسلام السياسي لا تسعى إلي نشر صحيح الدين كما تدعي، بل تستهدف تنفيذ أجندات سياسية غربية، بل وتحاول فرضها على المجتمعات الإسلامية.

٢. لقـد اسـتطاع الغـرب- بريطانيـا ثـم أمريـكا- ترويـض الجماعـات السياسـية الإسـلامية التـي نشـأت تحـت أعينهـا والسـيطرة عليهـا بالمـال والعتـاد والفكـر المتطـرف والتدريـب عـلى القتـل وإحـداث الفـوضى داخـل المجتمعـات الإسـلامية، وكان يتـم ذلـك في البدايـة يتـم بشـكل سري ثـم أصبـح يتـم علنيًـا.

٣. أكـدت كل الفتـاوى الصـادرة عـن دار الإفتـاء المصريـة أن النقـاب ليـس واجبًـا عـلى المـرأة المسـلمة، وأن النقـاب عـادة وليـس فرضًـا، وهـذه العـادة لا ينبغـي أن تتعـب المـرأة وتضيـق عـلى نفسـها، فالمفـروض عـلى المـرأة المسـلمة هـو الحجـاب الـذي يجـوز لهـا أن تكشـف الوجـه والكفـين، ولا شيء عليهـا في ذلـك.

٤. عـلى الرغـم مـن الصـورة الذهنيـة الدينيـة المقدسـة للنقـاب في عقـول العديـد مـن المصريـين، إلا أن ذلـك لم يمنـع اسـتغلاله مـن قبـل البعـض كسـتار للتخفـي وإرتـكاب العديـد مـن الجرائـم، وهـو مـا أدي إلى وقـوف النظـام السـياسي الحاكـم المسـئول الأول عـن حفـظ الأمـن وحمايـة المجتمـع مـن التصـدي لـه، وهـو مـا اسـتغله أعضـاء الجماعـات السياسـية الإسـلامية لوهـم النظـام الحاكـم بأنـه يحـارب الديـن، وبذلـك تتحـول قضيـة النقـاب مـن قضيـة اجتماعيـة إلى قضيـة دينيـة، بهـدف تحقيـق مكاسـب سياسـية.

***

الفصل السادس

الإجراءات المنهجية وخصائص حالات الدراسة

تسعي الدراسة الراهنة للتعرف على حالة الوعي الديني لدى المنتقبات في المجتمع المصري، خاصةً في ظل تنامي حجم الظاهرة بعد أحداث ثورة ٢٥ يناير، وندرة التراث البحثي في علم الاجتماع سواء على مستوى دراسات الوعي الديني أو دراسات النقاب، وهذا ما دفعنا لمحاولة فهم أبعاد الظاهرة باستخدام منهجيات وطرق وأدوات البحث الاجتماعي.

أولًا إشكالية البحث:

تتبلور مشكلة البحث الراهنة من خلال تبني مفهوم محدد للوعي يتمثل في أن الوعي هو عملية مكتسبة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة سواء كانت الأولية أو الثانوية (الأسرة – المدرسة – الجامعة – دور العبادة – وسائل الإعلام - الأحزاب السياسية – النقابات المهنية والعمالية – الجمعيات الأهلية....إلخ) وتتم هذه العملية عبر ثلاثة مراحل أساسية تشكل في مجملها مكونات عملية الوعي وهي:

المرحلة الأولي وتتمثل في اكتساب المكون المعرفي وهو المعلومات والمعارف الدينية الأساسية، ثم المرحلة الثانية وهي ممارسات السلوك بناء على المعلومات أو المعارف المكتسبة وهنا يظهر المكون السلوكي، وأخيرًا تأتي المرحلة الثالثة وهي المواقف الحياتية المختلفة التي يمارس من خلالها السلوك المكتسب من المعلومات والمعارف، وبالتالي يبرز المكون الموقفي.

وبناء على ذلك يتبلور الهدف الرئيس للدراسة الراهنة في التعرف على الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١، ويندرج تحت هذا الهدف مجموعة من الأهداف الفرعية على النحو التالي:

١. التعرف على الخفيات الدينية للمنتقبات في المجتمع المصري.

٢. التعرف على الدوافع وراء ارتداء النقاب.

٣. التعرف على موقف المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي.

٤. التعرف على سلوك المنتقبات تجاه تفاعلات الحياة اليومية.

ووفقًا لهذه الأهداف تسعي الدراسة الراهنة للإجابة على سؤال رئيس هو:

هل تمتلك المنتقبات في المجتمع المصري وعيًا دينيًا حقيقيًا؟، ويندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

١. ما هي الخلفيات الدينية للمنتقبات في المجتمع المصري؟

٢. ما هي الدوافع وراء ارتداء النقاب؟

٣. ما هو موقف المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي؟

٤. ما هو سلوك المنتقبات في المواقف الحياتية اليومية المختلفة؟

ثانيًا: منهجية الدراسة:

تندرج الدراسة الراهنة ضمن الدراسات الاستطلاعية - الوصفية في علم الاجتماع، والتي تسعى للكشف عن حقيقة الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١، ويعتمد فريق البحث على دراسة حالة لعدد ٣٠ مفردة بحثية من المنتقبات في المجتمع المصري من مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة، من الريف والحضر، ومن مستويات تعليمية متباينة، ومراحل عمرية متفاوتة، وسوف يتم استخدام أساليب التحليل الكيفي الأكثر ملائمة لمثل هذه النوعية من البحوث والدراسات، هذا إلى جانب التتبع التاريخي لنشأة ونمو وتطور الظاهرة.

ثالثًا:أساليب جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة الراهنة على دليل دراسة حالة تم تطبيقه على حالات الدراسة من خلال مقابلات مفتوحة متعمقة مع من سمحت الظروف بالجلوس معهن، حيث اعتمد فريق البحث على العلاقات الشخصية الوثيقة بحالات الدراسة، وعن طريق

أسـلوب كـرة الثلـج تـم الوصـول إلى حـالات أخـرى عـبر علاقتهـم بالحـالات التـي عـلى صلـة بفريـق البحـث.

وفي إطـار المنهجيـة الكيفيـة قـام فريـق البحـث بتصميـم دليـل لدراسـة الحالـة تمـت مـن خلالـه ترجمـة التسـاؤلات الفرعيـة للدراسـة- التـي ذكرناهـا آنفًـا- حيـث تـم تحويهـا إلي مـؤشرات قابلـة للقيـاس عـبر مجموعـة مـن الأسـئلة التـي تغطـي كل التسـاؤلات لتقيـس كل مـن:

١. الخصائص الاجتماعية للمستجيبات المنتقبات.

٢. الخلفيات الدينية للمستجيبات المنتقبات.

٣. دوافع المستجيبات المنتقبات وراء ارتداء النقاب.

٤. موقف المستجيبات المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي.

٥. سلوك المستجيبات المنتقبات التفاعلي في المواقف الحياتية المختلفة.

رابعًا: تصميم دليل دراسة الحالة:

تكـون دليـل دراسـة الحالـة مـن أربعـة محـاور رئيسـية بخـلاف بيانـات المبحوثـات، وجـاء المحـور الأول للتعـرف عـلى الخلفيـات الدينيـة للمنتقبـات، ومـن أيـن تسـتمد معلوماتهـا ومعارفهـا الدينيـة؟

(رجـال الديـن الرسـميين - الدعـاة الجـدد – الأسرة - المحيطـين بـالأسرة - المسـاجد القريبـة - برامـج التليفزيـون والراديـو - سـوق الكاسـيت الدينـي - سـوق الكتـب الدينيـة)، وهـل هنـاك مداومـة عـلى الـدروس الدينيـة، وقـراءة القـرآن وحفظـه وتفسـيره؟، وهـل هنـاك قـراءة في كتـب الـتراث والسـنة والفقـه، ومـن أصحابهـا؟، وهـل هنـاك معرفـة بالمذاهـب الدينيـة المختلفـة، ومـا الموقـف منهـا؟

وجـاء المحـور الثـاني للتعـرف عـلى الدوافـع وراء ارتـداء النقـاب عـبر مجموعـة مـن التسـاؤلات حـول مـن الـذي أقنعهـا بارتـداء النقـاب؟ ومنـذ متـي ترتديـه؟ وهـل كان هنـاك

منتقبات بالأسرة؟ وما هي ردود فعل الأسرة والجيران والزملاء بعد ارتداء النقاب؟ وهل هناك إمكانية للعودة وترك النقاب؟ وهل هناك من يدعوها ويحرضها على ترك النقاب؟

وأتى المحور الثالث للتعرف على موقف المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي عبر مجموعة من التساؤلات حول رأيها في المجتمع بشكل عام، ورأيها في النظام السياسي الحاكم، وهل يساعد المجتمع والنظام السياسي على التدين وارتداء النقاب أم العكس؟ وهل تشاهد التليفزيون؟ وأي البرامج المفضلة لديها؟ وهل تتابع الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر والعالم الخارجي؟ وما هو النموذج الأفضل للحكم من وجهة نظرها للمجتمع المصري؟ (العلماني - السعودي – التركي)

أما المحور الرابع فقد جاء للتعرف على السلوك التفاعلي في الحياة اليومية عبر مجموعة من التساؤلات حول رأي المنتقبات في غير المنتقبات سواء في المجتمع بشكل عام أو في الأسرة أو الجيران أو الزملاء، وما هي نظرتهن للمحجبة والسافرة؟ وهل لديها أصدقاء من غير المنتقبات؟ وهل تعتبر المنتقبة أكثر تدينًا من غير المنتقبة؟ وما موقفها من الاختلاط بين الرجل والمرأة في التعليم والعمل؟ وما هي نظرتها للمرأة غير المسلمة؟ وهل تتعامل معها؟ وما هو موقفها من الأجانب غير المسلمين؟ وهل سيدخلون الجنة؟ وما هو رد فعلها إذا رفضت ابنتها ارتداء النقاب؟ وكيف تقنع الآخرين بارتداء النقاب عبر الحجج والبراهين الدينية؟ وهل تقبل زواج زوجها بأخرى؟

وبالإجمال اشتمل دليل دراسة الحالة على ٤٧ سؤال مفتوح (انظر ملاحق الدراسة).

خامسًا: خصائص حالات الدراسة:

تضمنت الخصائص الرئيسية لحالات الدراسة عدة متغيرات، أولها متغير العمر، وقد راعينا أن يكون متنوعًا وقد جاء متراوحا بين ١٩ عامًا و٦٠عامًا، وجاء متغير الحالة الاجتماعية أيضًا متنوعًا بين متزوجات وغير متزوجات ومطلقات، أمّا متغير المهنة فقد شهد تباينًا حيث جاءت أغلب حالات الدراسة من غير العاملات يليها

الطالبـات ثـم العامـلات في وظائـف بأجـر، وجـاء محـل الإقامـة ليشـمل الريـف والحـضر، واهتمامنـا برصـد عـدد سـنوات النقـاب والتـي تراوحـت بـين أقـل مـن عـام و٣٤ عامًـا، وكذلـك راعينـا رصـد العمـر عنـد النقـاب والـذي تـراوح بـين ١٢ عـام و٣١عـام، كـما يتضـح مـن الجـدول رقم (١)

جدول رقم (١)

يوضح الخصائص الرئيسية لحالات الدراسة

الحالة	العمر	الحالة الاجتماعية	المهنة	المنطقة السكنية	عدد سنوات النقاب	العمر عند النقاب
الأولى	٢٠	عزباء	طالبة	البساتين	٥	١٥
الثانية	٢٠	متزوج	لا تعمل	فيصل	٣	١٧
الثالثة	١٩	عزباء	طالبة	العاشر من رمضان	٧	١٢
الرابعة	٢١	متزوجة	طالبة	الهرم	٦	١٥
الخامسة	٢٥	متزوجة	لا تعمل	الهرم	١٢	١٣
السادسة	٢٠	عزباء	طالبة	فيصل	٣	١٧
السابعة	٢٣	عزباء	طالبة	صفط اللبن	أقل من عام	٢٥
الثامنة	٣٦	متزوجة	محفظة قرآن	الشرقية	١٢	٢٤
التاسعة	٢٤	متزوجة	لا تعمل	المرج	أقل من عام	٢٣
العاشرة	٣٧	مطلقة	معلمة	الخانكة	١٢	٢٥
الحادي عشر	٤٣	متزوجة	لا تعمل	الخانكة	٢١	٣١
الثاني عشر	٤٠	متزوجة	محفظة قرآن	الخانكة	١٢	٢٨
الثالث عشر	١٩	عزباء	طالبة	حلمية الزيتون	٥	١٤
الرابع عشر	٣٦	متزوجة	لا تعمل	عين شمس	١٥	٢١
الخامس عشر	٢٠	عزباء	طالبة	مصر الجديدة	٨	١٢
السادس عشر	٣٠	متزوجة	لا تعمل	الشرقية	١٥	١٥

السابع عشر	٤٩	متزوجة	لا تعمل	الشرقية	٣٤	١٥
الثامن عشر	٣٠	متزوجة	لا تعمل	الشرقية	٧	٢٣
التاسع عشر	٢٦	متزوجة	مدرسة لغة عربية	البدرشين	١٣	٢٣
العشرون	٤٨	متزوجة	لا تعمل	البدرشين	٢٥	٢٣
الحادي و العشرون	٢٠	عزباء	طالبة	المنيا	٦	١٤
الثاني و العشرون	٢٢	متزوجة	طالبة	بني سويف	أقل من عام	٢١
الثالث و العشرون	٣٨	متزوجة	لا تعمل	العياط		
	١٧	٢١				
الرابع و العشرون	٤٣	متزوجة	لا تعمل	الفيوم	١٩	٢٤
الخامس والعشرون	٦٠	مطلقة	عاملة في أحد المصانع الحربية	حلمية الزيتون	٣٠	٣٠
السادس والعشرون	٤٣	متزوجة	لا تعمل	الطرفاية		
	٣٠	١٣				
السابع والعشرون	٣٨	متزوجة	لا تعمل	أطفيح		
	١٨	٢٠				
الثامن و العشرون	٢٠	عزباء	طالبة	البحيرة	٢	١٨
التاسع و العشرون	٤١	متزوجة	لا تعمل	الصف		
	٢٢	١٩				
الثلاثون	٣٩	متزوجة	مدرسة	البدرشين		
	٢٠	١٩				

وبالنظـر للتركيـب العمـري لحـالات الدراسـة يتضـح أن مـا يقـرب مـن نصـف الحـالات تحـت سـن الثلاثـين عامًـا (١٤) حالـة في حـين جـاءت (٨) حـالات في الفئـة العمريـة مـن ٣٠ إلي أقـل مـن ٤٠، وهـو مـا يعنـي غلبـة الطبيعـة الشـابة عـلى حـالات الدراسـة، في حـين جـاءت (٧) حـالات فقـط في الفئـة العمريـة مـن ٤٠ إلى أقـل مـن ٥٠، أمّـا مـن تجـاوز عمـر السـتون عامًـا فكانـت حالـة واحـدة، وهـو مـا يمكـن تفسـيره في ضـوء أن الظاهـرة بالفعـل تعـد جديـدة عـلى المجتمـع المـصري، ولم تنتـشر بشـكل كبـير إلا في الآونـة الأخـيرة. (انظـر الجـدول رقـم ٢)

الجدول رقم (٢)

يوضح التركيبة العمرية لحالات الدراسة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٢٠	٢	٦,٧
من ٠٢ إلى أقل من ٣٠	١٢	٤٠
من ٣٠ إلى أقل من ٤٠	٨	٢٦,٧
من ٤٠ إلى أقل من ٥٠	٧	٢٣,٣
من ٥٠ إلى أقل من ٦٠	-	-
٦٠ فأكثر	١	٣,٣
المجموع	٣٠	١٠٠٪

وفيـما يتعلـق بالحالـة الاجتماعيـة فقـد جـاء ثلثـي حـالات الدراسـة مـن المتزوجـات مقابـل (٨) حـالات مـن غـير المتزوجـات، وحالتـين فقـط مطلقـات، ويعكـس ذلـك الطبيعـة العمريـة لحالات الدراسـة التـي تراوحـت بـين ١٩ و٦٠عامًـا، وهـي المرحلـة العمريـة التـي تشـهد عمليـة الـزواج لذلـك ارتفعـت نسـبة المتزوجـات، ويلاحـظ أن هنـاك نوعًـا الاسـتقرار الأسري في إطـار عمليـة الـزواج بـين حـالات الدراسـة لذلـك نـدرت حـالات الطـلاق (انظـر الجـدول رقـم ٣).

جدول رقم (٣)

يوضح الحالة الاجتماعية لحالات الدراسة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
عزباء	٨	٢٦,٧
متزوجة	٢٠	٦٦,٦
مطلقة	٢	٦,٧
المجموع	٣٠	١٠٠٪

أمّا بالنسبة لمتغير المهنة، فقد جاء ما يقرب من نصف حالات الدراسة (١٤) حالة بدون عمل، مقابل ثلث الحالات (١٠) طالبات جامعيات، في حين جاءت ثلاثة حالات تعمل معلمات، وحالتين محفظات للقرآن، وحالة واحدة عاملة بمصنع، وتبرز الحالة المهنية ميل المنتقبات للجلوس بالبيت بدون عمل، ومن يعملن منهن يكون إما في التدريس أو تحفيظ القرآن، وهو ما يعني أن فرص عمل المنتقبات أقل من غير المنتقبات داخل المجتمع، ويمكن تفسير ذلك في ضوء عدم تقبل المجتمع للنقاب من ناحية، وإعاقة النقاب لعمل النساء في بعض الأعمال من ناحية أخرى، وتفضيل المنتقبات وأزواجهم جلوسهم بالبيت وعدم الاختلاط من ناحية ثالثة. (انظر الجدول رقم ٤).

جدول رقم (٤)

جدول يوضح الحالة المهنية لحالات الدراسة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
طالبة	١٠	٣٢,٢
مدرسة	٣	١٠
محفظة قرآن	٢	٦,٧
عاملة بمصنع	١	٢,٣
لا تعمل	١٤	٤٦,٧
المجموع	٣٠	١٠٠٪

وفيما يخص محل الإقامة فقد جاءت (١٦) حالة تقيم في الريف، مقابل (١٤) حالة تقيم في الحضر، مع ملاحظة أن سكان الحضر يقيمون إمّا في مناطق سكنية

قريبـة مـن الريـف أو في بعـض المناطـق الشـعبية والعشـوائية، في حـين جـاءت حالـة واحـدة فقـط تقيـم في حـي مـصر الجديـدة، وحالـة أخـرى تقيـم في مدينـة العـاشر مـن رمضـان أحـد المـدن العمرانيـة الجديدة.ويتضـح مـن خـلال ذلـك أن المناطـق والأحيـاء السـكنية الريفيـة والشـعبية والعشـوائية الفقـيرة داخـل المـدن هـي الأكـثر جذبًـا للنسـاء مرتـدي النقـاب، وهـو مـا يمكـن تفسـيره في ضـوء تواجـد الجماعـات السياسـية الإسـلامية بشـكل أكـبر داخـل هـذه البيئـات سـواء الريفيـة أو الحضريـة الفقـيرة. (انظـر الجـدول رقـم ٥).

جدول رقم (٥)

يوضح التوزيع الجغرافي لحالات الدراسة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
ريف	١٦	٥٣,٣
حضر	١٤	٤٦,٧
المجموع	٣٠	٪١٠٠

أمّـا بالنسـبة لعـدد سـنوات النقـاب فقـد جـاءت نصـف حـالات الدراسـة تقريبًـا (١٣) حالـة ارتـدت النقـاب في العـشر سـنوات الأخـيرة، ومـا يزيـد عـن ثلـث الحـالات (١١) حالـة ارتـدت النقـاب في العـشر سـنوات الأولي مـن الألفيـة الثالثـة، وهـو مـا يعنـي أن الظاهـرة قـد بـدأت في التنامـي خـلال العقديـن الأخريـن، أمّـا الحـالات التـي ارتـدت النقـاب قبـل العشريـن عامًـا الأخـيرة فقـد بلغـت (٦) حـالات فقـط، وهـو مـا يمكـن تفسـيره في ضـوء التنامـي التدريجـي للظاهـرة خـلال عقـدي الثمانينيـات والتسـعينيات مـن القـرن العشريـن وتسـارعها مـع حلـول الألفيـة الثالثـة. (انظـر الجـدول رقـم ٦).

جدول رقم (٦)

يوضح عدد سنوات النقاب لحالات الدراسة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من عام	٣	١٠
١ إلى أقل من ٥	٣	١٠
٥ إلى أقل من ١٠	٧	٢٣,٣
١٠ إلى أقل من ١٥	٦	٢٠
١٥ إلى أقل من ٢٠	٥	١٦,٧
٢٠ إلى أقل من ٢٥	٢	٦,٧
٢٥ إلى أقل من ٣٠	١	٣,٣
٣٠ فأكثر	٣	١٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪

وفيما يتعلق بالعمر عند ارتداء النقاب فقد جاءت (٧) حالات في المرحلة العمرية من ١٠ إلى أقل من ١٥ عام، ثم (٩) حالات في المرحلة العمرية من ١٥ إلى أقل من ٢٠ عام، وهو ما يعني أن أكثر من نصف حالات الدراسة قد ارتدين النقاب قبل سن العشرين، وهي سن مبكرة لا تكون الفتاة قد امتلكت الوعي الديني الكافي الذي يمكنها من اتخاذ مثل هذا القرار، في حين جاءت (١٠) حالات ارتدين النقاب من المرحلة العمرية من ٢٠ إلى أقل من ٢٥عام، وحالتين ارتدت النقاب في المرحلة العمرية من ٢٥ إلى أقل من ٣٠ عام، وحالتين مثلهما ارتدته بعد الثلاثين، وهو ما يعني أن الجماعات الإسلامية السياسية تكثف جهودها لإقناع الفتيات صغار السن بارتداء النقاب. (انظر الجدول رقم ٧).

جدول رقم (٧)

يوضح العمر عند ارتداء النقاب

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
من ١٠ إلى أقل من ١٥	٧	٢٣,٣
من ١٥ إلى أقل من ٢٠	٩	٣٠
من ٢٠ إلى أقل من ٢5	١٠	٣٣,٣
من ٢٥ إلى أفل من ٣٠	٢	٦,٧
من ٣٠ فأكثر	٢	٦,٧
المجموع	٣٠	١٠٠

سادسًا: صعوبات الدراسة:

١. واجهـت الدراسـة الراهنـة عـدة صعوبـات كادت توقـف العمـل وتنهـي تمامًـا الأمـل في إجـراء مثـل هـذا العمـل العلمـي، وجـاءت في مقدمـة هـذه الصعوبـات نـدرة الـتراث البحثـي حـول بحـوث ودراسـات الوعـي الدينـي والنقـاب.

٢. أمّـا الصعوبـة الثانيـة فقـد واجهـت الباحـث الرئيـس وهـو رجـل يحـاول اقتحـام أسـوار ظاهـرة نسـائية مغلقـة، وعـالم ملـئ بـالأسرار ويحـرم فكـرة الاقـتراب والاختـلاط، وعـلى الرغـم مـن اهتمامـه بدراسـة جماعـات الإسـلام السـياسي، إلا أنـه وجـد صعوبـة في إمكانيـة التواصـل مـع مجتمـع البحـث.

٣. تعطـل العمـل الميـداني طويـلًا، فخـلال ثـلاث سـنوات كاملـة لم يتمكـن الباحـث الرئيـس إلا مـن تطبيـق خمـس حـالات فقـط مـن منتقبـات مقربـين وعـبر وسـطاء وبعـد محـاولات مضنيـة لإقناعهـن بالحديـث والإجابـة عـلى كل تسـاؤلات الدليـل بحريـة تامـة.

٤. كثـير مـن الحـالات التـي تـم التواصـل معهـا ورغـم المعرفـة ووجـود وسـطاء رفضـن في النهايـة اسـتكمال أسـئلة دليـل دراسـة الحالـة.

٥. بعــد ســنوات مــن التعطــل قــرر الباحــث الرئيــس الاســتعانة بفريــق عمــل مــن النســاء لتســهيل عمليــة جمــع البيانــات، وبالفعــل خــلال العامــين الأخيريــن تمكــن

فريـق العمـل البحثـي النسـائي مـن اسـتيفاء خمسـة وعـشرون حالـة مـن المنتقبـات ليصـل إجـمالي الحـالات إلى ثلاثـين حالـة وجدنـا أنهـا صالحـة للبحـث والدراسـة والخـروج ببعـض النتائـج تسـاعد عـلى فهـم الظاهـرة، ويعـترف فريـق البحـث بمحدوديتهـا لذلـك لا يدعـي إمكانيـة التعميـم مـن خلالهـا.

٦. بذلـت الباحثـات مجهـودًا كبـيرًا مـن أجـل إقنـاع حـالات الدراسـة بإجـراء المقابـلات معهـن، وبالطبـع كان المجهـود الأكـبر في إقناعهـن بالإجابـة عـلى كل أسـئلة الدليـل، والاسـتمرار حتـى النهايـة، واسـتيفاء كل البيانـات المطلوبـة.

٧. بالطبـع تحـول البحـث مـن فـردي إلى جماعـي أدي إلى صعوبـات في التوافـق حـول أهـداف البحـث، لكـن الالتـزام بالموضوعيـة العلميـة حسـم كثـير مـن أوجـه الاختـلاف في التوجهـات الأيديولوجيـة للباحثـين.

***

الفصل السابع

الدوافع وراء إرتداء النقاب

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل تحقيق أحد أهداف الدراسة الراهنة، والإجابة على واحد من تساؤلاتها الفرعية المطروحة، وسوف نعتمد بشكل أساسي على نتائج دراسة الحالة، والتحليل الكيفي لها، من أجل التعرف أولًا على الدوافع والأسباب المختلفة وراء إرتداء النقاب، وثانيًا رصد موقف الأسرة والجيران وردود أفعالهم حول إرتداء النقاب، وثالثًا الكشف على الضغوط التي تتعرض لها المنتقبة من أجل ترك النقاب، وقدرتها على الصمود والمقاومة والاستمرار في ارتدائه.

أولًا: الدوافع والأسباب المختلفة وراء ارتداء النقاب:

لقد تنوعت الدوافع والأسباب المؤدية إلى إرتداء حالات الدراسة للنقاب، فجاءت الدوافع الشخصية دون التأثير من أحد في المقدمة، حيث أكدت (١٤) حالة على ذلك، وأشارت الحالة رقم (٧) إلى أنها ارتدت النقاب بسبب « كثرة الفتن، حتى لا أكون سبب في فتنة الشباب، كما أنه واجب على كل مسلمة ستر وحجب مفاتنها، بحيث لا يرى منها شيء».

أما الدافع الثاني فقد كان من خلال الصديقات سواء في الجامعة أو المسجد، حيث أكدت (٧) حالات على ذلك، وأشارت الحالة رقم (٢٩) « أقنعتني به إحدى صديقاتي في المدينة الجامعية عندما كنت في الفرقة الثانية، رغم أنني كنت أرفضه تمامًا، إلا أنني بأسلوبها الجميل في الإقناع تحولت فكريًا تمامًا، وارتديته بل وأصبحت أدعو له «، وتشير كذلك الحالة رقم (٣) « أن بعض صديقاتي بالمدينة الجامعية كن يقومن بعمل حلقات دروس دينية، وكن منتقبات فتأثرت بهن».

أما الدافع الثالــث فقد كان الزوج، حيث أكدت (٤) حالات على ذلك، وأشــــارت الحالة رقم (٢٠) « لم أكن منتقبة قبل الزواج، لكن بعد الزواج بثلاث سنوات تقريبًا بدأ زوجي في حضور بعض الدروس الدينية في مساجد القرية ومساجد القرى المجاورة، وعلى أثرها أطلق لحيته، وأمرني بارتداء النقاب، عارضته في البداية، لكني استسلمت بعد ذلك لإصراره عليه «، وتشير الحالة رقم (٢٤) أيضًا « لم أقتنع، وإنما فرضه زوجي علي، أنا في الأصل عندما تزوجت لم أكن قد إرتديت الحجاب ذاته وليس النقاب، وبعد أن خطبني زوجي ألزمني بالحجاب، وبعد الزواج ألزمني بالنقاب، حاولت لشهور إقناعه بعدم ارتدائه مرات باللين ومرات بالشدة، ولكنه كان ثابت على موقفه بضرورة ارتدائه فارتديته على مضض في البداية، وكنت أرتديه حال خروجي فقط، وعندما كنت أذهب لزيارة بيت أهلي كنت أخلعه هناك وأرتديه حينما أعاود إلي بيتي «.

وجاء الدافع الرابع من خلال أحد أفراد العائلة، حيث أكدت حالتين على ذلك، وتشير الحالة رقم (٢٦) « أسرتنا جميعها ملتزمين، لكن أخي الأكبر كان أشدهم إلتزامًا، وهو من أقنعني أنا وأخوتي البنات جميعًا بارتداء النقاب في سن صغيرة.»

وبالنسبة للدافع الخامس فهو التأثر بالمعلمة سواء في المدرسة أو المسجد، حيث أكدت حالتين على ذلك، وتشير الحالة رقم (١) « أن معلمتي في المسجد أقنعتني بكلام الله وآيات من القرآن الكريم، وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وتشير الحالة رقم (٣) أيضًا « أحببته بسبب معلمتي في المدرسة، حيث كان قدوة حسنة لي».

أما الدافع السادس والأخير فقد كان التأثر بمشايخ سوق الكاسيت، وعبرت عنه حالة واحدة، وهي الحالة رقم (٢٧)، حيث أشارت إلى أنها « سمعت الكثير من شرائط الكاسيت حينها للشيخ محمد حسان، وكنت أقرأ القرآن كثيرًا، فكان للقرآن التأثير الأكبر في تفكيري في إرتداء النقاب، فقد شعرت أن النقاب سوف يزيدني إلتزامًا، وكنت وقتها في آخر سنة في المرحلة الجامعية، وكنت أسكن المدينة الجامعية، وكان يسودها جو من الإلتزام بين زميلاتي الطالبات الجامعيات، مما شجعني أكثر على ارتدائه».

ويتضح من خلال العرض السابق تنوع وتعدد الدوافع والأسباب وراء ارتداء النقاب، حيث يلاحظ أن ما يقرب من نصف حالات الدراسة توجهوا لارتداء النقاب من أنفسهم، وكانت دوافعهم رغبة خاصة في عدم الفتنة، وإتقاء شر المعاكسات، وما يتعرضن له من الشباب، وهي دوافع بعيدة عن الدين بل دوافع اجتماعية خالصة، يليها ما يقرب من ربع حالات الدراسة كان السبب هو تأثير الزميلات، خاصة داخل المدن الجامعية، حيث المعايشة لفترات طويلة، والقدرة على التأثير في الفكر والسلوك، أمّا إجبار الزوج والأهل فقد برز من خلال بعض الحالات، وهو ما يعني أن ارتداء النقاب لم يكن عن قناعة شخصية، ثم تأثير المعلمات في المدارس والمساجد ومشايخ الكاسيت جاءت في المؤخرة، وهو ما يمكن تفسيره بأن الدوافع الدينية لإرتداء النقاب بعد القراءة والإطلاع وامتلاك الفهم والوعي الديني لم تكن متوفرة لدي غالبية حالات الدراسة.

وفي محاولة التعرف إذا ما كانت الدوافع والأسباب وراء إرتداء النقاب قد جاءت عبر فهم لصحيح الدين من خلال معرفة الأدلة والبراهين المستمدة من النصوص الدينية، جاءت نتائج دراسة الحالة لتؤكد انخفاض مستوى المعارف والمعلومات الدينية المستقاة من النصوص الدينية التي تتحدث عن ضرورة إرتداء النقاب، وفي هذا الإطار جاءت نصف حالات الدراسة تقريبًا تكرر عبارات أنه تقربًا وطاعة وإرضاء لله، دون القدرة على تقديم استشهاد أو نص واحد سواء من القرآن أو من السنة النبوية، حيث أكدت الحالة رقم (١١) أنه « إلتزام بالشريعة وإتباع للسنة»، وأكدت الحالة رقم (٢٩) «رضا الله سبحانه وتعالي يوم القيامة سيحكم الله سبحانه وتعالي في الأمور المختلف فيها، فإذا حكم في أمر النقاب وكان فرضًا فكيف سيكون حالي وقد تخليت عن أحد الفروض».

وهناك ما يقرب من ثلث حالات الدراسة عجزت عن تقديم أي مبرر ديني، وكان المبرر الاجتماعي المرتبط بالإحتشام والخجل والحماية من عيون الرجال والتحرش في الشوارع هو الدافع للنقاب، حيث أكدت الحالة رقم (١٢) أن « النقاب عفة أو حماية من نظرات الناس، وحماية من التحرش في الشوارع»، وأشارت الحالة رقم (٢٧) «أنني كنت شديدة الإنطواء والخجل والميل للوحدة، وفي بلدتنا كان الرجال يتنطعون في

الطرقات يحدقون النظر في كل من تسير في الطريق، فكنت أجد معاناة شديدة، لذلك فكرت في النقاب ليحميني من أعينهم وتنابذهم بالكلام».

وجاءت باقي حالات الدراسة لتؤكد أن الدافع كان من أجل طاعة الزوج، أو الخضوع لإرادته، والبعد عن الذنوب، حيث أشارت الحالة رقم (٢٤) « إنني إرتديته ليس لرغبة مني، لكن استسلمت لرغبة زوجي»، وأكدت الحالة رقم (٢٨) «أنه يعينني على عدم إقتراف ذنوب كنت سأتهاون واقترفها لو لم أكن أرتديه».

ويمكن القول خلاصة أن كل حالات الدراسة باستثناء حالة واحدة فقط هي من تمتلك القدرة والوعي الحقيقي عبر إمتلاكها للمعارف والمعلومات الدينية التي تدافع بها عن إرتدائها للنقاب من خلال بعض النصوص الدينية سواء من القرآن أو من السنة النبوية، وهي الحالة رقم (١)، حيث أكدت «أنه أمر من الله عز وجل، وهو فرض مثل الصلاة والصوم والذكاة، حيث قال الله تعالي في كتابه العزيز{ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا } (سورة الأحزاب آية ٥٩)، والنداء هنا من الله إلي النبي بأن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين، وهل أنا لست مؤمنة، وأسمع كلام ربي ورسولي، حيث قال تعالي { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالًا بينًا } (سورة الأحزاب آية ٣٦)، فهذا ليس خيار مني، وإنما هو أمر ربي، وهذا هو السبب الأول والدافع الأساسي للنقاب».

وبغض النظر عن تأويل وتفسير النصوص، إلا أننا هنا لا نحكم على ذلك، وإنما نحكم بأن هذه الحالة هي الوحيدة من بين حالات الدراسة التي قدمت أدلة وبراهين من خلال النصوص الدينية كانت من أهم دوافعها لإرتداء النقاب، في حين لم تقدم باقي حالات الدراسة أية إستشهادات من النصوص الدينية، نظرًا لضعف معارفهم ومعلوماتهم الدينية، وهو ما يؤكد إنخفاض نسبة الوعي الديني لديهن خاصة وأننا نعتبر الجانب المعرفي هو المكون الأول من مكونات تشكيل الوعي.

ثانيًا: النقاب داخل الأسرة وردود الفعل تجاهه:

لقد أكدت (١٦) حالة من حالات الدراسة أنهم كانوا الأسبق بارتداء النقاب، فلم تكن داخل الأسرة قبلهن حالات ترتدي النقاب، مقابل (١٤) حالة ارتدين النقاب من خلال وجود أخريات داخل الأسرة يرتدين النقاب، وبالطبع جاءت ردود فعل الأسرة تجاه النقاب متفاوتة، حيث وافق أفراد الأسرة ورحبوا بارتداء النقاب لدي (١٥) حالة بل وقاموا في بعض الأحيان بالتشجيع، وهي في الغالب الحالات التي كان لديها آخرين من الأسرة يرتدين النقاب، في حين جاءت (١٠) حالات قوبل النقاب بالرفض التام بل ومحاربة الأسرة للحالة، حيث تؤكد على ذلك الحالة رقم (٢٧) بقولها « حاربتني أسرتي كثيرًا حينما أخبرتهم أنني سوف أرتدي النقاب، ورفضت أمي رفضًا شديدًا، وقالت أنني إذا أرتديت النقاب فسوف تتبرأ مني وتغضب على ولكنني لم أستسلم، وظللت أحاول أقنعها به مرارًا وتكرارًا، وهي تكرر أني إذا ارتديته فقد حكمت على نفسي بالعنوسة بقية حياتي، وساعدها على ذلك خالاتي اللاتي كن يؤذونني كثيرًا بالكلام والنبذ، وقمت بتقبيل جبين ويد أمي حتى توافق وتسمح لي بإرتدائه من شدة ما رأت من حزني وتعبي وافقت، لكنها ظلت تسيئ معاملتي حتى تقبلتني بعد حين».

وهناك خمس حالات قوبلت بالرفض من جانب بعض أفراد الأسرة وقبول من البعض الآخر، حيث أكدت على ذلك الحالة رقم (٣٠) « رحبت أمي بارتداء النقاب لأنها شديدة الإلتزام وتحب العفة، وقد رأت منه رمزًا للعفة، أمّا أبي فقد عارضني لأنه كان يري أنه يعوقني عن العمل خاصة وأنه كان بسيط الحال، وكان عددنا كبير وكان ينتظر أن ننهي دراستنا الجامعية، ونعمل بالتدريس ونساعده على تجهيز أنفسنا للزواج أنا وأخواتي».

وفيما يتعلق بموقف ورد فعل الجيران والزملاء فقد جاءت (١٥) حالة ترفض الفكرة تمامًا بل وتسخر وتستهزأ بالنقاب، وهناك من أبدوا فقط إندهاش وذهول، وفي هذا الإطار تؤكد الحالة رقم (٢٩) « أن أكثر الجيران معارضة لارتدائي النقاب كانوا إخوان صديقتي، وكانوا ينتمون إلي جماعة الإخوان المسلمين، واتهموني بالتشدد وراهنوني على إعطاء دليل واحد على وجوب النقاب، واتهموني بأنني أستحدث في الدين ما ليس فيه، أما زميلاتي فقد اتهموني بالتشدد» وفي نفس الاتجاه أكدت الحالة رقم (٣٠) « عارض الجيران ارتدائي للنقاب خوفًا من أن يعيقني عن الزواج، أمّا الزملاء فقد اتهموني بالتخلف والتشدد وعارضوا ارتدائي له بشدة ».

ومقابل الرافضين جاءت (٩) حالات لتؤكد على الموقف الإيجابي والمؤيد لإرتداء النقاب من الجيران والزملاء بل قاموا بالتشجيع والتهنئة والمباركة والدعاء بالثبات، حيث أكدت الحالة رقم (٢٠) « لم يندهش الجيران كثيرًا لأننا في القرية الزي الرسمي للمرأة المتزوجة هو ما يسمي (بالملس) فهو ثياب لونه أسود شديد الإتساع والطول نرتديه ونرتدي فوقه طرحة شفافة نضعها على الرأس ونغطي بها الوجه، وهي لا تختلف كثيرًا عن النقاب، ولكن الفرق أننا نرتديه في حال الخروج من المنزل فقط، بمعني أننا في المنزل إذا حضر لدينا ضيوف حتى لو رجال فإننا نجلس أمامهم بوجوهنا مكشوفة عكس النقاب الذي نرتديه أمام كل محرمًا لنا حتى من الأقارب سواء داخل المنزل أو خارجه»، وتؤكد أيضًا الحالة رقم (٢٥) «أن الجيران لم يشعروا بارتدائي النقاب، فنحن نعيش في منطقة كل من الجيران مشغولًا بحاله ولا يوجد إختلاط بين الجيران، أما زملائي في العمل فقد شجعوني على هذه الخطوة فهم من اصطحبوني لدروس العلم، وهم مثلي يحبون النقاب».

ويتضح من خلال العرض السابق أن المنتقبات كبار السن الذين ارتدين النقاب منذ فترة طويلة كانوا في الغالب أول من يرتدي النقاب في الأسرة، وأيضًا الحي السكني، لذلك تفاوتت ردود الفعل سواء من الأسرة والجيران وزملاء العمل بين الرفض التام والإعتراض والإستنكار و السخرية ثم القبول التدريجي مع مضي الوقت، وهو ما يمكن تفسيره في ضوء أن الظاهرة كانت جديدة على المجتمع المصري، وبالتالي لم تلقَ قبولًا اجتماعيًا في البداية، أمّا الحالات التي ارتدين النقاب مؤخرًا فغالبًا كانت هناك من سبقهن بالنقاب داخل الأسرة أو بين الجيران والزملاء، وهو ما أدي إلى الترحيب بل التشجيع على إرتداء النقاب وعدم معارضته، ولعل من الحالات التي واجهت معارضة شديدة داخل الأسرة والعمل هي الحالة رقم (٢٥)، والتي ارتدت النقاب منذ ثلاثين عامًا تقريبًا، حيث أكدت « أن زوجها اعترض حفاظًا على عملها لأنه كان يعلم جيدًا أن جهة عملي لن توافق على إستمراري في العمل بعد إرتداء النقاب، حيث أنه كان زميلي في العمل، وبالفعل لم توافق جهة عملي على استمراري في العمل فقدمت استقالتي».

وعلى الرغم من الإعتراض على النقاب في البداية ثم الموافقة عليه سواء داخل الأسرة أو الجيران أو الزملاء إلا أن هذا الجدل حول الموافقة أو الإعتراض هو جدل إجتماعي بالأساس، فغالبية الذين كانوا يرفضون النقاب لم يقدموا مبررات دينية، ولم تقدم المنتقبة مبررًا دينيًا لارتدائه، وكان خوف المعترضين دائمًا خوفًا من عنوسة الفتاة وتأخر سن الزواج، حيث تشير الحالة (٢١) « لقد عارضت أسرتي في البداية خاصة والدتي خوفًا من ألا أتزوج، لكنني أقنعتها بأن الزواج بيد الله ولن يعوقه النقاب، فاقتنعت وسمحت لي بارتدائه».

وجاءت حالة واحدة فقط من بين حالات الدراسة هي التي دار بينها وبين أفراد الأسرة والجيران والزملاء حوار ديني حول الموافقة أو الإعتراض على إرتداء النقاب، وهي الحالة رقم (٢٩) التي عارضها بعض الجيران من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين والذين أكدوا أنه لا يوجد سند ديني من النصوص الدينية يؤكد أنه فرض، بل إعتبروه تشددًا واستحداث في الدين ما ليس فيه، وهذا بالطبع يؤكد ما ذهبنا إليه سابقًا في فصل التطور التاريخي لظاهرة النقاب، بأن الجماعات السياسية الإسلامية ومنها بالطبع جماعة الإخوان المسلمين قاموا باستخدام قضية النقاب سياسيًا لإتهام النظام السياسي بمحاربة الدين، رغم علمهم بأن النقاب إستحداث في الدين ما ليس فيه وتشددًا وتزايدًا بعيدًا عن النصوص الدينية في القرآن والسنة، وهو ما تؤكد عليه المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر الشريف) لكنه محاولة لتشويه النظام السياسي في إطار الصراع على السلطة، وعلى الرغم من إنتشار وشيوع النقاب في فترة حكم الإخوان المسلمين إلا أن غالبية قيادات الجماعة لا ترتدي زوجاتهن ولا بناتهن النقاب.

ثالثًا: النقاب والضغوط المختلفة لتركه:

ومن خلال إستطلاع رأي حالات الدراسة حول إمكانية ترك النقاب أكدت كل حالات الدراسة باستثناء حالة واحدة إستحالة ترك النقاب، وأكدت الحالة رقم (١) أنه « والذي نفسي بيده ما أعود أبدًا، ولا أترك نقابي حتى يقبض الله روحي، وأنا على ذلك النقاب، وهل يمكن أن أترك صلاتي أو صوم رمضان، إذا كان ذلك ممكن

فيمكـن أن أتـرك النقـاب، ولا يوجـد إمكانيـة أن أعـود مهـما حـدث، وهـذا ليـس بقـوتي أنـا، إنمـا بقـوة إسـتعانتي باللـه، ودعـائي بـأن يثبتنـي عليـه حتـى ألقـاه «، وتشـير الحالـة رقـم (٤) أيضًـا» لا إن شـاء اللـه، مـع إني فكـرت في خلعـه كثـيرًا جـدًا، لكنـي لم أسـتطع أبـدًا، كل مـا أفكـر إني أخلعـه ربنـا يعاقبنـي ولازم تحصـلي حاجـة في وشي «، وأكـدت عـلى ذلـك الحالـة رقـم (١٩) « النقـاب لا يعوقنـي عـن شيء أبـدًا، فأنـا أعمـل بالتدريـس، وأكمـل دراسـتي العليـا في تخصـصي الـذي أحبـه، وعندمـا سـجلت مـع أسـتاذ يكـره المنتقبـات، وحـاول إعاقتـي وعطـل سـير دراسـتي إنتقلـت للتسـجيل مـع أسـتاذ آخـر بجامعـة أخـري، والأمـر يسـير عـلى مـا يـرام والحمـد للـه»، أمّـا الحالـة التـي أكـدت عـلى أنهـا بالفعـل يمكنهـا تـرك النقـاب وتفكـر في ذلـك، فهـي مـن الحـالات التـي ارتـدت النقـاب منـذ ثلاثـون عامًـا، والغريـب أنهـا تركـت عملهـا واسـتقالت عندمـا قـررت إرتدائـه قبـل ثلاثـة عقـود ورفضـت جهـة العمـل إرتدائهـا للنقـاب، ومبررهـا الآن كـما ذكرتـه الحالـة رقـم (٢٥) «أنـا الآن مـن القواعـد مـن النسـاء، فقـد جـاوز عمـري السـتين وأشـعر باختنـاق مـن الخـروج بـه خاصـة في حالـة إرتفـاع درجـات الحـرارة، وأفكـر في تركـه وأستشـير أهـل العلـم في ذلـك».

ويتضـح مـن ذلـك أن غالبيـة حـالات الدراسـة قـد إعتـادت عـلى النقـاب، ولم تعـد تتعـرض لمضايقـات أو إعتراضـات مـن الأسرة أو الجـيران أو الزمـلاء، لذلـك يفضلـن البقـاء بالنقـاب، وهنـاك حـالات عديـدة أكـدت أن تمسـكها بالنقـاب ليـس بدافـع دينـي بـل مـن خـلال التعـود عليـه، فقـد أكـدت الحالـة رقـم (٢٤) « حتـى لـو كانـت هنـاك إمكانيـة لتركـه لـن أتمكـن مـن تركـه بسـهولة فقـد لازمنـي ١٩ عامًـا حتـي أصبحـت أشـعر أنـه جـزء منـي ولم يعـد لـدي عنفـوان الشـباب والرغبـة في إتبـاع صيحـات الموضـة في اللبـاس ولا الخـروج التـي كنـت أشـعر أن ارتـدائي لـه يقيـدني ويمنعنـي عنـه»، إذًا فالتمسـك بالنقـاب ليـس بالـضرورة بدافـع دينـي قـدر دوافعـه الاجتماعيـة والتعـود عليـه كأسـلوب حيـاة.

وفيـما يتعلـق بالدعـوة والتحريـض عـلى تـرك النقـاب أكـدت نتائـج حـالات الدراسـة أن (١٥) حالـة لم تتعـرض لأي ضغـوط أو دعـوات تحريضيـة عـلى تـرك النقـاب، وفي مقابـل ذلـك جـاءت (١٠) حـالات أكـدت عـلى أنهـن مازالـوا يتعرضـن لضغـوط لـترك النقـاب، وفي هـذا الإطـار أشـارت الحالـة رقـم (١) « أن هنـاك الكثـير ممـن يدعـوني ويحرضـوني عـلى

تـرك النقـاب وهـم الجـيران والأصحـاب وبعـض الأقـارب، وهـذا لأنهـم ليـس لديهـم علـم باللـه ولا بأحكامـه، فيقولـون مثـل قـول السـفهاء، وأنـا لا أبـالي لهـم، وألتمـس لهـم العـذر لأنهـم ليسـوا عـلى علـم بمـا يقولـون، كـما أني لا أعطـي لهـم الفرصـة أو أسـتمع إليهـم، بـل أقـوم بتغيـير الموضـوع أو أتركهـم وأذهـب «، وتؤكـد الحالـة رقـم (١٣) عـلى نفـس المعنـي «هنـاك الكثيريـن يحرضوننـي عـلى تـرك النقـاب لكنـي لا أسـتمع لهـم، ولا ألتفـت إليهـم»، وأشـارت الحالـة رقـم (٢١) أنـه « مـن حـين لآخـر تلمـح والـدتي مـن أن الكثـير مـن زمـلائي أو ممـن في نفـس عمـري تزوجـوا أو خطبـوا وأن عـدم خطبتـي إلى الآن سـببها ارتـدائي النقـاب في محاولـة منهـا لإقناعـي بـترك النقـاب، ولكننـي ثابتـة عـلى موقفـي»، وأكـدت الحالـة رقـم (٢٧) تعرضهـا لتهديـد مـن قبـل الأهـل « كان أهـلي وأخـوتي يهددوننـي أننـي سأسـجل عـلى قائمـة الإرهابيـين الذيـن يلاحقهـم أمـن الدولـة مـن حـين لآخـر، وأنهـم سـوف يلاحقـون أخـواتي الذكـور ظنـًا منهـم أنهـم وراء ارتـدائي للنقـاب، وكثـيرًا مـا كان أخـواتي يحرضوننـي عـلى تركـه خوفـًا عليهـم مـن ملاحقـة الجهـات الأمنيـة، ولكـن الآن لم يعـد هنـاك مـن يحرضنـي عـلى تركـه بعـد أن أصبحـت غالبـة نسـاء بلدتنـا منتقبـات».

وهنـاك (٥) حـالات أكـدت عـلى أنهـم تعرضـن في بدايـة ارتـداء النقـاب إلى دعـوات وتحريـض عـلى تركـه، ولكـن مـع الوقـت إقتنـع الجميـع بأنهـن لـن يتركـوه، لذلـك توقفـوا عـن حـالات التحريـض، وفي هـذا الإطـار تشـير الحالـة رقـم (٢٩) أن « أختـي كانـت تحرضنـي مـن وقـت لآخـر في حداثـة ارتـدائي لـه حتـى أتمكـن مـن إرتـداء مـا أريـده مـن ثيـاب، لأن النقـاب يقيـدني بلبـس أنـواع معينـة مـن الثيـاب وحتـى أعـود إلى سـابق عهـدي للجلـوس والتسـامر مـع أقاربنـا مـن الذكـور والإنـاث، ولكننـي لم أسـتجب لهـا، أمّـا الآن فـلا يوجـد أي تحريـض مـن جانـب أي أحـد عـلى تركـه».

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن الحـالات التي ارتـدت النقاب منذ فـترة طويلة ولم يكن النقاب شـائع داخـل المجتمـع بشـكل عـام وداخـل الأسرة والبيئـة المحيطة بشـكل خـاص تعرضـن إلى ضغـوط ومحاولات تحريض لتركه، لكن مع الإصرار وطول الفترة الزمنية وانتشـار النقاب في المجتمع توقفت عمليات التحريض، وبالطبـع لم تتعـرض المنتقبـات حديثـًا لمثـل هذه الضغـوط والتحريض على تـرك النقاب أولًا لشـيوعه داخل

المجتمع من ناحية، وثانيًا وجود آخرين داخل الأسرة والبيئة المحيطة ممن يرتدين النقاب من ناحية أخري، ويمكن تفسير تلك النتائج من خلال إعتياد المجتمع على ارتداء النساء للنقاب، لذلك توقفت عمليات التنمر ضد المنتقبات من قبل المجتمع سواء داخل الأسرة أو خارجها بين الجيران وزملاء الدراسة والعمل.

الإستخلاصات:

١. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن نصف حالات الدراسة تقريبًا ارتدين النقاب من خلال مبادرات شخصية دون تأثير مباشر من أحد، ودون محاولات للإقناع من أطراف خارجية، ويمكن تفسير ذلك في ضوء أن من ارتدين النقاب بمبادرة شخصية ينتمون إلى أسر تضم منتقبات سابقات.

٢. تشير نتائج الدراسة الميدانية كذلك أن النصف الآخر من حالات الدراسة قد ارتدين النقاب من خلال دعوات وتأثيرات خارجية تم حصرها في أصدقاء الدراسة والعمل، والأزواج وأفراد العائلة والمعلمات سواء في المدرسة أو المسجد ومشايخ سوق الكاسيت، وفي الغالب جاءت التأثيرات الخارجية للنساء اللاتي ارتدين النقاب في مرحلة مبكرة من عمر انتشاره داخل المجتمع المصري.

٣. تؤكد نتائج الدراسة الميدانية أن هناك تنوع في الدوافع والأسباب التي قادت حالات الدراسة إلى إرتداءالنقاب، لكن من الملاحظ ضعف المكون المعرفي الديني لدى حالات الدراسة، فعلى الرغم من تأكيد نصف حالات الدراسة على أن دوافعهم لإرتداء النقاب دينية من أجل طاعة ورضا الله إلا أنهم لم يتمكنوا من تقديم سند أو إستشهاد ديني واحد من النصوص سواء في القرآن أو السنة النبوية كمبرر لارتداء النقاب، باستثناء حالة واحدة، وهو ما يؤكد إنخفاض مستوى الوعي الديني لدي حالات الدراسة على مستوي المكون المعرفي الذي يشكل الجانب الأول من جوانب تشكيل الوعي كما طرحنا ذلك في الإطار النظري للدراسة والتعريف الإجرائي للوعي.

٤. وتشير النتائج الميدانية أن النصف الآخر من حالات الدراسة لم تكن دوافعهم وأسبابهم لإرتداء النقاب دوافع دينية بل كانت دوافع إجتماعية بشكل أساسي، حيث يعتبرونه نوع من الإحتشام، والحماية من عيون الرجال، والخوف من التحرش في الشوارع، هذا إلى جانب الإستسلام لرغبة الأزواج والأهل، وبالطبع فالمكون المعرفي الديني لدي هؤلاء النساء يعد ضعيف للغاية.

٥. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن ما يزيد قليلًا عن نصف حالات الدراسة لم تكن هناك قبلهن حالات في الأسرة ترتدين النقاب، وهن في الغالب من ارتدين النقاب منذ فترة زمنية طويلة، ولم يكن النقاب حينها معروفًا أو منتشرًا كزي داخل المجتمع المصري، لذلك واجه هؤلاء معارضة داخل أسرهم وبين الجيران وزملاء الدراسة والعمل، حيث تفاوتت ردود الأفعال بين الرفض التام والإعتراض والإستنكار والسخرية.

٦. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن ما يقل قليلًا عن نصف حالات الدراسة المتبقية واللاتي إرتدين النقاب بعد شيوعه وإنتشاره داخل المجتمع وكذلك داخل الأسرة والحي السكني وبين زملاء العمل والدراسة كانت ردود الأفعال مختلفة تمامًا، فلم تقابل بأي معارضة بل قوبلت بالترحيب والتشجيع والمباركة، وهو ما يمكن تفسيره في ضوء أن النقاب حين أصبح على قدر من الشيوع والانتشار لم يعد غريبًا كزي، ولم يعد هناك من يقوم بالإعتراض عليه أو رفضه.

٧. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن الجدل الدائر بين المنتقبة حديثة النقاب ومجتمعها المحلي عند العزم على ارتداء النقاب لم يكن جدلًا دينيًا بأي حال من الأحوال بل جدلًا اجتماعيًا باستثناء حالة واحدة فقط تم الجدل معها من قبل المعترضين على النقاب جدلًا دينيًا حول النصوص الدينية سواء من القرآن أو من السنة النبوية التي تؤكد أن النقاب فرض على المرأة المسلمة، والغريب أن هذا الجدل دار بين الحالة وبعض جيرانها من أعضاء جماعة

الإخـوان المسـلمين الذيـن كانـوا يعتقـدون أن النقـاب فيـه تشـدد ولم يذكـر في نـص دينـي، وهـو مـا يؤكـد مـا ذهبنـا إليـه بـأن هـذه الجماعـات السياسـية الإسـلامية رغـم قناعتهـم بـأن النقـاب غـير ثابـت بنـص قـرآني أو نبـوي، إلا أنهـم اسـتغلوا قضيـة النقـاب وقامـوا بتوظيفهـا في صراعهـم عـلى السـلطة مـع النظـام السـياسي في محاولـة لوصـم النظـام السـياسي بأنـه معـادي للديـن، رغـم أن غالبيـة نسـاء وأعضـاء جماعـة الإخـوان المسـلمين لا يرتديـن النقـاب مـن الأصـل.

٨. تشـير نتائـج الدراسـة الميدانيـة أن كل حـالات الدراسـة - باسـتثناء حالـة واحـدة – قـررن عـدم تـرك النقـاب، ليـس بدافـع دينـي بـل لإعتيادهـن عليـه خاصـة بعـد أن أصبـح عـلى قـدر مـن الشـيوع والانتشـار داخـل المجتمـع المـصري عامـة، وداخـل مجتمعاتهـن المحليـة خاصـة، فلـم تعـد المنتقبـة تتعـرض للتحريـض عـلى تـرك النقـاب كـما كان يحـدث في المـاضي، حيـث أكـدت نصـف حـالات الدراسـة ممـن ارتديـن النقـاب في بدايـة انتشـاره أنهـن تعرضـن للتحريـض مـن أجـل تركـه، بـل وصـل هـذا التحريـض في بعـض الأحيـان إلى حـد التهديـد، عـلى عكـس مـن ارتديـن النقـاب مؤخـرًا أو بعـد شـيوعه وانتشـاره فلـم تتعـرض لمثـل هـذه الضغـوط أو التحريـض عـلى تركـه، خاصـة وأن محيطهـن الأسري، والجـيران، وزمـلاء الدراسـة والعمـل ينتـشر بينهـن مرتـدي النقـاب، وبالتـالي يرحـبن بـه، هـذا إلي جانـب أن المجتمـع نفسـه لم يعـد متشـددًا أو متنمـرًا تجـاه مرتـدي النقـاب عـلى عكـس مـا كان يحـدث في بدايـة انتشـاره.

***

الفصل الثامن

الخلفية الدينية للمنتقبات

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل تحقيق أحد أهداف الدراسة الراهنة والإجابة على واحد من تساؤلاتها الفرعية، وسوف نعتمد بشكل أساسي على نتائج دراسة الحالة والتحليل الكيفي لها، من أجل التعرف أولا على مصادر المعلومات الدينية للمنتقبات، وثانيًا الكشف عن مدى مداومة المنتقبات على دروس علوم الدين من قرآن وتفسير وحديث كتب تراث، وثالثًا موقف المنتقبات من المذهب الشيعي وأنصاره باعتباره أحد المذاهب الدينية الاسلامية.

أولًا: مصادر المعلومات الدينية للمنتقبات:

لقد تنوعت وتعددت المصادر التي تحصل من خلالها المنتقبات على معلوماتهن الدينية، حيث جاءت البرامج الدينية التي تبث على القنوات الفضائية في المقدمة حيث أكدت على ذلك (١٣) حالة، وجاءت في نفس المرتبة وبنفس الرقم الكتب الدينية التي يحصلن عليها من المكتبات الدينية، ومن أمام المساجد القريبة من محل سكنهن، وأتت شرائط الكاسيت لمشايخ السلفية في المرتبة الثالثة، حيث أكدت على ذلك (٩) حالات، يليها في المرتبة الرابعة الدعاة الجدد حيث أشارت لذلك (٨) حالات، وبنفس المرتبة وبنفس العدد جاءت المساجد المحيطة، والتردد على الدروس بها، وجاءت في المرتبة السادسة الأسرة والمحيطين بها حيث أشارت لذلك (٧) حالات، وأخيرًا جاء رجال الدين الرسميين حيث أكد على ذلك (٥) حالات فقط.

وتؤكد النتائج السابقة أن المصادر التي تعتمد عليها المنتقبات في المجتمع المصري للحصول على معلوماتهن الدينية تكاد تكون ضعيفة وأكثر ميلًا إلى التطرف والنادر منها هو الذي يعتمد على مصادر معلومات صحيحة وموثوقة، فقد جاءت البرامج الدينية عبر الفضائيات والكتب الدينية التي يتم الحصول عليها من مكتبات المساجد

والأرصفة أمام المساجد في المقدمة، حيث أشارت الحالة رقم (١) « أنها تحصل على المعلومات من الكتب الدينية سواء كانت في المكتبات أو في المساجد، وفيما غير ذلك لا أستمد منهم أي شيء لأنهم يقولون ما يرضى به المجتمع ولا يقولون ما يرضى الله ورسوله بل يسعون إلى إرضاء الناس ويتناسون إرضاء الله ورسوله»، وتشير الحالة رقم (١٩) إلى أنها تحصل على معلوماتها الدينية من خلال بعض البرامج الدينية لمشايخ السلف بالتلفاز إلى جانب قراءة كتب التراث والسيرة النبوية والحديث، وتؤكد الحالة رقم (٢١) « أكتفي بمشاهدة البرامج الدينية مثل برنامج الشيخ وسيم يوسف، ومصطفى حسني، محمد الغليظ، والكتب القصصية التي تسرد قصص لأناس واجهوا صعوبات في سبيل الدفاع عن مبدأ أو فكرة مثل التمسك بالنقاب في زمن تحارب فيه المنتقبات واقرأ لبعض المشايخ مثل الدكتور محمد العريفي وفارس بن يوسف المصري والشيخ مصطفى العدوي».

ثم جاء بعد ذلك من يستمدون معلوماتهن الدينية من سوق الكاسيت والدعاة الجدد ومشايخ المساجد والأسرة والمحيطين بها، وفي هذا الإطار تؤكد الحالة رقم (٢٢) «أنها تستمع إلى المشايخ على موقع اليوتيوب وخاصة الشيخ محمد حسان وغيره من السلفيين» وتشير الحالة رقم (٢٧) أنها « سمعت الكثير من شرائط الكاسيت للشيخ محمد حسان وكان لذلك التأثير الأكبر في تفكيري مما شجعني على ارتداء النقاب»، وتؤكد الحالة رقم (٢٨) أن معلوماتها الدينية تأتي عبر» الخطب الدينية التي تنتشر على اليوتيوب لبعض المشايخ مثل عمر عبد الكافي وأبو إسحاق الحويني ومحمود المصري ومحمد حسين يعقوب ومحمد حسان ، وهو ما تشير إليه أيضًا الحالة رقم (٢٩) بأنها حصلت على معارفها الدينية من خلال «المساجد التي يحاضر بها المشايخ الربانيين مثل محمد حسان ومحمد حسين يعقوب وأبو إسحاق الحويني، ومن البرامج التليفزيونية في القنوات الفضائية وسوق الكاسيت الديني».

ويتضح من خلال العرض السابق أن المعارف والمعلومات الدينية للمنتقبات جاءت من مصادر بعيدة كل البعد عن المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر الشريف)، وهو ما يشكك كثيرًا في المعارف والمعلومات التي تحصل عليها المنتقبات والتي يمكن أن تشكل

وعـي دينـي زائـف وليـس وعيًّـا دينيًـا حقيقيًـا، فـإذا كانـت المعـارف والمعلومـات هـي المصـدر الأول لتشـكيل الوعـي فـإن ضعـف المصـادر ينتـج عنـه وعيًـا زائفًـا، فقـد لاحظنـا أن غالبيـة حـالات الدراسـة اعتمـدت في معلوماتهـن الدينيـة عـلى البرامـج الدينيـة التـي تبـث عـلى الفضائيـات التـي يتصدرهـا مشـايخ السـلفية، وعـلى الكتـب الدينيـة التـي يقومـون بتأليفهـا دون مراجعـة مـن المؤسسـة الدينيـة الرسـمية، وعـبر الدعـاة الجـدد والمسـاجد التـي يقدمـون فيهـا دروسـهم الدينيـة وشرائـط الكاسـيت وقـد لاحظنـا ثقـة حـالات الدراسـة في هـؤلاء الدعـاة والمشـايخ لدرجـة أن حالـة وصفتهـم بأنهـم مشـايخ ربانيـين، وتعـبر هـذه المصـادر عـن أن عمليـة تشـكيل الوعـي لـدى المنتقبـات يشـوبها الكثـير مـن الإشـكاليات مـما يـؤدي في النهايـة إلى تشـكيل وعـي دينـي زائـف.

ثانيًا: مداومة المنتقبات على دروس علوم الدين:

نحـاول مـن خـلال هـذا المحـور التعـرف عـلى مـدي مداومـة المنتقبـات عـلى الـدروس الدينيـة وقـراءة القـرآن وحفظـه وتفسـيره وقـراءة كتـب الـتراث والسـنة باعتبارهـا ممارسـات تحصـل مـن خلالهـا المنتقبـة عـلى معارفهـا ومعلوماتهـا الدينيـة التـي يتشـكل مـن خلالهـا وعيهـا الدينـي، وفيـما يتعلـق بمداومـة المنتقبـات عـلى الـدروس الدينيـة أكـدت (١٣) حالـة بشـكل قاطـع عـلى المداومـة عـلى الـدروس الدينيـة حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١) « أداوم عـلى الـدروس الدينيـة، وكيـف لا أداوم وهـي مـاء قلبـي، وهـي التـي تسـقيني بالعلـم مـن اللـه ورسـوله وهـي التـي تقوينـي عـلى مواجهـة الفـتن وهـي التـي تصبرنـا عـلى هـذه المحـن التـي نمـر بهـا، والـدروس الدينيـة هـي التـي يقـوم الإنسـان منهـا مغفـور مـن كل الذنـوب، وهنـاك أحاديـث كثـيرة تحـث عـلى ذلـك حيـث أن طلـب العلـم فريضـة عـلى كل مسـلم ومسـلمة، والمقصـود بالعلـم هنـا هـو طلـب العلـم عـن اللـه ورسـوله، وكل علـم ينتفـع بـه الإنسـان يعتـبر فـرض مـن اللـه»، وفي نفـس الإطـار تؤكـد الحالـة رقـم (٢٩) أنهـا «لازالـت تطلـب العلـم الدينـي وتحـضر دروس العلـم، كـما أننـي أعطـي دروس علـم لنسـاء بلدتنـا منـذ فـترة طويلـة»، وفي المقابـل أكـدت (١٢) حالـة أنهـا لا تـداوم عـلى الـدروس الدينيـة بشـكل قاطـع أي لا يحـضرون نهائيًـا مثـل هـذه الـدروس حيـث أكـدت الحالـة (٢١) أنهـا «لا أتمكـن مـن المداومـة عـلى الـدروس الدينيـة لظـروف دراسـتي»، وأشـارت كذلـك الحالـة (٢٤) «لم

أحضر من قبل دروس دينية »، وهو ما أكدته أيضاً الحالة رقم (٢٧) «الوقت لا يسعفني في تلقي الدروس الدينية».

وإلى جانب ذلك أكدت (٥) حالات على أنهن يحضرن هذه الدروس أحيانًا حيث أشارت الحالة رقم(٣) «لا أحضر الدروس باستمرار، ولكني أحضر درس كل يوم جمعة»، وهو ما أكدت عليه الحالة رقم (٤) بأنها « أحضر كل أسبوع درس ديني كي أستفيد أكثر، وأتعرف على ديني » وأشارت الحالة رقم (١٤) أنها تحضر أحيانًا « أحضر على حسب ظروفي، وعلى حسب المتاح لي».

ويتضح من العرض السابق أن هناك ما يقرب من نصف حالات الدراسة يقمن بالمداومة على حضور الدروس الدينية، وأن ما يقرب من النصف أيضًا لا يحضرون مثل هذه الدروس، في حين أن نسبة قليلة للغاية هي من تحضر أحيانًا مثل هذه الدروس وهو ما يعني أن نسبة كبيرة من حالات الدراسة تفقد أحد مصادر تشكيل وعيها الديني وهي الدروس الدينية التي يتم من خلالها شرح وتفسير القرآن والسنة وتعلم الفقه، وهو ما يعني أن عملية تشكيل الوعي الديني للمنتقبات من خلال تلقي المعارف والمعلومات الدينية عبر الدروس الدينية ليست ذات أهمية لدى عدد كبير من المنتقبات.

وفيما يتعلق بالمداومة على قراءة القرآن يوميًا، فقد أكدت (١٨) حالة على المداومة اليومية على قراءة القرآن الكريم، مقابل (١٢) حالة أكدت على عدم القراءة بشكل منتظم حيث أشارت الحالة رقم (٦) «لا أداوم على قراءة القرآن يوميًّا، لكن أحاول أن أقرأ في بعض الأحيان»، وهو ما أكدته أيضًا الحالة رقم (١٩) «أقرأ أحيانًا وليس يوميًّا»، وأشارت الحالة رقم (٢٠) «أقرأ ولكن ليس يوميًا قد أغفل في بعض الأيام عن القراءة»، ويتضح من ذلك أن قراءة القرآن كمصدر للمعرفة الدينية أحد مصادر تشكيل الوعي الديني لا تداوم عليها كل المنتقبات فهناك من لا يداومن على القراءة بشكل يومي منتظم، وهو ما يؤثر على تشكيل وعيهن الديني عبر عملية قراءة القرآن.

أمّـا بالنسـبة لحفـظ القـرآن باعتبـاره أحـد مصـادر تشـكيل الوعـي الدينـي فقـد أكـدت (١٢) حالـة أي مـا يزيـد عـلى الثلـث أنهـن يحفظـن القـرآن كامـلًا، بينـما جـاءت (٣) حـالات اقتربـت مـن حفـظ نصـف القـرآن، أمّـا نصـف الحـالات (١٥) الأخـرى فقـد أكـدت أنهـا لا تحفـظ إلا مـا تيـسر مـن القـرآن فقـد أشـارت الحالـة رقـم (٢) أنهـا « لا أحفـظ أي أجـزاء مـن القـرآن الكريـم»، وأكـدت الحالـة رقـم (٦) «لا أحفـظ إلا السـور التـي يحفظهـا معظـم المسـلمين، وليـس الملتزمـين، فأنـا ولـدت في عائلـة غـير ملتزمـة لكـن محترمـة، ولم أدخـل مـدارس أزهريـة كي أحفـظ القـرآن وأنـا صغـيرة، فلـم يكـن هنـاك تشـجيع مـن البيئـة المحيطـة عـلى الحفـظ منـذ الصغـر لأننـي كنـت في مـدارس حكوميـة عاديـة هـي في الغالـب لا تشـجع عـلى حفـظ القـرآن وفهـم التعاليـم الدينيـة وعندمـا تقـدم بي العمـر انشـغلت جـدًا في التعليـم والكورسـات، ولكـن لـدي النيـة للحفـظ بـإذن اللـه»، وأشـارت الحالـة رقـم (٢٠) أيضًـا أنهـا «لا أحفـظ سـوى السـور القصـار التـي أصـلي بهـا» وهـو مـا أكدتـه كذلـك الحالـة رقـم (٢٤) «لا أحفـظ سـوى قصـار السـور التـي حفظناهـا منـذ طفولتنـا».

ويتضـح مـن ذلـك أنـه إذا كان حفـظ القـرآن وسـيلة مـن وسـائل تشـكيل الوعـي الدينـي فـإن نصـف حـالات الدراسـة حصيلتهـا المعرفيـة مـن حفـظ القـرآن ضعيفـة للغايـة وهـو مـا قـد يؤثـر سـلبًا عـلى تشـكيل وعيهـن الدينـي.

وفيـما يخـص الحـرص عـلى قـراءة تفاسـير القـرآن باعتبـاره مـؤشرًا عـلى تنميـة الوعـي الدينـي، فالحفـظ فقـط ليـس مـؤشرًا كافيًـا عـلى تنميـة الوعـي الدينـي فقـد أكـدت (١٨) حالـة عـلى حرصهـن عـلى قـراءة تفاسـير القـرآن وقـد تنوعـت وتعـددت التفاسـير الـلاتي يلجـأن إليهـا، وجـاء ابـن كثـير في المقدمـة يليـه السـعدي، ثـم الشـعراوي ثـم المعـصراوي، ثـم مجموعـة مـن علـماء الأزهـر، ثـم الجزائـري ثـم أحمـد عبيـد، ثـم حسـني محمـد مخلـوف، ثـم الحـصري، ثـم القرطبـي ثـم مصطفـى حسـني، وفي المقابـل أكـدت (١٢) حالـة عـدم الإتجـاه لقـراءة التفاسـير حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٢٠) «أنـا لا أقـرأ في التفسـير لأننـي امـرأة بسـيطة التفكـير تعليمـي متوسـط أقـرأ بتلعثـم ولا أسـتطيع فهـم الكتـب الدينيـة أشـعر أسـلوبها صعـب عـلى أمثـالي فهمهـا»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٤) أنـا «لا اقـرأ في التفسـير لأننـي لا اقـرأ القـرآن إلا نـادرًا، فكيـف لي بـأن أقـرأ في تفسـيره لـو كنـت أداوم عـلى قراءتـه لأردت أن أعـرف معـاني آياتـه ولكننـي لم أفعـل».

ويتضح من ذلك أن هناك ما يزيد على ثلث حالات الدراسة لا يقومن بقراءة تفاسير القرآن، وهو ما يعني أن هناك نسبة معتبرة من بين حالات الدراسة يفقدن مصدر معرفي هام لتشكيل وعيهن الديني. ويلاحظ أيضًا أن اللاتي يقمن بقراءة التفاسير يعتمد بعضهن على تفاسير بعض المشايخ المجهولين أو الدعاة الجدد غير المؤهلين أصلًا لتفسير القرآن مثل الشيخ مصطفى حسني كما أشارت الحالة رقم (١٨).

أمّا فيما يتعلق بقراءة كتب التراث والسنة باعتبارها أحد مصادر المعرفة الدينية فقد أكدت (١٩) حالة أنهن لا يقرؤون في كتب التراث والسنة، وفي المقابل جاءت (١١) حالة أكدن على القراءة في هذه الكتب، ويلاحظ على من يقرئن أن بعضهن أكدت عدم معرفتها لمن تقرأ،أي أنها لا تتذكر، والبعض الآخر أكدن على القراءة لابن تيمية، والألباني، ومحمد بن عبد الوهاب، والحويني، ومحمد حسان، ومحمد حسين يعقوب، وهو ما يعني أن حتى من يقومن بالقراءة جاءت قراءاتهن لبعض المتشددين دينيًّا، وهو ما يفسر تشددهم في إرتداء النقاب دون فهم ووعي حقيقي، ومن الحالات التي أكدت على عدم القراءة أشارت الحالة رقم (٤) «لا اقرأ في كتب التراث والسنة والفقه، لأني أعتمد بصفة أساسية على مشاهدة القنوات الدينية»، ومن الملفت للنظر الحالة رقم (١٨) التي أكدت على أنها «تقرأ كتب التراث، والسنة للشيخ أحمد العجمي والشيخ عبد الباسط عبد الصمد»، والشيخين المذكورين ليس لهما أي كتب في التراث أو السنة لأنهما قارئين للقرآن فقط، وتشير النتائج أن ما يقرب من الثلثين من حالات الدراسة يفقدن بعدم قراءة كتب التراث والسنة مصدر هام من مصادر المعرفة الدينية وهو ما يشير إلى ضعف الوعي الديني لدى حالات الدراسة.

ثالثًا: موقف المنتقبات من المذهب الشيعي وأنصاره:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على معارف ومعلومات المنتقبات عن المذهب الشيعي باعتباره أحد المذاهب الإسلامية التي يقرها الأزهر الشريف (المؤسسة الدينية الرسمية) فاعتراف الأزهر الشريف بالمذهب الشيعي والأخذ به يعود إلى شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت، والذي أفتى بأن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه إتباع

مذهب معين ولكل مسلم الحق في إتباع أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلًا صحيحًا، وله أن ينتقل إلى غيره ولا حرج في شيء من ذلك، مشيرًا في فتواه إلى أن مذهب الجعفرية والمعروف بمذهب الشيعة الأمامية، يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة كما أمر بتدريس المذهب بشكل رسمي ضمن مناهج الفقه بالأزهر وأيده بعد ذلك كل من الشيخ محمد الفحام، والإمام محمد الغزالي، وشيخ الأزهر الراحل الدكتور محمد سيد طنطاوي، والإمام الأكبر شيخ الأزهر الحالي الدكتور أحمد الطيب.

وبالسؤال عن معارف ومعلومات المنتقبات حول المذهب الشيعي فقد جاءت الإجابات صادمة إلى حد كبير حيث أكدت (٢٢) حالة أنه مذهب خطأ وضال وليس على حق ومرفوض وملعون وفي هذا الإطار أكدت الحالة رقم (١) « أعرف أنهم ليسوا على حق، وليسوا على دين الإسلام، وليس هم بمسلمين، وهم أشخاص غير مؤمنين برسولي، بل ويسبوا رسولي وأهل البيت وهم أطهر الناس ومن أطهر من أهل بيت رسول الله، وأنا أقول فيهم حسبي الله ونعم الوكيل»، وتشير الحالة رقم (٤) «هم أقوى على المسلم من الكافر»، وترى الحالة رقم (١٩) « أعرف أنهم يؤمنون بسيدنا الحسين بن على نبي لهم وهم فرق كثيرة ومختلفة منهم من يكفر الصحابة ويسبونهم»، وتشير الحالة (٢٠) «بشوف بعض القنوات الشيعية في التليفزيون، قنوات غريبة وناس فكرهم غريب مش بفهم كلامهم خالص بس لما سألت زوجي قال أنهم مذهب معارض لأهل السنة ومش مؤمنين بسيدنا محمد ولا الصحابة وبيكفروا الصحابة»، وتؤكد الحالة رقم (٢٣) «أنهم فئة ملعونة تتأله على الله وتدعي أحقية سيدنا علي بالنبوة ويكفرون الصحابة ويتقربون إلى الله بسبهم ويصل الأمر بهم إلى تقديس سيدنا علي والحسين بن علي إلى حد التأليه»، وتشير الحالة رقم (٢٩) «قرأت لهم كتاب من مؤلفاتهم فهم يكرهون السيدة عائشة ويسبون الصحابة ويدعون أن سيدنا علي أحق بالنبوة وينتظرون مهدي الشيعة ويقدسون كبيرهم (الخميني) ويتوضئون ويصلون غير صلاة أهل السنة والجماعة ويصلون على قبلة غير الكعبة المشرفة»، وفي مقابل ذلك عبرت الحالات (٨) الأخرى عن عدم معرفتهم شيء عن المذهب الشيعي.

ويتضـح مـن موقـف حـالات الدراسـة أنهـن لا يعرفـون إلا المعـارف والمعلومـات التـي يرددهـا مشـايخ السـلفية والبعيـدة كل البعـد عـن المعـارف والمعلومـات الحقيقيـة التـي تـدرس في الأزهـر الشريـف للمذهـب الشـيعي باعتبـاره أحـد المذاهـب الإسـلامية، وبذلـك يتضـح أن الوعـي الدينـي للمنتقبـات، وعـي زائـف حـول أحـد المذاهـب الإسـلامية واسـعة الانتشـار، وهـو مـا جعـل مواقفهـم عدائيـة وصلـت لحـد تكفـير أصحـاب هـذا المذهـب الإسـلامي.

وبالنسـبة لـرأي المنتقبـات في أصحـاب المذهـب الشـيعي، وهـل ويعتبرونهـم مسـلمين أم غـير مسـلمين فقـد أكـدت (١٨) حالـة أنهـم غـير مسـلمين حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١) «لا لا ليسـوا مسـلمين ولا يعرفـون شيء عـن الإسـلام، وليـس كل مـن قـال أنـا مسـلم أصبـح مسـلمًا، فالإسـلام هـو الاستسـلام لأوامـر اللـه ورسـوله وأن الديـن عنـد اللـه الإسـلام، فالإسـلام هـو ديـن الحـق، وهـو ديـن اللـه سـبحانه وتعـالى»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٣) «أن مـن أنكـر نبـوة سـيدنا محمـد وكفـر الصحابـة وسـب السـيدة عائشـة فليـس بمسـلم»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٩) «هـم فرقـة مـن الفـرق الضالـة في الإسـلام حيـث قـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم (سـتتفرق أمتـي عـلى بضـع وسـبعون فرقـة كلهـم في النـار إلا الفرقـة الناجيـة وهـو مـا أنـا عليـه) فهـم مـن الفـرق الضالـة في الإسـلام وهـم في النار».

ويتضـح مـن ذلـك ميـل مـا يقـرب مـن ثلثـي حـالات الدراسـة إلى إعتبـار أعضـاء أحـد المذاهـب الإسـلامية التـي يعـترف بهـا الأزهـر الشريـف (المؤسسـة الدينيـة الرسـمية) ويقـوم بتدريسـها لطلابـه بأنهـم غـير مسـلمين وقـد تـم اتخـاذ هـذا الموقـف بنـاء عـلى معـارف ومعلومـات خاطئـة وغـير موثوقـة، وهـو مـا يعنـي أنهـم يمتلكـون وعيًـا دينيًـا زائفًـا.

وفي مقابـل ذلـك أكـدت (٦) حـالات عـدم معرفتهـم أي معلومـة عـن أصحـاب المذهـب الشـيعي ولا يعرفـون إذا كانـوا مسـلمين أم لا، وأكـدت (٦) حـالات أخـرى أنهـم مسـلمين لكنهـم يتبعـون مذهـب آخـر، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١٩) « نعـم مسـلمين، ليـس لي أن أكفـر أحـد فحسـابهم عنـد اللـه «، وأكـدت كذلـك الحالـة رقـم (٢٠) «اللـه أعلـم أنـا لا أعلـم عنهـم الكثـير، العلـماء هـم مـن يفتـون بهـذه الأمـور».

ويتضح من خلال العرض السابق أن المعارف والمعلومات التي تشكل الجانب الأول من جوانب تشكيل الوعي فيما يتعلق بالمذهب الشيعي وأنصاره ضعيفة للغاية لدى حالات الدراسة وإذا كان يحسب للبعض اعترافهم بعدم معرفتهم وقلة معلوماتهم حول هذه القضية، وبالتالي لا يمكن أن يتخذنا موقف فإن الأغلبية والتي تمتلك معلومات غير موثقة وغير دقيقة قامت باتخاذ موقف بناء على هذه المعرفة الزائفة وصلت إلى حد إخراج أنصار مذهب إسلامي من الإسلام ووصفهم بالكفر والضلال وهذا تشدد في غير محله، ويعبر عن وعي ديني زائف لدى عدد كبير من حالات الدراسة.

الاستخلاصات:

١. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن مصادر معرفة المنتقبات والتي تشكل المرحلة الأولى لتشكيل الوعي تأتي من مصادر غير موثوقة، فقد ابتعدت كثيرًا عن المصادر الدينية الرسمية (الأزهر الشريف) وتركزت بشكل أساسي في البرامج الدينية التي تبث عبر الفضائيات التي يتصدرها مشايخ السلفية الجهادية، وعلى الكتب الدينية التي يؤلفها هؤلاء المشايخ دون مراجعة أو رقابة من المؤسسة الدينية الرسمية، وعلى الدعاة الجدد والمساجد التي يسيطرون عليها ويقدمون فيها دروسهم الدينية، وعبر شرائط الكاسيت التي يسجل عليها هؤلاء المشايخ دروسهم، وبالطبع لا يمكن أن ينتج عن هذه المصادر وعيًا دينيًا حقيقيًا، فالمعارف والمعلومات الدينية الزائفة لا ينتج عنها إلا وعيًا دينيًا زائفًا، وهو الوعي الغالب لدى حالات الدراسة.

٢. تشير نتائج الدراسة الميدانية أن نصف حالات الدراسة تعتمد على الدروس الدينية في المساجد كمصدر هام للحصول على المعارف والمعلومات الدينية، مقابل نصف الحالات الأخرى اللاتي لا يعتمدن على مثل هذه الدروس، وإذا كانت الدروس مصدر هام للحصول على المعلومات والمعارف الدينية فعدم الحصول عليها يؤثر في عملية تشكيل الوعي والحصول عليها من مصادر غير رسمية ومشايخ مشكوك في علمهم يؤدي إلى تشكيل وعي ديني زائف وهو ما ينطبق على حالات الدراسة.

٣. أكـدت نتائـج الدراسـة الميدانيـة فيـما يتعلـق بالمداومـة عـلى قـراءة القـرآن الكريـم باعتبـاره أحـد مصـادر المعرفـة الدينيـة،أن مـا يزيـد عـن ثلـث حـالات الدراسـة لا تـداوم عـلى القـراءة، وهـو مـا يؤثـر سـلبيًّا في عمليـة تشـكيل الوعـي الدينـي لـدى حـالات الدراسة.

٤. كشـفت الدراسـة الميدانيـة أن نصـف حـالات الدراسـة لا يحفظـن مـن القـرآن الكريـم إلا قصـار السـور، وإذا كان حفـظ القـرآن يعـد أحـد مصـادر الحصـول عـلى المعـارف والمعلومـات الدينيـة التـي يتشـكل الوعـي الدينـي وفقًـا لهـا، فـإن الحصيلـة الضعيفـة لنصـف حـالات الدراسـة تؤكد أن وعيهـن الدينـي سـيظل محـدودًا وفقًـا لمعارفهـن ومعلوماتهـن المحـدودة.

٥. أشـارت نتائـج الدراسـة الميدانيـة أن مـا يزيـد عـن ثلـث حـالات الدراسـة لا يحاولـن قـراءة تفاسـير للقـرآن وهـي أحـد مصـادر الحصـول عـلى المعرفـة الدينيـة، خاصـة وأن قـراءة القـرآن وحفظـه دون فهـم معانيـه قـد ينتـج عنـه وعيًـا دينيًـا زائفًـا، لذلـك فالبحـث عـن المعنـى هـو الـذي يشـكل وعيًـا دينيًّـا حقيقيًّـا، خاصـة إذا كانـت التفاسـير لعلـماء موثـوق بهـم، وإذا كانـت نسـبة معتـبرة مـن حـالات الدراسـة لا تقـرأ في كتـب التفسـير ونسـبة أخـرى تقـرأ تفاسـير لبعـض مشـايخ الفضائيـات فـإن عمليـة الوعـي الدينـي المنتظـرة سـتكون زائفـة.

٦. أكـدت نتائـج الدراسـة الميدانيـة أن مـا يقـرب مـن ثلثـي حـالات الدراسـة لا يقـرؤون كتـب الـتراث والسـنة وهـي أحـد مصـادر المعرفـة الدينيـة التـي يتشـكل الوعـي الدينـي وفقـا لهـا، وحتـى الثلـث الـذي يقـرأ لا يقـرأ لمشـايخ وعلـماء ثقـة بـل يقـرءون لمشـايخ متشـددون ولا ينتمـون إلى المؤسسـة الدينيـة الرسـمية (الأزهـر الشريـف)، وهـو مـا يعنـي أن المعـارف والمعلومـات التـي يحصلـن عليهـا قـد تشـكل وعيًّـا دينيًّـا زائفًـا وليـس وعيًـا دينيًـا حقيقيًّـا وسـليمًا.

٧. تشـير نتائـج الدراسـة الميدانيـة فيـما يتعلـق بموقـف حـالات الدراسـة مـن المذهـب الشـيعي وأنصـاره، وهـو أحـد المذاهـب الإسـلامية المعـترف بـه مـن قبـل المؤسسـة

الدينيـة الرسـمية (الأزهـر الشريـف) ويـدرس بـين طلابـه منـذ سـنوات طويلـة، أن معـارف ومعلومـات حـالات الدراسـة جميعهـا إمّـا معدومـة أو مغلوطـة، وهـو مـا جعلهـم يتخـذون مواقـف متشـددة ومتطرفـة وصلـت إلى حـد تكفـير أنصـار هـذا المذهـب الإسـلامي، ووصفهـم بأنهـم غـير مسـلمين، وهـو أحـد المواقـف الكاشـفة عـن أن الوعـي الدينـي لغالبيـة حـالات الدراسـة وعيًّـا دينيًّـا زائفًـا.

***



الفصل التاسع

موقف المنتقبات من المجتمع والإعلام والسياسة

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل تحقيق أحد أهداف الدراسة الراهنة، والإجابة على واحد من تساؤلاتها الفرعية، وسوف نعتمد بشكل أساسي على نتائج دراسة الحالة، والتحليل الكيفي لها، من أجل التعرف أولًا: على موقف المنتقبات من المجتمع المصري بصفة عامة، وثانيًا: الكشف عن موقف المنتقبات من وسائل الإعلام ومتابعتهم لأخبار مصر والعالم العربي، وثالثًا: موقف المنتقبات من النظام السياسي المصري ونموذج الحكم الأمثل من وجهة نظرهم.

أولًا: موقف المنتقبات من المجتمع المصري:

لقد جاءت أكثر من ثلثي حالات الدراسة (٢٢) حالة تؤكد على موقفهن السلبي من المجتمع المصري في اللحظة الراهنة، حيث أشارت الحالة رقم (١) «لا يعجبني لأنه مجتمع جاهل ولا يوجد به علم، والصغير يتكلم فيما لا يعنيه مثل الكبير»، وأكدت الحالة رقم (٢) «أنه فوضوي في كل شيء، ونحن في حالة سيئة»، وأشارت الحالة رقم (٥) أنه «مجتمع فاسد يهتم معظم شبابه بالمخدرات، وتهتم معظم بناته بالأزياء والموضة إلا ما رحم ربي»، وأكدت الحالة رقم (١٠) أنه «مجتمع محدود الثقافة مما يعرضه للظلم والقهر، وهو مجتمع ينساق وراء التقليد الأعمى في كل شيء»، وتشير الحالة رقم (١٢) أنه «مجتمع جاهل بحقوقه وعديم الوعي، وهذا ما أدى به إلى التشتت والظلم»، ومقابل هذا الموقف السلبي من المجتمع جاءت (٨) حالات تؤكد على أن المجتمع المصري من أفضل المجتمعات حيث أشارت الحالة رقم (٤) أنه «مجتمع من أعظم المجتمعات في العالم كله، مجتمع أرقى وأقوى من كل شعوب الأرض، اللهم أحفظ مصر ومجتمعها»، وأكدت الحالة رقم (٢٣) «مجتمعنا من أفضل المجتمعات بشهادة من جربوا المعيشة في مجتمعات أخرى نعم فيه الخير وفيه الشر

وهـذه سـنة الكـون فليـس هنـاك مجتمـع صالـح بالكليـة، وليـس هنـاك مجتمـع فاسـد بالكليـة، ولكننـي أراه مجتمـع معتـدل يخـرج منـه النوابـغ عـلى مسـتوى العـالم في كل المجـالات، فأنـا أفخـر بالإنتـماء إليـه»، وتشـير الحالـة رقـم (٣٠) إلى أنـه «مجتمـع بسـيط يعيـش بسـجيته وعـلى الفطـرة ويسـوده التديـن الطبيعـي».

ويتضـح مـن العـرض السـابق ميـل غالبيـة حـالات الدراسـة إلى إتخـاذ موقـف سـلبي مـن المجتمـع المـصري ووصفـه بالفوضـوي والفاسـد والفاشـل والجاهـل ومعـدوم الثقافـة والوعـي والهمجـي، وهـو مـا يعنـي أن غالبيـة حـالات الدراسـة تتشـكل مواقفهـم عـن المجتمـع عـبر معارفهـم ومعلوماتهـم التـي يحصلـن عليهـا مـن المصـادر المختلفـة لتشـكيل الوعـي ومنهـا كـما أشرنـا سـابقًا البرامـج الدينيـة، ودروس المشـايخ في المسـاجد، والدعـاة الجـدد، وشرائـط الكاسـيت، وغيرهـا مـن مصـادر معرفتهـم ومعلوماتهـم، والتـي دائمًـا مـا تعكـس صـورة سـلبية عـن المجتمـع الـذي نعيـش فيـه.

وفي إطـار نظـرة المنتقبـات للمجتمـع بشـكل عـام وهـل يسـاعد عـلى التربيـة أم الانحـلال الأخلاقـي جـاءت غالبيـة حـالات الدراسـة (٢٦) حالـة تؤكـد عـلى أن المجتمـع المـصري في اللحظـة الراهنـة لا يسـاعد عـلى التربيـة بـل يسـاعد عـلى الانحـلال الأخلاقـي، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١) أن «المجتمـع لا يـسـاعد عـلى التربيـة، ويـسـاعد عـلى الانحـلال الأخلاقـي بالمعنـى العـام، أي يسـاعد عـلى الإنحـراف وعـدم الاسـتقامة»، وأكـدت الحالـة رقـم (٤) أنـه «يسـاعد عـلى الإنحـلال الأخلاقـي، لأنـه يدعـوا إلى كـثرة التـبرج وإلى قلـة الديـن ونـشر الملابـس الخليعـة، مـما يـؤدي إلى الإنحـلال الدينـي والأخلاقـي»، وتـشير الحالـة رقـم (٢٢) «أنـه يـؤدي إلى الإنحـلال الأخلاقـي الـذي يـأتي مـن الفـن الهابـط المنتـشر بمـصر»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٧) أنـه «يسـاعد عـلى الانحـلال والانحطـاط الأخلاقـي، خاصـة بعـد انتشـار الإنترنـت بـكل وسـائله وتغلغلـه في الأسر المصريـة حتـى أنـه حـل محـل الأسرة في التوجيـه والتربيـة، لذلـك عـم الفسـاد والأباحيـة»، وفي مقابـل ذلـك أكـدت (٤) حـالات أن المجتمـع يسـاعد عـلى التربيـة والحفـاظ عـلى الأخـلاق لكـن يختلـف ذلـك مـن مـكان إلى آخـر، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٦) «أن هـذه المسـألة مختلفـة داخـل المجتمـع المـصري مـن مـكان لآخـر، فبيئـة العشـوائيات عـلى

سبيل المثال تساعد بشكل كبير على انتشار الانحلال بين الشباب بسبب مشكلات الإدمان والفقر والبطالة، كما أن هناك أماكن في المجتمع يعيش فيها الأفراد في قمة الإلتزام الأخلاقي والتربية»، وأكدت الحالة رقم (١٤) «أن المجتمع يحافظ على الأخلاق والتربية حسب المكان المعاش فيه، فأنا على سبيل المثال أعيش في مكان يساعد على الإلتزام والتدين».

ويتضح من العرض السابق ميل غالبية حالات الدراسة إلى إتخاذ موقف سلبي من المجتمع فيما يتعلق بالتربية، حيث أكدن أن المجتمع المصري في اللحظة الراهنة لا يساعد على تربية النشيء، بل يميل إلى الإنحلال الأخلاقي، وهي مواقف تكونت وتشكلت لدى المنتقبات عبر معارفهن ومعلوماتهن، حيث يصف المشايخ في دروسهم سواء في المساجد أو شرائط الكاسيت أو البرامج الدينية على القنوات الفضائية المجتمع المصري بأنه مجتمع يميل إلى الرذيلة، وهي الصورة التي تتبناها غالبية حالات الدراسة، حيث ينظرن إلى الجوانب السلبية داخل المجتمع، ولا يرين أي شيء إيجابي وفكرة التعميم هي فكرة خاطئة بالأساس، وتنم عن وعي زائف وليس وعيًّا حقيقيًّا.

وفيما يتعلق بموقف المنتقبات ونظرتهن للمجتمع المصري بالنسبة للنقاب وهل يحاربه أم يدعمه، فقد أكدت غالبية حالات الدراسة (٢٣) حالة على أن المجتمع المصري في اللحظة الراهنة يحارب النقاب حيث أشارت الحالة رقم (١) «أنه مجتمع جاهل ليس لديه علم بأحكام الله، فهذا مجتمع متخلف، ولا يعرف شيء عن النقاب ولذلك يحاربه من باب التشدد والتعقيد، المجتمع يتعامل مع المنتقبة، وكأنها مجرمة، وليست عفيفة، ويعامل غير المنتقبة وكأنها حرة وجميلة بل ويقدرها ويحترمها كل الإحترام على عكس المنتقبة، وهذا يدل على تخلف المجتمع»، وتؤكد الحالة رقم(٢٦) «نعم ويسيء معاملة المنتقبات، ويعاملهن كأنهن آتين من كوكب آخر، ولكننا لا نبالي بذلك فالإسلام يأتي غريبًا ويعود غريبًا، فطوبي للغرباء ونحن في زمن الغربة الثانية»، وفي المقابل أكدت (٧) حالات أن النقاب في تزايد على الرغم من أنه يحارب في أماكن ولا يحارب في أماكن أخرى، حيث أشارت الحالة رقم (٤) «أنه لا يحارب والدليل أن نسبة المنتقبات في تزايد كبير»، وأكدت الحالة رقم (٦) أنه «يحارب لكن ليس في

كل المجتمع، فأنا ألاحظ أنه خلال الفترة الأخيرة حظي النقاب بتأييد كبير جدًا بين كثير من الأسر، وهذا شيء طبيعي جدًا بالرغم من كثرة الإنتقادات للنقاب»، وتشير الحالة رقم (٢٥) «لا يحارب النقاب بمعنى المحاربة، فالمنتقبات في كل مكان، وإنما لم يستطيعن بعد من الإندماج معهن، وتقبل وجودهن لأن كثيرًا منهن يبتعدن عن الإختلاط، فيتخوف الناس من هذا الكيان المجهول بالنسبة لهم، فالناس أعداء ما جهلوا، ولكن من يقترب منهن يجد كثيرات منهن على قدر من التفاهم، والمرح، وحياتهن بين الجد والهزل، فهن في النهاية بشر».

ويشير العرض السابق إلى أن غالبية حالات الدراسة ترى أن المجتمع يحارب النقاب، وهي النظرة التي تصدرها جماعات الإسلام السياسي عبر مشايخهم، وينقلونها إلى المنتقبات عبر الدروس في المساجد، وشرائط الكاسيت والكتب والبرامج الدينية في القنوات الفضائية، وهي مصادر رئيسية لتشكيل وعي المنتقبات كما أكدت حالات الدراسة، فالجماعات السياسية الإسلامية تحاول إلباس قضية النقاب لباس ديني، وتصور المجتمع أنه يحارب المنتقبات، ويرفض لباسهن باعتباره لباسًا دينيًا، وليس لباسًا اجتماعيًا لذلك تأتي هذه النظرة السلبية للمجتمع من قبل المنتقبات لاعتقادهن أن المجتمع يعادي النقاب.

ثانيًا: موقف المنتقبات من وسائل الإعلام وأخبار مصر والعالم العربي:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على موقف المنتقبات من وسائل الإعلام باعتبارها أحد مصادر تشكيل الوعي في العصر الحديث ويعد التليفزيون أحد أهم هذه الوسائل، فقد أكدت غالبية حالات الدراسة (٢٥) حالة على مشاهدته مقابل (٥) حالات فقط أكدن على عدم مشاهدته لأنه حرام، حيث أشارت الحالة رقم (٢٦) «مشاهدة التليفزيون حرام شرعًا لأنه مصدر الفتن فنحن جميعًا لا نشاهد التلفاز، ولا نقتنيه في منازلنا» وأكدت الحالة رقم (٢٨) «لا أشاهد التلفاز تمامًا».

وإذا كانت مشاهدة التليفزيون تعبر عن موقف ايجابي لدى غالبية حالات الدراسة، إلا أن نوعية البرامج المشاهدة هي الأهم لأنها الأكثر تأثيرًا في تشكيل الوعي، وهنا

قد يبرز الجانب السلبي لعملية المشاهدة، حيث أكدت غالبية من يشاهدن أنهن لا يشاهدن إلا البرامج الدينية (١٧) حالة، حيث أشارت الحالة رقم (١) أنها «لا تشاهد إلا البرامج الدينية خاصة برامج الفتاوى التي أستفيد منها كثيرًا في حياتي»، وأكدت الحالة رقم (٢٠) «أنها تشاهد البرامج الدينية اللي بتجيب مشايخ، والناس تسألهم، ويجيبوا عنها، أسئلة كثيرة منها كنت بسألها لنفسي والحمد لله لقيت الإجابة عليها»، وتشير الحالة رقم (٢٧) «لو لدي وقت للمشاهدة فأنا أشاهد البرامج الدينية فقط»، وفي مقابل هذا الإهتمام بالبرامج الدينية لدى الغالبية تأتي الإهتمامات الأخرى ضعيفة للغاية، فبرامج الطهي جاءت في المرتبة الثانية وتتابعها (٤) حالات فقط، ومثلها البرامج الثقافية، يليها برامج الكارتون (٣) حالات، ومثلها المسلسلات ثم البرامج الاجتماعية حالتين، ومثلها برامج المسابقات، وأخيرًا حالة واحدة فقط هي التي تشاهد البرامج السياسية.

وتعبر النتائج السابقة أن الاهتمام الأكبر لدى حالات الدراسة ينصب على البرامج الدينية، مقابل ندرة في البرامج الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهو ما يؤكد أن وعيهن الثقافي والاجتماعي والسياسي منخفض للغاية، ووعيهن الديني يتم تشكيله عبر البرامج الدينية التي تبثها القنوات الفضائية الدينية والتي يتصدرها مشايخ التيار السلفي والدعاة الجدد بعيدًا عن مشايخ المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر الشريف) وهو ما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني زائف لدى غالبية حالات الدراسة.

ويلاحظ أن بعض حالات الدراسة قد اعتبرت مشاهدة التلفاز حرام شرعًا، وهو ما يعبر عن تطرف شديد ووعي ديني زائف خاصة وأن التلفاز تبث من خلاله بعض البرامج الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية المفيدة، وهناك تحكم من قبل الشخص باختيار ما يناسبه من برامج مثلما فعلت معظم حالات الدراسة باختيار البرامج الدينية لكن اعتباره حرام شرعًا، وأنه يمثل مصدر الفتن، وعدم اقتنائه في المنزل يعبر عن فكر جامد ومتطرف من قبل بعض حالات الدراسة.

وفيـما يتعلـق بمتابعـة الأخبـار السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي تخـص المجتمـع المـصري فقـد أكـدت أكـثر مـن ثلثـي حـالات الدراسـة عـدم متابعتهـم لهـذه الأخبـار، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٢٠) أنهـا كانـت تتابـع لكنهـا توقفـت « كنـت أتابـع ولكـن توقفـت عـن المتابعـة، الأخبـار كلهـا اكتئـاب، أنـا نفسـيتي تعبـت مـن المتابعـة لذلـك توقفـت عـن المتابعـة منـذ سـنوات»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٣٠) «كنـت أهتـم بالمتابعـة جيدًا في أعقـاب الثـورة لما قـد كان يحـدوني مـن أمـل أننـا سـنتغير للأفضـل، إنما بعـد فشـل الثـورة وعـودة الأمـور إلى سـابق عهدهـا فلـم أعـد اهتـم تمامًا بالمتابعـة»، وفي المقابـل أكـدت (٩) حـالات متابعتهـا للأخبـار السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة، لكـن ليـــس مـن خـلال التليفزيـون الــمصري ولا القنـوات الفضائيـة المــصرية، وتشـير الحالـة رقـم (٣) « نعـم أهتـم بالمتابعـة لكـن مـن خلال الفيسـبوك «وتؤكـد الحالـة رقـم (٦) « نعـم أهتـم بمتابعـة أخبـار المجتمـع المـصري لكـن مـن المصـادر الصحيحـة، وليـس الإعـلام المـصري الفاسـد».

وتعـبر هــذه النتائـج عــن عـدم ثقـة المنتقبـات في تلقــي الأخبــار عــن طريــق وسـائل الإعــلام المصريـة، وهــو موقــف يعــبر عــن التوجهـات الفكريـة لحـالات الدراســة مــن المنتقبـات؛ فالغالبيـة لا تتابـع أخبــار المجتمـع المـصري السياسـية والاقتصاديـة الاجتماعيـة، وكأنهــن يعيشــن في عزلـة عــن هــذا المجتمـع، ويرفضــن الإندمـاج فيـه أو معرفـة أخبـاره، وهــذا مـؤشر عـلى الوعــي الزائـف لـدى غالبيـة حـالات الدراسـة ومـن يتابـع الأخبـار فيتابعهـا مـن مصـادر غـير رسـمية، وقنـوات فضائيـة غـير مصريـة وهـو مـؤشر عـلى معارضـة ورفـض كل الأخبـار التـي تـأتي مـن القنـوات الرسـمية، وهنـاك مـن أكـدن أنهـن توقفـن عـن المتابعـة بعـد رحيـل جماعـة الإخـوان مـن شـدة الحكـم، فمتابعتهـن للأخبـار كانـت بتأثـير مـن تيـار الإسـلام السـياسي، وهـو مـا يكشـف إرتبـاط المنتقبـات بأنصـار هـذا التوجـه الفكري.

أمــا بالنســبة لاهتــمام المنتقبــات بأخبــار العــالم العــربي فقــد أكــدت مــا يقــرب مــن ثلثــي العينــة عــدم اهتمامهــن مقابــل ثلــث الحــالات تقريبًــا هــي التــي تهتــم، وتعــبر هــذه النتائــج عــن إنخفــاض نســبة الوعــي بشــكل عــام لــدى المنتقبــات مــن قضايــا مجتمعيــة ســواء داخــل مــصر أو خارجهــا، فهــي ليســت في دائــرة اهتــمام المنتقبـات، وهــو مــا يعنــي أن مواقفهــن مــن هــذه القضايــا العامــة يتــم اتخــاذ مواقــف حيالهــا مــن خــلال التوجيــه الــذي يقــوم بــه مشــايخ

الجماعات السياسية الإسلامية الأكثر تأثير على فكر المنتقبات، حتى أنهم يعدونه المصدر الرئيسي لتغذيتهم بالمعارف والمعلومات عبر الدروس التي يلقونها عليهن في المساجد ومن خلال شرائط الكاسيت والكتب والبرامج عبر القنوات الدينية.

ثالثًا: موقف المنتقبات من النظام السياسي المصري:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على موقف المنتقبات من النظام السياسي المصري وفيما يتعلق برأيهن في النظام الحاكم الآن، أكدت ثلثي حالات الدراسة أنه نظام فاشل وظالم ومستبد وغير عادل، ولا يقيم شرع الله، حيث أشارت الحالة رقم (١) «لا يعجبني النظام السياسي الحالي لأنه لا يقيم شرع الله ولا يطبق ما يرضي الله»، وأكدت الحالة رقم (٢) «أنه لم يتطور، ويسد احتياجات الشعب لذلك سيهلك كثيرًا، حيث أننا نعاني من ارتفاع الأسعار بشكل مستمر وارتفاع نسبة الفقر»، وتشير الحالة رقم (٥)

«إن كان صالحًا كان سيوفقه الله»، وأكدت الحالة رقم (٦) «نظام فاسد وظالم ويستغل الشعب ويتاجر بدم الشهداء وهو قمة الظلم والفساد، ولم يكتفوا بذلك بل اعتقلوا الشباب والكوادر، والمفكرين الكبار كما أن النظام السياسي يستغل الفقراء وينهب قوتهم من خلال رفع الأسعار، مما زاد من حدة الضعف والإستسلام وتشير «الحالة رقم(٢٠) «والله من ساعة ما مسكوا وفي ناس كتير أوي ماتت ظلم وناس محبوسه ظلم، في ناس كتير، جيرانا وقرايبنا ولا ليهم في حاجة خالص غير شغلهم وبيوتهم ومقبوض عليهم من أربع سنين وأكتر والآخر إتلفقتلهم قضايا ميعرفوش عنها حاجة وحكموا عليهم اللي بالسجن واللي بالإعدام، ده غير الغلا اللي طال كل حاجه، الناس عيشتها ضاقت أوي بس إحنا نستاهل أصل الدنيا خدتنا أوي وبعدنا عن ربنا»، ومقابل هذا الموقف المتشدد من النظام والرافض لسياساته أكدت (٥) حالات على أنه نظام سياسي جيد حيث أشارت الحالة رقم (٤) أنه «نظام ايجابي يسعى للتحديث والتطوير»، وأكدت الحالة رقم (١٧) أنه «نظام جيد»، وتشير الحالة رقم (١٨) أنه «نظام ذو قابلية»، وأكدت الحالة رقم (٢٣) أنه «أفضل من سابقه فهو نظام جيد

بالقيـاس إلى مـا عانتـه مـصر مـن أزمـات طاحنـة عـلى مـدار سـنوات»، وأخـيراً جـاءت (٥) حـالات تؤكـد عـدم معرفتهـا السياسـية وبالتـالي لا يمكنهـا الحكـم عـلى النظـام السـياسي الحاكـم الآن.

وتشـير النتائـج السـابقة في عمومهـا إلى ميـل غالبيـة حـالات الدراسـة إلى إتخـاذ موقـف معـادي للنظـام السـياسي الراهــن عـلى خلفيـة تأييدهـم للنظـام السـياسي السـابق الـذي كانـت الجماعـات السياسـية الإسـلامية هـي التـي تحكـم لذلـك لا يـرون أي إيجابيـات في هـذا النظـام، فهـو مـا دفعهـم لوصفـه أفظـع الأوصـاف أقلهـا الفشـل والفسـاد، هـذا بالطبـع إلى جانـب التكفـير لعـدم إقامـة شرع الله.

وفيـما يتعلـق بموقـف النظـام السـياسي الحـالي مـن النقـاب فقـد أكـدت غالبيـة حـالات الدراسـة (٢٨) حالـة أنـه ضـد النقـاب ويحاربـه، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١) أنـه «لا يشـجع عـلى ارتـداء النقـاب بـل يقيـم الحـد عـلى مـن ترتـدي النقـاب لأنـه مجتمـع متخلـف وهـذه الدولـة التـي نعيـش فيهـا ليسـت دولـة إسـلامية بـل هـي دولـة علمانيـة لا تطبـق شرع اللـه، ولذلـك تحـد مـن إنتشـار النقـاب وانتشـار العفـة لبنـات وشـباب المسـلمين»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢) أن «النظـام السـياسي لا يشـجع عـلى ارتـداء النقـاب بـل يحـد مـن انتشـاره ويعامـل المنتقبـات بشـكل سيء جـدًا»، وتشـير الحالـة رقـم (٧) أن «النظـام السـياسي لا يشـجع عـلى ارتـداء النقـاب أبـدًا بـل يحاربـه»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٤) أن» قريبـات زوجـي يقولـن أنـه مـن حـين لآخـر تظهـر حمـلات تناهـض النقـاب والحجـاب وتحاربـه»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٧) أن «النظـام السـياسي يحـد مـن انتشـار النقـاب بـل يحـد مـن الحجـاب أيضًـا»، ومقابـل هـذا الإجـماع جـاءت حالـة واحـدة فقـط تؤكـد عـلى أن النظـام السـياسي الحاكـم الآن لا يحـارب النقـاب، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١٤) إلى «أن النظـام السـياسي لديـه مـا يشـغله، وليـس شـغله الشـاغل مسـألة النقـاب»، وجـاءت حالـة واحـدة أيضًـا تؤكـد عـلى عـدم معرفتهـا إذا كان النظـام السـياسي يشـجع النقـاب أم يحاربـه.

ويتضـــح مـــن العـــرض الســـابق الموقـــف الســـلبي للمنتقبـــات مـــن النظـــام الســـياسي الحاكـم الآن، حيــث يعتقــدن أنــه يحــارب النقــاب ويقــف عقبــه أمــام ارتدائــه، كــما صــورت

لهـن جماعـات الإسـلام السـياسي، وبذلـك تتحـول القضيـة مـن قضيـة اجتماعيـة إلى قضيـة سياسـية يتـم اسـتغلال الديـن فيهـا، حيـث ينظـر للنظـام السـياسي الـذي يعـارض ارتـداء النقـاب لأسـباب اجتماعيـة عـلى أنـه نظـام يحـارب الديـن عـلى اعتبـار أن النقـاب فـرض شرعـي، وهـذا بالطبـع وعـي دينـي زائـف للمنتقبـات الـلاتي يسـتمدون معارفهـن ومعلوماتهـن الدينيـة مـن مصـادر دينيـة غـير رسمية.

أمـا بالنسـبة لنمـوذج الحكـم الأصلـح لمـصر مـن وجهـة نظـر المنتقبـات فقـد أكـدت غالبيـة حـالات الدراسـة (٢٩) حالـة عـلى رفضهـن للنظـام الحـالي، وحـول النظـام الأصلـح أكـدت (١٠) حـالات أنهـن مـع تطبيـق الشريعـة الإسـلامية حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٤) «أنهـا لا ترشـح أي نمـوذج موجـود الآن، والأفضـل تطبيـق الشريعـة الإسـلامية»، وأكـدت كذلـك الحالـة رقـم (٦) «أنـا أؤيـد نمـوذج حكـم سـيدنا محمـد وسـيدنا عمـر بـن الخطـاب»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٦) إلى «أن النـماذج الموجـودة الآن غـير صالحـة لحكـم بلـد مسـلم، والنمـوذج الصالـح فقـط هـو الخلافـة الإسـلامية التـي لابـد أن تحكـم كل بـلاد الإسـلام، فأتمنـى العـودة للقـرون الأولى مـن عهـد المسـلمين وقـت ازدهـار وصـلاح الأمـة الإسـلامية»، يليهـا (٦) حـالات أكـدت عـلى أن النمـوذج الأصلـح لحكـم مـصر هـو النمـوذج السـعودي، ثـم تابعهـا مـن يـرى أن النمـوذج الـتركي هـو الأصلـح (٥) حـالات، ثـم حالـة واحـدة أكـدت عـلى صلاحيـة النموذجـين السـعودي والـتركي، وأخـيرًا حالـة واحـدة فقـط أكـدت عـلى صلاحيـة النمـوذج العـلماني حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٢٣) أن «النمـوذج الحـالي للحكـم إن كان يطلـق عليـه علمانيًّـا، إذن فالنمـوذج العـلماني هـو الأصلـح لحكـم مـصر».

ويتضـح مـن العـرض السـابق الموقـف السـلبي للمنتقبـات مـن النظـام السـياسي الحاكـم الآن وعـدم الرضـا عـن نمـوذج الحكـم العـلماني والميـل للنـماذج التـي ترفـع شـعارات الحكـم الإسـلامي (السـعودي - الـتركي)، وإن كانـت هنـاك نسـبة كبـيرة داخـل حـالات الدراسـة تـرى أن النمـوذج الإسـلامي الواجـب تطبيقـه غـير موجـود في الواقـع اليـوم، ويجـب العـودة لتطبيـق الشريعـة الإسـلامية كـما كانـت تطبـق في بدايـات الإسـلام، وبالطبـع تعـبر هـذه الاسـتجابات عـن الكيفيـة التـي تتشـكل بهـا مواقـف المنتقبـات حيـث يلعـب مشـايخ الجماعـات السياسـية الإسـلامية الـدور الأكـبر في تشـكيل هـذا الوعـي باعتبارهـم

مصدر المعرفة والمعلومات التي تعتمد عليه المنتقبات في رسم صورة الواقع الاجتماعي والسياسي ورؤيتهن للعالم من حولهن.

استخلاصات:

١. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن موقف المنتقبات من المجتمع المصري هو موقف سلبي حيث اعتبروه مجتمع فاشل وفاسد وجاهل ومعدوم الثقافة والوعي وفوضوي وهمجي، وقد تشكلت هذه الرؤية المعادية للمجتمع لدى المنتقبات من خلال معارفهن ومعلوماتهن، فكما أكدنا في تعريفنا الإجرائي للوعي، ومن خلال الإطار النظري للدراسة بأن المرحلة الأولى لتشكيل الوعي هي المعارف والمعلومات، والتي يبنى عليها السلوك والموقف، وبما أن مصادر ومعارف ومعلومات المنتقبات (حالات الدراسة) قد تشكلت عبر المشايخ غير الرسميين من خلال دروسهم وخطبهم في المساجد والكتب وشرائط الكاسيت وبرامج الفضائيات الدينية، فإن نظرتهن السلبية للمجتمع قد تشكلت من خلال هذه المصادر، وهي بالأساس مصادر غير موثوقة وتشكل وعيًا زائفًا حول الدين والمجتمع.

٢. تشير نتائج الدراسة الميدانية أن غالبية حالات الدراسة ترى أن المجتمع المصري لا يساعد على التربية، بل يساعد على الإنحلال الأخلاقي، وتشكلت هذه النظرة السلبية للمجتمع عبر المعارف والمعلومات التي تستمدها المنتقبات من المشايخ غير الرسميين الذين ينتمون لجماعات الإسلام السياسي، ويصورون طوال الوقت المجتمع بأنه منحل أخلاقيًا، وهم المنقذ الذي سيقوم بإعادة تربية المجتمع من خلال مشروعهم السياسي، الذي يدعون أنه يستند إلى المرجعية الدينية وسيطبق شرع الله.

٣. كشفت الدراسة الميدانية أن غالبية حالات الدراسة يؤكدن أن المجتمع المصري يحارب النقاب وقد تشكلت هذه النظرة السلبية للمجتمع من خلال محاولات جماعات الإسلام السياسي المسيطرة على عقول المنتقبات تحويل ظاهرة النقاب من ظاهرة اجتماعية إلى ظاهرة دينية، حيث يحاولون إيهام المنتقبات

أن المجتمـع جاهـلي ومعـادي للديـن وليـس معاديًـا لظاهـرة اجتماعيـة قـد ترتكـب العديـد مــن الجرائــم مــن خلالهــا.

٤. أكـدت نتائـج الدراسـة الميدانيـة أن غالبيـة حـالات الدراسـة يشـاهدن التلفـاز مقابـل حـالات محـدودة أكـدن أن التلفـاز حـرام شرعًـا لأنـه مصـدر الفـتن جميعهـا، لكـن عـلى الرغـم مـن ذلـك فـإن المشـاهدة انصبـت في أغلبهـا عـلى البرامـج الدينيـة، وهـو مـا يؤكـد أن معارفهـن ومعلوماتهـن تتتشـكل عـبر هـذه البرامـج، وبالتـالي فوعيهـن الدينـي وعـي زائـف، لأن مـن يتصـدر هـذه البرامـج هـم المشـايخ غـير الرسـميين.

٥. تشـير نتائـج الدراسـة الميدانيـة أن غالبيـة حـالات الدراسـة لا تتابـع أخبـار المجتمـع المـصري الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية، وكذلـك أخبـار العـالم العـربي، لعـدم ثقتهـم في وسـائل الإعـلام التـي تبـث هـذه الأخبـار، وحتـى الحـالات القليلـة التـي تتابـع لا تعتمـد عـلى وسـائل الإعـلام المصريـة التـي تصفهـا بالفاسـدة، وتعـبر هـذه النظـرة عـن التوجهـات الفكريـة لـدى حـالات الدراسـة والتـي تتشـكل مـن خـلال المشـايخ غـير الرسـميين الذيـن ينتمـون إلى جماعـات الإسـلام السـياسي، ويعتـبرون وسـائل الإعـلام المصريـة، أداة في يـد النظـام السـياسي الحاكـم الـذي يتنافسـون معـه مـن أجـل الوصـول للسـلطة.

٦. كشــفت نتائــج الدراســة الميدانيــة أن غالبيــة حــالات الدراســة يتخــذن موقــف ســلبي مــن النظـام السـياسي الحاكـم ويصفونـه بنفـس الأوصـاف التـي يراهـا أعضـاء جماعـات الإســلام الســياسي، حيــث يعتبرونــه ظــالم ومســتبد ولا يقيــم شرع اللــه، هــذا إلى جانــب محاربتـه للنقـاب، وتعـد هـذه محاربـة للديـن وتشـكلت هـذه الرؤيـة السـلبية مـن خـلال سـيطرة جماعـات الإسـلام السـياسي عـلى أدمغـة حـالات الدراسـة عـبر المعـارف والمعلومـات المغلوطــة والمضللــة التــي يقدمونهــا لهــن عــبر دروســهم وخطبهــم التــي تعــد المصــدر الرئيـسي لتشـكيل وعـي المنتقبـات، لذلـك فهـذا الموقـف ناتـج عـن وعـي زائـف بحقيقـة الـصراع السـياسي عـلى السـلطة الـذي يـزج فيـه بقضايـا هـي بالأسـاس اجتماعيـة وليـــست دينيــة.

٧. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن غالبية حالات الدراسة ترفض نظام الحكم الحالي، وترى أن النموذج الأمثل للحكم هو النموذج الإسلامي كما يصور لهن ذلك مشايخ جماعات الإسلام السياسي التي تشكل وعيهن، وهذا النموذج الإسلامي المقترح يدور حول ثلاثة أشكال:

الأول: هو العودة لنظام الحكم خلال مرحلة النبوة والخلافة الراشدة، والثاني هو النموذج السعودي والثالث هو النموذج التركي باعتبار النموذجين الآخرين من وجهة نظر مشايخهم هما الأقرب للحكم الإسلامي، وبالطبع من السهولة الكشف عما يقف وراء هؤلاء المشايخ ويدعمهم ويمولهم لنشر هذه الأفكار داخل المجتمع المصري.

***



الفصل العاشر

موقف وسلوك المنتقبات في قضايا الحياة اليومية

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل تحقيق أحد أهداف الدراسة الراهنة، والإجابة على واحد من تساؤلاتها الفرعية، وسوف نعتمد بشكل أساسي على نتائج دراسة الحالة، والتحليل الكيفي لها من أجل التعرف أولًا على نظرة المنتقبات لأنفسهن في مواجهة غير المنتقبات سواء داخل الأسرة أو خارجها، وثانيًا الكشف عن نظرة وسلوك المنتقبات تجاه غير المنتقبات، وثالثًا موقف المنتقبات من بعض القضايا الحياتية، ورابعًا التعرف على الحجج والبراهين التي تمتلكها المنتقبات لإقناع غير المنتقبات بإرتداء النقاب.

أولا: نظرة المنتقبات لأنفسهن في مواجهة غير المنتقبات:

في محاولة التعرف على نظرة المنتقبات لأنفسهن في مواجهة غير المنتقبات، وهل هن أكثر تدينًا من غير المنتقبات في المجتمع المصري، أكدت ما يزيد عن نصف حالات الدراسة (١٧) حالة أن المنتقبات ليسوا أكثر تدينًا من غير المنتقبات في المجتمع المصري، حيث أشارت الحالة رقم (١) «ليست كل من ارتدت نقاب أصبحت منتقبة، فمنهم من يفعل أشياء خاطئة فترتدي النقاب لكي لا يعرفها أحد، وهذا منتشر جدًا في مجتمعنا، إن المنتقبة بحق هي من تراعي حق النقاب، وتكون ملتزمة فعلًا وقولًا»، وأكدت الحالة رقم (٤) «هناك منتقبات غير متدينات بالمرة، وهناك سيدات غير منتقبات وملتزمات جدًا»، وتشير الحالة رقم (١٩) «ليس كل المنتقبات يرتدين النقاب تدينًا لذلك ليس كلهن ملتزمات كما ينبغي»، وتؤكد الحالة رقم (٢٥) «أن نسبة المنتقبات المتدينات بحق قليلة في المجتمع، فهناك الكثير من المنتقبات بالمجتمع ولكن ليس كلهن ملتزمات، فهناك من ترتديه موضة، وهناك من ترتديه لكي تتزوج، وهناك من ترتديه عادة في بيئتها، وهناك من ترتديه لتتسول به أو تسرق به أو تعمل بالبيع أو

الـشراء مـن غـير أن يكشـف هويتهـا أحـد»، وفي المقابـل أكـدت (١٣) حالـة عـلى أن المنتقبـات أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات داخـل المجتمـع، حيـث تشـير الحالـة رقـم (٦) «أن المنتقبـات أكـثر تدينًـا وإلتزامًـا مـن غيرهـن داخـل المجتمـع، وأري أن النقـاب هـو الـزي الشرعـي وهـو رمـز الديـن والتديـن ويجـب أن يكـون للجميـع، وليـس للمنتقبـات فقـط»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٧) «أكـثر المنتقبـات عـلى ديـن وخلـق رفيـع، وهـن حامـلات كتـاب اللـه ويسـعون للخـير دائمًـا»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٣) أن «أغلـب المنتقبـات أكـثر تدينًـا مـن غيرهـن مـن غـير المنتقبـات داخـل المجتمـع إذا إسـتثنينا مـن تسـتخدم النقـاب وسـيلة للإجـرام والنصـب والتسـول».

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن النسـبة الأكـبر داخـل حـالات الدراسـة تميـل إلى التأكيـد عـلى أن المنتقبـات ليسـت أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات داخـل المجتمـع المـصري، وهـو مـا يؤكـد أن النقـاب ظاهـرة اجتماعيـة وليسـت دينيـة كـما يحـاول أن يظهرهـا بعـض مشـايخ جماعـات الإسـلام السـياسي لتوظيفهـا في صراعهـم السـياسي عـلى السـلطة.

وفيـما يتعلـق إذا كانـت المنتقبـات أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات داخـل الأسرة أكـدت نصـف حـالات الدراسـة أن المنتقبـات ليسـت أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات داخـل الأسرة، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١٩) أن «كل النسـاء داخـل الأسرة ملتزمـات ومتدينـات المنتقبـات فيهـن وغـير المنتقبـات»، وأكـدت الحالـة رقـم (٢٠) «كل المنتقبـات داخـل أسرتي لا يرتدينـه إلتزامًـا وتدينًـا، وإنمـا زي فقـط للخـروج بديـلًا للملبـس، لذلـك ليـس هنـاك فـرق بـين المنتقبـات وغـير المنتقبـات في التديـن داخـل الأسرة»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٧) «لسـنا أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، فأغلـب مـن يرتدينـه مـن أسرتي يرتدينـه إحتشـامًا وليـس إلتزامًـا»، وفي المقابـل أكـدت (١٠) حـالات أن المنتقبـات داخـل الأسرة أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، في حـين أشـارت (٥) حـالات أن كل نسـاء الأسرة منتقبـات، لذلـك لا يدركـن هـذا الفـرق داخـل أسرهـم.

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن النسـبة الأكـبر داخـل حـالات الدراسـة تميـل إلى التأكيـد عـلى أن المنتقبـات داخـل الأسرة ليسـت أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، وهـو

مـا يدعـم فكـرة أن النقـاب ظاهـرة اجتماعيـة غـير مرتبطـة بالتديـن كـما يشـيع مشـايخ الجماعـات السياسـية الإسـلامية الذيـن يسـتخدمون قضيـة النقـاب بإعتبارهـا قضيـة دينيـة خلافيـة بينهـم وبـين النظـام السـياسي الحاكـم.

وبالنسـبة لوجهـة نظـر المنتقبـات في الزمـلاء وهـل المنتقبـات منهـن أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، فقـد أكـدت (١٧) حالـة أن المنتقبـات مـن الزميـلات أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، مقابـل (١٣) حالـة أكـدت عـلى أن النقـاب ليـس شرطًـا للتديـن بـين الزميـلات، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٤) «ليـس بالـضرورة فهنـاك منتقبـات ليـس لهـن علاقـة بالتديـن أصـلًا، ولكـن تتخفـى ورائـه»، وأكـدت الحالـة رقـم (٦) «ليـس شرطًـا، ففـي زماننـا هـذا بـدأ يكـثر النقـاب وينتـشر بـين الجميـع وليـس الملتزمـين فقـط»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٨) «لـدي صديقـات مـن غـير المنتقبـات وهـن أكـثر إلتزامًـا مـن غيرهـن مـن المنتقبـات».

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن هنـاك نسـبة يعتـد بهـا مـن بـين حـالات الدراسـة تميـل إلى التأكيـد أن المنتقبـات بـين الزمـلاء ليسـوا أكـثر تدينًـا مـن غـير المنتقبـات، وهـو مـا يؤكـد أن النقـاب ظاهـرة إجتماعيـة أكـثر منهـا ظاهـرة دينيـة، وبـأن جماعـات الإسـلام السـياسي هـي التـي توظفهـا كظاهـرة دينيـة في محاولـة وصـم النظـام السـياسي الحاكـم بأنـه ضـد الديـن.

وفيــما يخــص رؤيــة حــالات الدراســة لمــن الأكــثر تدينًــا داخــل الحــي الســكني المنتقبــات أم غــير المنتقبــات، أكــدت (١٧) حالــة عــلى أنــه لا فــرق بــين المنتقبــات وغــير المنتقبــات في محيــط الحــي الســكني، حيــث أشــارت الحالــة رقــم (١) «يوجــد في الحــي كثــير مــن المنتقبــات ولا يعملــون بــه، ويرتــدوا النقــاب ليفعلــوا الخطــأ ويفعلــوا الحــرام كلــه، إذًا فليــس كل المنتقبــات أكــثر تدينًــا»، وتؤكــد الحالــة رقــم (٢) «ليــس شرطًــا نهائيًــا، في الحــي الســكني الــذي أعيــش فيــه يوجــد منتقبــات غــير ملتزمــات نهائيًّــا، بــل غــير المنتقبــات يكونــوا أفضــل منهــم إلتزامًــا وإحترامًــا»، وتشــير الحالــة رقم (٦)

«للأســف لا، مــع أنــه هــو الــزي الشرعــي الصحيــح»، وتؤكــد الحالــة رقــم (٢٧) «غالبيــة نســاء بلــدتي الآن يرتديــن النقــاب، ولكــن أغلبهــن لا يفقهــن شــيئًا في الديــن، فقــد أصبــح

النقاب عادة وليس عبادة، لذلك فالمنتقبات في بلدتي ليسوا أكثر إلتزامًا من غير المنتقبات»، وتشير الحالة رقم (٣٠) «أن غالبة نساء بلدتي يرتدين النقاب إحتشامًا فقط وليس تدينًا»، وفي المقابل أكدت (١٣) حالة على أن المنتقبات أكثر تدينًا من غير المنتقبات داخل الحي السكني الذي يقطنون به.

ويتضح من العرض السابق أن النسبة الأكبر من حالات الدراسة ترى أن المنتقبات ليست أكثر تدينًا من غير المنتقبات داخل أحياءهم السكنية، وهو ما يدعم أن ظاهرة النقاب عادة اجتماعية على حد تعبير العديد من الحالات، وليست ظاهرة دينية، كما يدعي أنصار الجماعات السياسية الإسلامية.

ثانيًا: نظرة وسلوك المنتقبات تجاه غير المنتقبات:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على نظرة وسلوك المنتقبات تجاه غير المنتقبات بإعتباره مؤشرًا على وعيهم المكتسب من المعارف والمعلومات التي يحصلون عليها، وفي هذا الإطار أكدت كل حالات الدراسة أن لهن أصدقاء من غير المنتقبات، حيث يعتبرون أن النقاب ليس شرطًا للصداقة، حيث أشارت الحالة رقم (١) «لدى كثير من الأصدقاء غير المنتقبات، وأتعامل معهم بكل الحب والإحترام والتقدير»، وتؤكد الحالة رقم (٣) «لدى أصدقاء غير منتقبات، فالصداقة بالشخصية والمواقف وليست بالملبس»، وتشير الحالة رقم (٧) «لدي صديقات غير منتقبات ولكنهم على خلق ودين»، وتؤكد الحالة رقم (٢٤) «جميعهن غير منتقبات، وتجمعني بهم الصداقة والقرب والحوار المشترك».

وتشير هذه النتائج أن موقف حالات الدراسة يعد موقف إيجابي تجاه غير المنتقبات، وهو ما يؤكد أن القضية اجتماعية وليست دينية، ذلك لأنها إذا كانت دينية ما كان كل هذا الميل لصداقة غير المنتقبات.

وفيما يتعلق بموقف ونظرة المنتقبة للمحجبة فقد أكدت غالبية حالات الدراسة (٢٨) احترامهن للمحجبات، حيث أشارت الحالة رقم (١) «نظرة احترام طبعًا فأنا لا أقلل من شأن أحد، ولا أفتخر بنفسي، لأنها ممكن أن تكون أفضل مني عند الله»،

وتؤكـد الحالـة رقـم (٢) « لا تقـل في نظـري عـن المنتقبـة، لأني كنـت في يـوم مثلهـا «، وتشـير الحالـة رقـم (٢٧) «أحبهـن كثـيرًا، وأرى كثـيرات منهـن أفضـل منـي، وقـد يكونـوا أكـثر إلتزامًـا مـن المنتقبـات»، ومقابـل ذلـك أكـدت حالتـين عـلى عـدم إلتزامهـن، فقـد أكـدت الحالـة رقـم (٨) «أعتبرهـا غـير ملتزمـة دينيًـا»، وأشـارت الحالـة رقـم (٢٦) «إلتزامهـا ناقـص لأن النقـاب فـرض مثـل الصـلاة».

وتشـير هـذه النتائـج إلى الموقـف الإيجـابي الـذي تتخـذه غالبيـة حـالات الدراسـة تجـاه المحجبـات، وهـو مـا يؤكـد أن النقـاب ظاهـرة اجتماعيـة أكـثر منهـا ظاهـرة دينيـة.

وبالنســبة لموقــف المنتقبــات ونظرتهــن للســيدات الــلاتي لا يرتديــن النقــاب والحجــاب (الســافرات)، فقــد تباينــت ردود الأفعــال تجاههــم، حيــث أكــدت (١٨) حالــة أنهــم يحترمونهــم ويدعـون لهـم بالهدايـة، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٤) «اللـه يهديهـا»، وأكـدت الحالـة رقـم (٦) «هــي في نظـري مثـل المنتقبـة، لكـن الفـرق يكـون في الإلتــزام بالمظهـر الخارجـي فقــط»، وتشــير الحالـة رقـم (١٨) «أحبهـا وأحترمهـا»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٤) «أحترمهـا، فليـس هنـاك علاقـة بـين الســفور وعــدم الإحــترام، فكثـير منهــن عــلى خلــق وديــن وينقصهــا فقــط الحجــاب»، وفي مقابــل ذلـك أكـدت (١٢) حالـة أنهـن يقفـن منهـن موقـف الشـفقة لأنهـن غـير ملتزمـات، ومنهـم الخاطئـة والآثمـة والمذنبـة والفاسـقة وقليلـة الإيمـان، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٢) «أتعجـب مـن المـرأة المسـلمة التـي لا ترتـدي الحجـاب، فهـي خاطئـة خطـأ كبـير جـدًا»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٣) «أن غـير المحجبـة آثمـة لأن الحجـاب فـرض»، وتشـير الحالـة رقـم (٢٢) «مـن لا ترتـدي الحجـاب مذنبـة في حـق نفسـها وحـق اللـه»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٦) «أن غـير المحجبـة فاسـقة إن لم تتـب إلى اللـه»، وأشـارت الحالـة رقـم (٢٨) «أن السـافرة قليلـة الإيمـان وغـير ملتزمـة بتعاليـم اللـه».

ويتضــح مــن العــرض الســابق أن النســبة الأكــبر داخــل حــالات الدراســة تميــل إلى إحــترام غــير المنتقبــات والمحجبــات، ولكنهــم يدعــون لهــم بالهدايــة ويتمنــون أن يرتديــن الحجــاب أو النقــاب، ويعتــبرون الــزي ليــس شرطًــا للحكــم عــلى الأخــلاق والإلتــزام والتديــن، وهــو مــؤشر عــلى أن النقــاب ظاهــرة اجتماعيــة وليســت دينيــة كــما يصــور بعــض الذيــن

ينتمـون لجماعـات الإسـلام السـياسي. لكـن يلاحـظ أن كثـير مـن حـالات الدراسـة عنـد حديثهـن عـن السـافرات أكـدن عـلى ضرورة ارتدائهـن للحجـاب لأنـه فـرض دينـي، ولم يتحدثـن عـن ارتدائهـن للنقـاب، وهـو مـا يعنـي قناعـة البعـض داخـل حـالات الدراسـة بـأن النقـاب ليـس فرضًـا دينيًـا عـلى عكـس الحجـاب.

وفيـما يخـص تفضيـل المنتقبـات التعامـل مـع المنتقبـة أم غـير المنتقبـة أكـدت غالبيـة حـالات الدراسـة (٢٣) حالـة أنـه لا فـرق في ذلـك بـين المنتقبـة وغـير المنتقبـة، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (١) «أفضـل التعامـل مـع الأكـثر إلتزامًـا وعلـمًا سـواء كانـت منتقبـة أو غـير منتقبـة»، وأكـدت الحالـة رقـم (٦) «لا يوجـد فـرق في التعامـل بينهـم، فنحـن جميعًـا مسـلمين، والمنتقبـة كانـت يومـا مـا غـير منتقبـة»، وتشـير الحالـة رقـم (١٦) «أتعامـل مـع المنتقبـة وغـير المنتقبـة، فالنقـاب حريـة شـخصية»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٢٥) «ليـس هنـاك فـرق في المعاملـة، وأفضـل التعامـل مـع مـن يحمـل معـاني الإنسـانية، ويتحـلى بالأخـلاق الكريمـة أيًّـا كانـت جنسـيته أو دينـه»، وفي المقابـل أكـدت (٧) حـالات عـلى تفضيلهـن التعامـل مـع المنتقبـات، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٣) «أفضـل التعامـل مـع المنتقبـة لأنهـا عـلى درايـة بالديـن، وأنـا أحبهـم في اللـه»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٦) «أفضـل التعامـل مـع المنتقبـة لأنهـا أكـثر إلتزامًـا»، وتشـير الحالـة رقـم (١٠) «أفضـل المنتقبـة طبعًـا، نظـرًا للتوافـق الفكـري»، وتؤكـد الحالـة رقـم (٣٠) «المنتقبـة أكـثر لأننـا في الغالـب يكـون تفكيرنـا أو أسـلوبنا في الحيـاة متقـارب، واهتماماتنـا مشـتركة».

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن غالبيـة حـالات الدراسـة لا تفضـل المنتقبـات عـلى غـير المنتقبـات في التعامـل، وهـو مـا يعنـي أن ظاهـرة النقـاب لـدى حـالات الدراسـة ظاهـرة اجتماعيـة أكـثر منهـا دينيـة، وهـو مـا يدعـم فكـرة اسـتخدام جماعـات الإسـلام السـياسي لقضيـة النقـاب لوصـم النظـام السـياسي الحاكـم بأنـه معـادي للديـن لوقوفـه معارضًـا لإنتشـار النقـاب، عـلى الرغـم مـن أن موقفـه في القضيـة واضـح بأنـه يعـارض لأسـباب بعيـدة عـن الديـن، وهـي أسـباب اجتماعيـة خالصـة تتمثـل في محاربـة الجرائـم المتخفيـة في النقـاب.

ثالثًا: موقف المنتقبات من بعض القضايا الحياتية:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على موقف المنتقبات من بعض القضايا الحياتية، وتأتي قضية الاختلاط بين الرجل والمرأة في التعليم والعمل في المقدمة، حيث أكدت (١٨) حالة على رفضها للاختلاط، حيث أشارت الحالة رقم (٢) «أرفض الاختلاط بين الرجل والمرأة لأني على عقيدة ثابتة، وهي أن الاختلاط حرام شرعًا، ولا يصلح أبدًا من ناحية الدين»، وأكدت الحالة رقم (١٢) «أرفض الاختلاط تمامًا»، وتشير الحالة رقم (٢٦) «الاختلاط حرام، ولا يجوز للمرأة الخروج من بيتها إلا بمحرم، ولا يجوز لها تعلم إلا العلوم الشرعية، ولا يجوز لها العمل خارج المنزل»، وفي المقابل أكدت (١٠) حالات الموافقة على الاختلاط لكن بحدود، حيث أشارت الحالة رقم (١) «أوافق على الاختلاط لكن في حدود التعليم، وفي حدود العمل عند الحاجة فقط»، وتؤكد الحالة رقم (٨) «أوافق على الاختلاط في حدود الأخلاق وتعاليم الدين»، وتشير الحالة رقم (٢٨) «أوافق على الاختلاط للضرورة القصوى، لأن الصداقة والزمالة بغير ضوابط لا أرجحها تمامًا»، وجاءت حالتان فقط أكدن على أن الاختلاط أمر طبيعي وجائز ومقبول، حيث أشارت الحالة رقم (١٨) «الاختلاط أمر طبيعي لأننا نعيش في مجتمع مختلط».

ويتضح من العرض السابق ميل النسبة الأكبر داخل حالات الدراسة إلى رفض فكرة الاختلاط، ومن وافق عليه وافق متضررًا وللضرورة، وهو ما يعبر عن وعي ديني مشوه، فالرجال بالنسبة للمنتقبات دائمًا محل شك، نظرًا للمعارف والمعلومات التي حصلت عليها المنتقبات من المشايخ غير الرسميين الذين ينتمون إلى تيار الإسلام السياسي.

وفيما يتعلق بموقف المنتقبات ونظرتهن للمرأة غير المسلمة فقد جاءت (١٦) حالة يؤكدن على موقفهن السلبي من غير المسلمات، حيث أشارت الحالة رقم (٢) «أنظر إليها بتعجب لأنها غير مسلمة، والدين عند الله الإسلام، وأستعجب من أنها سعيدة، وأنا أرى الراحة والانبساط أن أكون على دين الله (الإسلام)»، وأكدت الحالة رقم (١٢) «أنظر إليها بشفقة، وأتعامل معها للضرورة فقط»، وتشير الحالة رقم (٢٩) «هم يكذبون بالله ورسوله، وأتمنى لهم دخول الإسلام»، وفي المقابل أكدت (١٤) حالة

على احترامهم والتعامل معهم مثل المسلمين، حيث أشارت الحالة رقم (١) «نظرتي لغير المسلمة قائمة على الود والاحترام والرحمة»، وأكدت الحالة رقم (١٧)

«نظرتي عادية، وأتعامل معها عادي جدًا، فلكل منا حرية الدين والاعتقاد»، وتشير الحالة رقم (٢٧) «لي صديقة غير مسلمة أحبها، وطالما وقفت بجواري في أحلك الظروف، وحتى الآن هي أعز صديقاتي».

ويتضح من العرض السابق ميل جزء كبير يتعدي نصف حالات الدراسة لاتخاذ موقف سلبي وعدائي من غير المسلمين، وهو ما يعبر عن وعي ديني مشوه لدى حالات الدراسة، وفي الغالب يأتي هذا الموقف والسلوك من خلال المعارف والمعلومات الخاطئة عن الدين، والتي يستمدونها من المصادر غير الرسمية، ومن المشايخ الذين ينتمون إلى جماعات الإسلام السياسي.

وبالنسبة لرؤيتهم للأجانب غير المسلمين، وهل سيدخلون الجنة أكدت نصف حالات الدراسة دخولهم النار بشكل قطعي، حيث أشارت الحالة رقم (١) «لن يدخلون الجنة فكل من مات ولم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهو في النار»، وأكدت الحالة رقم (٢٥) «لا يدخلون الجنة فهم كفروا بالله ورسوله»، وتشير الحالة رقم (٢٨) «يدخلون النار، لأنهم يكفرون بالله ورسوله»، وفي المقابل أكدت نصف حالات الدراسة الباقية أنهن لا يعلمن إذا كان الأجانب غير المسلمين سيدخلون الجنة أم لا، لأن علمها عند الله، حيث أشارت الحالة رقم (٣) «دخول الجنة والنار أمر لا يعلمه أحد سوى الله وحده»، وأكدت الحالة رقم (٦) «من أنا أكون حتى أقول من سيدخل الجنة من عدمه»، وتشير الحالة رقم (١٨) «أنا لا أحكم على أحد».

ويتضح من العرض السابق أن نصف حالات الدراسة أكدت بدخول الأجانب غير المسلمين للنار بحكم قاطع، وهو ما يعبر عن وعي ديني مشوه ومتشدد ومستقي من جماعات الإسلام السياسي التي تكفر ما يحلو لها، في حين أن حكم الكفر والإيمان ودخول الجنة ودخول النار أشياء لا يعلمها إلا الله، وبذلك نجد أن نسبة لا بأس بها من حالات الدراسة تؤكد عدم الجزم بذلك وعلمه عند الله.

وفيما يخص موقف المنتقبات من ارتداء بناتهن النقاب، فقد أكدت (١٧) حالة على أن ارتداء النقاب حرية شخصية، ولا يمكن أن تجبر بناتهن على ارتدائه مادامت الفتاة لا ترغب في ذلك، حيث أشارت الحالة رقم (٤) « لم أغصبها على النقاب إن لم تكن مقتنعة، فالنقاب ليس أساسي»، وأكدت الحالة رقم (١٩) «هذه حرية شخصية، ولن أجبرها عليه، لأن العلماء اختلفوا حوله، فليس لي أن أجبر ابنتي عليه»، وتشير الحالة رقم (٢٥) «لها مطلق الحرية في ارتدائه، فأنا ابنتي ارتدته ثم خلعته ولم أعارضها حين تركته»، وفي المقابل أكدت (١٢) حالة أنهن سيحاولن إقناعهن بالنقاب، والدعاء لهن بالهداية، حيث أشارت الحالة رقم (١) «يجب أن أنصحها وأعرفها أنه فريضة من الله وأدعو ربي يهديها ويشرح صدرها»، وتؤكد الحالة رقم (١٦)

«سأحاول معها لأحببها فيه لكي ترتديه عن إقتناع»، وتشير الحالة رقم (٣٠) «أحاول إقناعها فإن رفضت فليس لي عليها سبيل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء».

ويتضح من العرض السابق أن النسبة الأكبر داخل حالات الدراسة ترى أن النقاب حرية شخصية، لذلك لا يمكن إجبار بناتهن عليه، ولكن فقط عليهن النصيحة، وباقي حالات الدراسة أكدن أنهن سيحاولن إقناعهن بذلك، وتعبر هذه الإجابات عن أن حالات الدراسة لا يعتبرن النقاب مظهرًا دينيًا بقدر ما هو مظهر اجتماعي، وإلا لقُمن بإجبار بناتهن على إرتدائه، ويتضح هنا مدى التناقض في أفكار وسلوكيات المنتقبات، فحين يكون الأمر يخص الآخرين يكون الحكم قاطعًا، أمّا حين يكون الأمر يخص قريب منهم فالحكم يتغير ويظهر اللين، فأمر النقاب أصبح حرية شخصية، ولا يجب الإجبار عليه، ولابد من النصح والإقناع حين أصبح الأمر يخص بناتهن.

وفيما يتعلق بموقف المنتقبات من قضية تعدد الزوجات، وهي من القضايا التي يجيزها الدين والشرع الإسلامي، فقد أكدت نصف حالات الدراسة بالرفض القاطع للتعدد، حيث أشارت الحالة رقم (٢) «لا أقبل أبدًا ولا أتحمل هذا الشيء»، وأكدت الحالة رقم (٢٠) « مستحيل أقبل بذلك، وقد حاول زوجي ولكن رفضت ومكثت في

بيت أهلي شهور عديدة حتى تنازل عن فكرته»، وتشير الحالة رقم (٣٠) «لا أقبل زواجه بأخرى تحت أي ظرف، وإذا أصر فليتزوج ولكن بعد إنفصالنا»، وفي المقابل أكدت (١١) حالة الموافقة لكن بشروط، حيث أشارت الحالة رقم (١) «أقبل لأنه شرع الله لكن بشرط أن أكون مقصرة معه، كأن لا أنجب له مثلًا»، وأكدت الحالة رقم (٥) «نعم أقبل في حالة تقصيري معه»، وتشير الحالة رقم (٢٩) «نعم أقبل، لكن بشروط وضوابط إذا كنت مقصرة في حقه»، أمّا من وافقت بدون شروط فكانت (٤) حالات فقط، حيث أشارت الحالة رقم (٢٥) «نعم من حقه التعدد حتى لو لم يكن هناك أسباب قوية لهذا الزواج، فأنا أري أن الزواج من أخرى أحد حقوق الرجل بغير ضوابط أو أسباب».

ويتضح من العرض السابق أن قضية تعدد الزوجات كاشفة لمدى الوعي الديني الزائف لدى حالات الدراسة، فعلى الرغم من عدم وجود خلاف فقهي حول تعدد الزوجات إلا أن نصف حالات الدراسة رفضت الأمر نهائيًا وبشكل قاطع، رغم أن ذلك يعد مخالفة دينية صريحة، وهو ما يؤكد أن النقاب ظاهرة اجتماعية وليست دينية لدى حالات الدراسة، وبالطبع نسبة كبيرة من حالات الدراسة التي وجدت أنها ستخالف الشرع برفض التعددية أكدت على الموافقة بشروط، وهي التقصير في حق الرجل، والنسبة الأقل هي التي أكدت على الموافقة بدون شروط، وهنا يتضح أن النقاب لا يعبر عن تدين حقيقي، بل هو ظاهرة اجتماعية يستغلها تيار الإسلام السياسي كظاهرة دينية في صراعه على السلطة مع النظام السياسي الحاكم.

رابعًا: الحجج والبراهين التي تمتلكها المنتقبات للإقناع على ارتداء النقاب:

نحاول من خلال هذا المحور التعرف على الحجج والبراهين الدينية سواء من القرآن والسنة التي تمتلكها المنتقبات لإقناع غير المنتقبات على ارتداء النقاب، وبالطبع هذه الحجج الدينية دليل على المعرفة والإلمام بشؤون الدين، وهو مؤشر على الوعي الديني لدي المنتقبات، وفي هذا الإطار أكدت (١٦) حالة من حالات الدراسة أنهن في إقناعهم للآخرين يستخدمون الكلمات اللينة والود والرحمة والحب، حيث

أشـارت الحالـة رقـم (٢) « أقنعهـم بـأن النقـاب خـير لبـاس للبنـت، وأنـه عفـة وسـتر وأحببهـم فيـه»، وأكـدت الحالـة رقـم (٦) «أحـكي عـن تجربتـي عـن النقـاب، ومقـدار الراحـة بعـد ارتدائـه»، وتشـير الحالـة رقـم (٣٠) «أقنعهـم بالمعاملـة الحسـنة والتسـامح والمحبـة والتعـاون، لأن تأثـير المعامـلات أقـوي وأرفـع مـن تأثـير الأقـوال»، وجـاءت في المرتبـة الثانيـة الإقنـاع بأدلـة مـن القـرآن والسـنة، وهـو مـا أكـدت عليـه (٥) حـالات، ثـم أكـدت (٤) حـالات عـلى أن الإقنـاع يكـون عـن طريـق الإرشـاد للمشـايخ السـلفيين والكتـب التـي يؤلفونهـا، ثـم أكـدت (٤) حـالات عـلى أنهـن لا يحولـن إقنـاع أحـد بارتـداء النقـاب حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٢٤) «لسـت أهـلًا لإقنـاع أحـد بـشيء لم أقتنـع بـه عندمـا ارتديتـه»، ثـم جـاءت حالـة أخـيرة تؤكـد أن طريقهـا للإقنـاع هـو التخويـف والترهيب.

ويتضـح مـن العـرض السـابق أن الغالبيـة العظمـى مـن حـالات الدراسـة لا تمتلـك الحجـج والبراهـين الدينيـة لإقنـاع غـير المنتقبـات بإرتـداء النقـاب، وهـو مـا يؤكـد أن النقـاب ظاهـرة اجتماعيـة وليسـت ظاهـرة دينيـة كـما يحـاول أنصـار الجماعـات السياسـية الإسـلامية تصويـره، والدليـل عـلى ذلـك انخفـاض الوعـي الدينـي لـدى المنتقبـات مـن حـالات الدراسـة.

وفيـما يتعلـق بالمـبررات التـي يمكـن تقديمهـا لغـير المنتقبـة لـكي ترتـدي النقـاب، فقـد أكـدت (١٧) حالـة بـأن المـبرر الأول هـو الحفـاظ عـلى النفـس والعفـة والسـتر، حيـث أشـارت الحالـة رقـم (٣) «النقـاب يعنـي العفـة والعمـل بـه»، وتشـير الحالـة رقـم (٧)» المـبررات كثـيرة، ولكـن أهمهـا العفـة والسـتر للمسـلمات»، وأكـدت الحالـة رقـم (٣٠) «إنـك لسـت سـلعة رخيصـة، فقـد عظـم الإسـلام مـن شـأن المـرأة، فحافظـي عـلى نفسـك لمـن يسـتحقها»، وأكـدت (٦) حـالات عـلى أن المـبررات مـن القـرآن والسـنة دون أن يذكـرن هـذه المـبررات، ثـم ثلاثـة حـالات أكـدن عـلى عـدم معرفتهـم بـأي مـبررات، وحالتـين أكـدن عـلى أن هنـاك مـبررات لـدى كتـب الـتراث والمشـايخ، وحالـة أكـدت عـلى أن هنـاك خـلاف حـول النقـاب والأفضـل الأخـذ بأنـه فـرض، وحالـة أخـرى أكـدت عـلى أنـه فـرض، وهـذا هـو مبررهـا في الإقنـاع.

ويتضح من العرض السابق أن غالبية حالات الدراسة لا تمتلك مبررات دينية قوية لإقناع غير المنتقبات بارتداء النقاب، وهو ما يعني انخفاض الوعي الديني لدى المنتقبات، وأن ارتدائه عادة اجتماعية وليست عن معرفة ووعي ديني حقيقي، وإلا كانت المبررات الدينية جاهزة، وهو ما يدعم فكرة أن الجماعات السياسية الإسلامية تستخدم النقاب استخدامًا دينيًّا في صراعها مع النظام السياسي الحاكم على السلطة.

وبالنسبة للحجج الدينية التي تمتلكها المنتقبات أكدت (٢٦) حالة عدم امتلاكهن لحجج دينية سواء آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، بل كانت فقط كلمات حول العفة والستر والحفاظ على النفس، في مقابل (٤) حالات فقط هي التي استشهدت بآيات وأحاديث ليست قاطعة فيما يتعلق بإرتداء النقاب، وجميعها تنطبق على الحجاب.

وتشير هذه النتائج إلى تدني مستوى المعرفة الدينية لدى حالات الدراسة حتى في أبسط المعلومات التي يجب أن تكون متوفرة لدى أي منتقبة، وهي الأدلة والحجج الدينية وراء ارتداء النقاب، وهو ما يؤكد أن ظاهرة النقاب ظاهرة اجتماعية أكثر منها دينية، على عكس ما يصور المنتقبات والجماعات السياسية الإسلامية التي تدعم فكرة إرتدائه بدافع ديني.

وفيما يتعلق بالنصائح التي يمكن أن تقدمها المنتقبات لغير المنتقبات لإقناعهم بضرورة ارتداء النقاب، فقد أكدت (١٦) حالة على النصائح الاجتماعية، حيث أشارت الحالة رقم (١) «النقاب عفة وحشمة وستر وصون للجمال»، وأكدت الحالة رقم (١٢) «النقاب وسيلة للعفة والطهارة في زمن التحرش»، وتشير الحالة رقم (١٩) «النقاب زيادة في الاحتشام ويبعد عنك أذى الآخرين من نظرات أو تحرش أو ما شابه ذلك»، وجاءت (٩) حالات تنصح بأنه اقتداء بزوجات النبي، وتقرب من الله وتنفيذ تعاليمه، حيث أشارت الحالة رقم (٢٣) «إن أردتي أن تكوني رفيقة النبي وزوجاته في الجنة تمسكي بما تمسكوا به»، وأكدت (٣) حالات أنهن لا يملكن غير الدعاء لهن،وأكدت حالتين على أنهم لا يملكن تقديم نصيحة، حيث أشارت الحالة رقم (٢٤) «كيف أنصح أحد بإرتداء لباس لم يزيدني أنا- منذ أرتديته منذ أعوام – بشيء، فلم أحفظ القرآن، ولم أمتنع عن الغناء أو التلفاز، ولم أحضر دروس علم، ولم يزد إلتزامي قيد أنملة عن قبل إرتدائي إياه، لم أنصح أحد به منذ أرتديته».

ويتضح من العرض السابق أن المنتقبات داخل حالات الدراسة لا يمتلكن الوعي الديني الكافي لتقديم نصائح حقيقية مستندة إلى أدلة وبراهين دينية وفقهية، لتقديمها لغير المنتقبات لإقناعهن على ارتداء النقاب، وهو ما يؤكد ما أشرنا إليه كثيرًا بأن ظاهرة النقاب هي ظاهرة اجتماعية وليست دينية، فمعظم النصائح التي تقدمها المنتقبات لغير المنتقبات تدخل في نطاق النصائح الاجتماعية، كالخوف من التحرش والحفاظ على النفس والبعد عن الفتنة، وحتى النصائح الأخرى هي من قبيل التقرب من الله، والتشبه بزوجات النبي دون تقديم أدلة دينية من القرآن والسنة تحسم الخلاف حول قضية النقاب، وبذلك يتأكد أن الوعي الديني للمنتقبات منخفض ومتدني للغاية، وهي قضية يتم توظيفها من قبل جماعات الإسلام السياسي في صراعها على السلطة.

الاستخلاصات

١. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن الصورة الذهنية للمنتقبات عن تدينهم مقابل تدين غير المنتقبات في المجتمع المصري بشكل عام وداخل الأسرة وبين الزملاء والجيران في الحي السكني بشكل خاص هو أنهم ليسوا أكثر تدينًا، وهو ما يؤكد أن النقاب ظاهرة اجتماعية وليست دينية، كما يحاول أنصار جماعات الإسلام السياسي تصويره، بل هي قضية يتم توظيفها دينيًّا في صراعهم السياسي على السلطة.

٢. تشير نتائج الدراسة الميدانية أن نظرة وسلوك المنتقبات لغير المنتقبات هي نظرة وسلوك إيجابي، حيث أكدت كل حالات الدراسة أن لهن صديقات من غير المنتقبات، وعلاقتهن بهن جيدة للغاية، فالنقاب ليس شرطًا ولا مؤشرًا على التدين والالتزام والأخلاق، وهو ما يؤكد أن ظاهرة النقاب في المجتمع المصري ظاهرة اجتماعية وليست دينية، وإلا ما كان كل هذا الميل لصداقة غير المنتقبات من قبل حالات الدراسة.

٣. تؤكد نتائج الدراسة الميدانية أن نظرة وسلوك المنتقبات تجاه غير المنتقبات سواء كانت محجبة أو سافرة يتميز بالإيجابية والاحترام والحب، فلا فرق في المعاملة، وهو ما يؤكد أن ظاهرة النقاب اجتماعية بالأساس، فلم تنعكس معارف ومعلومات حالات الدراسة التي يستمدونها من مشايخ جماعات الإسلام السياسي على نظرتهن وسلوكهن تجاه غير المنتقبات، وهو ما يدعم فكرة أن أنصار هذا التيار يستخدمون قضية النقاب في صراعهم السياسي على السلطة بصورة مغايرة للواقع المعاش.

٤. أشارت نتائج الدراسة الميدانية رفض النسبة الأكبر من حالات الدراسة للاختلاط بين الرجل والمرأة في التعليم والعمل، وهو ما يعني أن المنتقبات قد تأثرن في سلوكهم اليومي بالمعارف والمعلومات التي يحصلون عليها من مشايخ الجماعات السياسية الإسلامية، وهو مؤشر على تشكيل وعي ديني زائف.

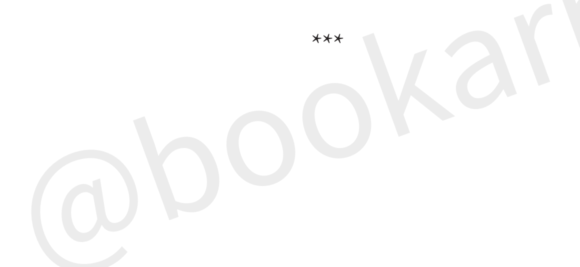
٥. أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن نظرة المنتقبات للمرأة غير المسلمة عمومًا، والمرأة الأجنبية خصوصًا نظرة سلبية وصلت إلى حد التكفير، وهو ما يؤكد تأثرهن بالمعارف والمعلومات المغلوطة التي يحصلون عليها من مشايخ الجماعات السياسية الإسلامية، مما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني زائف.

٦. تؤكد نتائج الدراسة الميدانية وقوع المنتقبات في تناقض جوهري في موقفهن وسلوكهن تجاه إرتداء بناتهن للنقاب والسماح لأزواجهن بتعدد الزوجات، حيث أشارت غالبية الحالات أن النقاب حرية شخصية، ولا يمكن إجبار بناتهن على إرتدائه، وكذلك رفض الأغلبية لتعدد الزوجات وهو ما يؤكد ويدعم أن النقاب ظاهرة اجتماعية وليست دينية، فهناك تهاون في ارتداء الأبناء للنقاب، وهناك مخالفة صريحة لنص ديني بمعارضة تعدد الزوجات، وهو ما يعني أن الوعي الديني لحالات الدراسة وعيًّا زائفًا.

٧. تشير الدراسة الميدانية أن حالات الدراسة لا تمتلك أي حجج وبراهين وأدلة دينية لإقناع غير المنتقبات بارتداء النقاب، وكل المبررات التي تقدمها هي

عبارة عن نصائح حول العفة والستر والحفاظ على النفس من عيون الرجال والتحرش المنتشر داخل المجتمع، وهو ما يؤكد أن الوعي الديني للمنتقبات وعيًا زائفًا، فالغالبية منهن معارفهم ومعلوماتهم الدينية محدودة للغاية، وهو ما ينعكس على مواقفهم وسلوكياتهم الحياتية حتى في أبسط المواقف، وهو موقف محاولة إقناع غير المنتقبة بأهمية وضرورة ارتداء النقاب، فالملاحظ عدم امتلاك الغالبية للحجج الدينية سواء من القرآن أو السنة التي تسمح لهن بإقناع غير المنتقبات بارتدائه أو حتى دفاع أنفسهن عن ارتدائه، وبذلك يتأكد أن قضية النقاب هي قضية اجتماعية يحاول أنصار الجماعات السياسية الإسلامية إلباسها رداء الدين لوصم النظام السياسي الحاكم بأنه يحارب الدين، وذلك في محاولة لكسب تعاطف الجماهير المسلمة وإيهامهم بأنهم الأصلح للحكم.

***



الخاتمة

لقد حاولنا من خلال هذا العمل الإجابة على سؤال رئيس وهو: هل تمتلك المنتقبات في المجتمع المصري وعيًّا دينيًّا حقيقيًّا ؟، وجاءت الإجابة قاطعة بأن الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري على الرغم من تنامي الظاهرة بشكل كبير بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١ إلا أنه وعيًّا دينيًّا زائفًا، حيث قامت جماعات الإسلام السياسي باستغلال قضية النقاب وتحويلها من قضية اجتماعية إلى قضية دينية من أجل وصم النظام السياسي الحاكم أمام الشعب المصري وتصويره على أنه محارب للدين الإسلامي، وبذلك يكون البديل السياسي للحكم هو الجماعات السياسية الإسلامية.

* وقد توصلت الدراسة الراهنة للإجابة على هذا التساؤل الرئيس من خلال الإجابة على عدة تساؤلات فرعية وهي:

١- ما هي الدوافع وراء إرتداء النقاب؟

أكدت نتائج الدراسة أن الدوافع الحقيقية وراء ارتداء النقاب اجتماعية أكثر منها دينية، فالاحتشام، والستر، والحماية من الرجال، والخوف من التحرش، والاستسلام لرغبة الأزواج والأهل، سبقت الدوافع الدينية، وحتى من أكدن أن دوافعهن دينية لم تتمكن من تقديم سند أو استشهاد ديني واحد من النصوص سواء القرآن أو السنة، وهو ما يؤكد انخفاض مستوي الوعي الديني لدى المنتقبات.

٢- ما هي الخلفيات الدينية للمنتقبات؟

أكدت نتائج الدراسة أن مصادر معرفة المنتقبات والتي تشكل المرحلة الأولى لتشكيل الوعي مصادر غير موثوقة تمثلت في دروس مشايخ الجماعات السياسية الإسلامية سواء في المساجد أو عبر سوق الكاسيت والكتب التي يؤلفونها أو برامجهم في الفضائيات الدينية، هذا إلى جانب ابتعادهم عن المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر الشريف) ومشايخها وعلماؤها، وهو ما يؤكد في النهاية أن الخلفيات الدينية للمنتقبات لا يمكن أن يتشكل من خلالها وعيًّا دينيًّا حقيقيًّا بل هي أقرب لتشكيل وعي ديني زائف.

٣- ما هو موقف المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي؟

أكدت نتائج الدراسة على الموقف السلبي الذي تتخذه المنتقبات من المجتمع والنظام السياسي، وهذه الصورة الذهنية السلبية تم تشكيلها عبر المعارف والمعلومات المستمدة من الجماعات السياسية الإسلامية المصدر الرئيس لتشكيل وعي المنتقبات، لذلك كانت رؤيتهن للمجتمع أنه مجتمع فاشل وفاسد وجاهل وفوضوي وهمجي، ونظام الحكم محارب للدين الإسلامي، ولابد من استبداله بحكم إسلامي عبر استلهام نموذج الخلافة أو النموذج السعودي أو التركي.

٤- ما هو موقف وسلوك المنتقبات في تفاعلات الحياة اليومية؟

أكدت نتائج الدراسة الميدانية تناقضات واضحة في مواقف وسلوكيات المنتقبات في تفاعلات الحياة اليومية، فعلى الرغم من التشدد تجاه المخالفين في الدين وتكفيرهم إلا أنهم أبدوا تسامحًا في التفاعل معهم ومعاملاتهم بود ومحبة، وعلى الرغم من التشدد مع غير المنتقبات في ضرورة ارتدائه، إلا أن ذلك أصبح حرية شخصية عندما أصبح الأمر يمس الأبناء، فالفتاة داخل الأسرة حرة في ارتداء النقاب أو عدم ارتدائه، فهو ليس فرضًا، وعلى الرغم من التأكيد على ضرورة الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي إلا أنهم يخالفونها عند الحديث عن تعدد الزوجات، وهذا التناقض الواضح يعبر عن وعي ديني زائف، ذلك لأنه إذا كان هناك وعيًا دينيًا حقيقيًا ما ظهر هذا التناقض في المواقف والسلوكيات الحياتية التي تعكس المعارف الدينية التي تمتلكها المنتقبات.

وفي الختام يمكننا التأكيد على أن قضية النقاب داخل المجتمع المصري قد بدأت تاريخيًا كقضية اجتماعية ليس لها أي علاقة بالدين، لكن الجماعات السياسية الإسلامية استطاعت توظيفها لاحقًا كقضية دينية في صراعها على السلطة مع النظام السياسي الحاكم على الرغم من أن كثيرًا من فصائل هذا التيار السياسي الإسلامي وفي مقدمتهم جماعة الإخوان المسلمين لا يعترفون بالنقاب ولا ترتديه غالبية نساء الجماعة وزوجات وبنات قيادات الجماعة خير شاهد وخير دليل على ذلك.

***

ملاحق الدراسة

دليل دراسة حالة

الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري

أولًا: البيانات الأساسية:

١ -السن.

٢- الحالة الاجتماعية.

٣ - المهنة

٤-الحي السكني

ثانيًا: الدوافع وراء النقاب:

س٥- منذ كم عام ارتديتي النقاب؟

س٦- من الذي أقنعك بارتداء النقاب؟

س٧- هل كان هناك منتقبات داخل الأسرة؟

س٨- ما هي ردود فعل الأسرة تجاه ارتدائك للنقاب؟

س٩- ما هي ردود فعل الجيران والزملاء تجاه ارتدائك للنقاب؟

س١٠- ما هي الأسباب والدوافع المختلفة وراء ارتدائك للنقاب؟

س١١- هل هناك إمكانية للعودة وترك النقاب؟

س١٢- هل هناك من يدعوكي ويحرضك على ترك النقاب؟

ثالثًا: الخلفية الدينية للمنتقبات:

س١٣- من أين تستمدين معلوماتك الدينية؟

- رجال الدين الرسميين - الدعاة الجدد - من الأسرة

- من المحيطين بالأسرة -من المساجد المحيطة - من برامج التليفزيون

- من سوق الكاسيت الديني من الكتب الدينية - من مصادر أخري

س١٤- هل تداومين على الدروس الدينية؟

س١٥- هل تقومين بقراءة القرآن يوميًا؟

س١٦- كم جزء من القرآن تحفظين؟

س١٧- هل تقرأي تفسير للقرآن؟ ولمن هذا التفسير؟

س١٨- هل تقرأي في كتب التراث والسنة؟ ولمن هذه الكتب؟

س١٩- ماذا تعرفين عن أصحاب المذهب الشيعي؟

س٢٠- هل تعتبري الشيعة مسلمين؟

رابعًا: الموقف من المجتمع:

س٢١- ما هو رأيك في المجتمع المصري بشكل عام؟

س٢٢- ما هو رأيك في النظام السياسي الحاكم الآن؟

س٢٣- هل يساعد المجتمع على التربية أم الإنحلال الأخلاقي؟

س٢٤- هل يشجع النظام السياسي على ارتداء النقاب، أم الحد من انتشاره؟

س٢٥- هل تشاهدين التليفزيون؟

س٢٦- ما هي البرامج التي تفضلين مشاهدتها؟

س٢٧- هل تهتمي بمتابعة أخبار المجتمع المصري السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟

س٢٨- هل تهتمي بمتابعة أخبار العالم العربي، وما يحدث فيه؟

س٢٩- هل المجتمع المصري يحارب النقاب؟

س٣٠- ما هو نموذج الحكم الأفضل لمصر؟

- النموذج العلماني - النموذج السعودي -النموذج التركي

خامسًا: الموقف من الآخرين:

س٣١- هل المنتقبات أكثر تدينًا من غير المنتقبات داخل المجتمع بشكل عام؟

س٣٢- هل المنتقبات أكثر تدينًا من غير المنتقبات داخل الأسرة؟

س٣٣- هل المنتقبات أكثر تدينًا من غير المنتقبات بين زملائك؟

س٣٤- هل المنتقبات أكثر تدينًا من غير المنتقبات في محيط الحي السكني؟

س٣٥- هل لديكي أصدقاء من غير المنتقبات؟

س٣٦- ما هي نظرتك لغير المنتقبة المحجبة؟

س٣٧- ما هي نظرتك للمرأة السافرة التي لا ترتدي النقاب والحجاب؟

س٣٨- ما موقفك من الإختلاط بين الرجل والمرأة في التعليم والعمل؟

س٣٩- ما هي نظرتك للمرأة غير المسلمة، وهل تفضلين التعامل معها؟

س٤٠- هل الأجانب (غير المسلمين) سيدخلون الجنة؟

س٤١- ما هو رد فعلك في حالة رفض ابنتك ارتداء النقاب؟

س٤٢- هل تفضلي التعامل مع المنتقبة أم غير المنتقبة؟ ولماذا؟

س٤٣- كيف نقنع الآخرين بارتداء النقاب؟

س٤٤- ما هي المبررات التي يمكن أن تقدميها لغير المنتقبة، لإقناعها بالنقاب؟

س٤٥- ما هي الحجج الدينية التي يمكن تقديمها لغير المنتقبة، لإقناعها بارتداء النقاب؟

س٤٦- ما هي النصائح التي يمكن تقديمها لغير المنتقبة لإقناعها بضرورة إرتداء النقاب؟

س٤٧- هل تقبلي لزوجك بالزواج من أخري؟

***

الفهرس	الصفحة



دار اطلـــس
للنشـــر
والتوزيع
ش.ذ.م.م

دار أطلس

للنشر والتوزيع



الوعي الديني

للمنتقبات في المجتمع المصري

بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١

شهدت قضية النقاب جدل مجتمعي كبير على مدار سنوات طويلة، تحول مع الوقت إلى صراع بين جماعات الإسلام السياسي والنظام السياسي الحاكم، فعلى الرغم من أن النقاب تاريخيا قضية اجتماعية إلا أن جماعات الإسلام السياسي تحاول تقديمها على أنها قضية دينية، في محاولة لوصم النظام السياسي بأنه معاديا للدين، لذلك تأتي هذه المحاولة البحثية الأولى من نوعها لحسم هذا الجدل والصراع عبر الكشف عن الوعي الديني للمنتقبات في المجتمع المصري، فإذا كان هناك وعيا دينيا حقيقيا فالجدل والصراع ديني، أما إذا كان الوعي الديني للمنتقبات زائفا فالجدل والصراع اجتماعي وسياسي لا علاقة له بالدين.

د. محمد سيد أحمد

تصميم الغلاف : فتحي أبو زيد



